(٦٦٠)

هو الله تعالى
شأنه العزيز وبنشتعا
نعليه التوكل في
الامور

كتاب
مقامات حريري
للعالم الفاضل المحقق
الكامل الأديب الأريب والذكي النجيب
سمي ابن خاتم النبيين الشيخ ابو محمد القاسم بن علي
بن محمد وقد الف الكتاب هذا شرحا مفصلا
والشرح الذي نقل هو شرح جيد للاستاذ العالم
والشارح الماهر الفهم الذي جمع نكاته المودعة في
معانيه المعضلة باقصر لفظ واخصر عبارة مولانا
مظهر الدين الشيرازي واثابه الله تعالى
مقبولا عند الخاص والعام
لارباب العقل
الذي

برسم خزانة الكتب
حاجي ... عبد الله ...
عفى الله ذنوبه ولوالديه

Ci MAHMUD EFENDİ
BEŞİKTAŞ
Vakıf Kütüphanesi

T.C.
1323

Süleymaniye U Kütüphanesi
Kısmı: Hacı Mahmud Ef.
Yeni Kayıt No
Eski Kayıt No
2040

هذه الابيات يعزى الى محي الدين
بن العربي قدس سره

نظام ابي السعود اذا تولى
تزلزل من بني عثمان فلك
اذا كان الزمان لنا غريما
بدا الشرك في الاسلام فتك

قوله اذا تولى اي اذا صار
واليا وحاكما وقوله غريما
اي خصما والفتك القتل
والزمان بحساب ابجد ٩٤٠
وكذا عدد حروف محمود سنة ٩٤٠

بجودك وكرمك يا اله الالهات سبحانك من عشر بها لا يغلب وذي نا ولا
تجعل صل على محمد وال محمد واجعلني لك من العابدين ولنعماءك من الشاكرين
ولالائك من الذاكرين وارحمني برحمتك يا ارحم الراحمين يا مولاي وسيدي
وكم من عبد امسى واصبح قد استمر عليه القضاء واحدق به البلاء والكرب
والاعداء واخذته الرماح والسيوف والسهام وجعل لحم ربيا وقد شرب
الارض من دمه وهب لي معالي الاخلاق واعصمني من الفحش اللهم صل على
محمد واله ولا ترفعني في الناس درجة الا حططتني عند نفسي مثلها ولا
تحدث لي عزا ظاهرا الا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها اللهم صل
على محمد وال محمد متعني بهدى صالح لا استبدل به وطريقة حق لا ازيغ عنها
ونية رشد لا اشك فيها واعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك فاذا كان عمري
مرتعا للشيطان فاقبضني اليك قبل ان يسبق مقتك الي او يستحكم غضبك
علي اللهم لا تدع خصلة تعاب مني الا اصلحتها ولا عائبة اوتب بها الا
حسنتها ولا اكرومة في ناقصة الا اتممتها اللهم صل على محمد وال محمد
وابدلني من بغضة اهل الشنآن المحبة ومن حسد اهل البغي المودة ومن
ظنة اهل الصلاح الثقة ومن عداوة الادنين الولاية ومن عقوق ذوي
الارحام المبرة ومن خذلان الاقربين النصرة ومن حب المدارين تصحيح المقة
ومن رد الملابسين كرم العشرة ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الامنة
اللهم صل على محمد واله واجعل لي يدا على من ظلمني ولسانا على من خاصمني
وظفرا بمن عاندني وهب لي مكرا على من كايدني وقدرة على من اضطهدني و
تكذيبا لمن قصبني وسلامة ممن توعدني ووفقني لطاعة من سددني ومتابعة

هذا كتاب مقامات الحريري

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان، وألهمت من التبيان، كما نحمدك على ما
أسبغت من العطاء، وأسبلت من الغطاء، ونعوذ بك من شرة اللسن، وفضول الهذر، كما
نعوذ بك من معرة اللكن، وفضوح الحصر، ونستكفي بك الافتتان بإطراء المادح، وإغضاء
المسامح، كما نستكفي بك الانتصاب لإزراء القادح، وهتك الفاضح، ونستغفرك
من سوق الشهوات إلى سوق الشبهات، كما نستغفرك من نقل الخطوات إلى خطط الخطيئات،
ونستوهب منك توفيقاً قائداً إلى الرشد، وقلباً متقلباً مع الحق، ولساناً متحلياً بالصدق،
ونطقاً مؤيداً بالحجة، وإصابة ذائدة عن الزيغ، وعزيمة قاهرة هوى النفس، وبصيرة ندرك
بها عرفان القدر، وأن تسعدنا بالهداية إلى الدراية، وتعضدنا بالإعانة على الإبانة،
وتعصمنا من الغواية في الرواية، وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة، حتى نأمن حصائد
الألسنة، ونكفى غوائل الزخرفة، فلا نرد مورد مأثمة، ولا نقف موقف مندمة، ولا نرهق
بتبعة ولا معتبة، ولا نلجأ إلى معذرة عن بادرة، اللهم فحقق لنا هذه المنية، وأنلنا
هذه البغية، ولا تضحنا عن ظلك الضافي، ولا تجعلنا مضغة للماضغ، فقد مددنا

إليك يد المسألة، وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة، واستنزلنا كرمك الجم وفضلك الذي
عم، بضراعة الطلب، وبضاعة الأمل، ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر، والشفيع المشفع في المحشر،
الذي ختمت به النبيين، وأعليت درجته في عليين، ووصفته في كتابك المبين، فقلت
وأنت أصدق القائلين: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، إنه لقول رسول كريم ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين، اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين، وأصحابه الذين شادوا
الدين، واجعلنا لهديه وهديهم متبعين، وانفعنا بمحبته ومحبتهم أجمعين، إنك على
كل شيء قدير، وبالإجابة جدير. أما بعد، فإنه قد جرى ببعض أندية الأدب، الذي ركدت
في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة
همذان، وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها، وإلى عيسى بن هشام روايتها، وكلاهما مجهول
لا يعرف، ونكرة لا تتعرف، فأشار من إشارته حكم، وطاعته غنم، إلى أن أنشئ مقامات
أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع، فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين،
أو نظم بيتاً أو بيتين، واستقلت من هذا المقام الذي يحار فيه الفهم، ويفرط الوهم، ويسبر
غور العقل، وتتبين فيه قيمة المرء، ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل، أو جالب رجل وخيل،
وقلما سلم مكثار، أو أقيل له عثار، فلما لم يسعف بالإقالة، ولا أعفى من المقالة، لبيت
دعوته تلبية المطيع، وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع، وأنشأت على ما أعانيه من قريحة
جامدة، وفطنة خامدة، وروية ناضبة، وهموم ناصبة، خمسين مقامة تحتوي على جد

القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الأدب ونوادره الى ما وشحتها
به من الآيات ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية
والأحاجي النحوية والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة والمواعظ المبكية
والأضاحيك الملهية مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي وأسندت روايته الى
الحارث بن همام البصري وما قصدت بالإحماض فيه الا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه
ولم أودعه من الأشعار الأجنبية الا بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية
وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره ومقتضب
حلوه ومره هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات وأن المتصدي بعده
لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته ولا يسري ذلك المسرى الا
بدلالته ولله در القائل **الطويل** فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس
قبل التندم ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم وأرجو ألا أكون
في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه
بكفه فألحق بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المحابي لا أكاد أخلص من غمر جاهل
أو ذي غمر متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندد بأنه من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء بعين
المعقول وأنعم النظر في مباني الأصول نظم هذه المقامات في سلك الإفادات وسلكها مسلك

الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات أو أثم رواتها
في وقت من الأوقات ثم إذا كانت الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات فأي حرج
على من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى التهذيب لا الأكاذيب وهل هو في ذلك الا
بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى الى صراط مستقيم على أني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي
ولا ليا وبالله أعتصم فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا
الاستعانة الا به ولا التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه أنيب

المقامة الأولى وتعرف بالصنعانية

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب
الاغتراب وأنأتني المتربة عن الأتراب طوحت بي طوائح الزمن الى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض
بادي الإنفاض لا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول
في حوماتها جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي كريما أخلق له ديباجتي
وأبوح اليه بحاجتي أو أديبا تفرج رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي حتى أدتني خاتمة المطاف
وهدتني فاتحة الألطاف الى ناد رحيب محتو على زحام ونحيب فولجت غابة الجمع لأسبر مجلبة
الدمع فرأيت في بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه أهبة السياحة وله رنة النياحة
وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه وقد أحاطت به أخلاط الزمر
إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر فدلفت اليه لأقتبس من فوائده وألتقط بعض فرائده
فسمعته يقول حين خب في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله أيها السادر في غلوائه

الجامح في جهالاته الجانح الى خزعبلاته الى م تستمر على غيك وتستمري مرعى بغيك وحتّام
تتناهى في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ بقبح
سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وانت بمرأى رقيبك وتستخفي من مملوكك
وما تخفى خافية على مليكك اتظن ان ستنفعك حالك اذا آن ارتحالك او ينقذك مالك
حين توبقك اعمالك او يغني عنك ندمك اذا زلّت قدمك او يعطف عليك معشرك يوم
يضمك محشرك هلّا انتهجت محجّة اهتدائك وعجّلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك
وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك اما الحمام ميعادك فما اعدادك وبالمشيب انذارك فما
اعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك والى الله مصيرك فمن نصيرك طالما ايقظك الدهر
فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلّت لك العبر فتعاميت وحصحص لك الحق
فتماريت واذكرك الموت فتناسيت وامكنك ان تواسي فما آسيت تؤثر فلسا توعيه على
ذكر تعيه وتختار قصرا تعليه على برّ توليه وترغب عن هاد تستهديه الى زاد تستهديه
وتغلّب حبّ ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت الصلات اعلق بقلبك من مواقيت الصلوة
ومغالات الصدُقات آثر عندك من موالاة الصدَقات وصحاف الالوان اشهى اليك من
صحائف الاديان ودعابة الاقران آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي
عن النكر ولا تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله احقّ ان تخشاه ثم انشد
شعر تبّا لطالب دنيا ثنى اليها انصبابه ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه ولو درى

لكفاه مما يروم صبابه ثم انه لبّد عجاجته وغيّض مجاجته واعتضد شكوته وتأبّط هراوته
فلما رنت الجماعة الى تحفّزه ورأت تأهّبه لمزايلة مركزه ادخل كل منهم يده في جيبه فافعم له
سجلا من سيبه وقال اصرف هذا في نفقتك او فرّقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا
وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودّع من يشيّعه ليخفى عليه مهيعه ويسرّب من يتبعه لكي
يجهل مربعه قال الحارث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت اثره من حيث لا يراني
حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم
هجمت عليه فوجدته مفاجيا لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ
فقلت يا هذا ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميّز من الغيظ ولم يزل
يحملق اليّ حتى كاد ان يسطو عليّ فلما ان خبت ناره وتوارى اواره انشد شعر لبست الخميصة
ابغي الخبيصة وانشبت شصّي في كل شيصه وصيّرت وعظي احبولة اريغ القنيص بها والقنيصه
والجاني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه على انني لم اهب صرفه ولا نبضت
لي منه فريصه ولا شرعت بي على مورد يدنّس عرضي نفس حريصه ولو انصف الدهر في حكمه
لما ملك الحكم اهل النقيصه ثم قال لي ادن فكل وان شئت فقم وقل فالتفتّ الى التلميذ
وقلت له عزمت عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرني من ذا فقال هذا ابو زيد السروجي
سراج الغرباء وتاج الادباء فانصرفت من حيث اتيت وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية تعرف بالحلوانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم

كلفت

ونيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب الطلب لأعلق منه بما يكون لي
زينة بين الأنام ومزنة عند الأوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه
أباحث كل من جل وقل وأستسقي الوبل والطل وأتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت
الإخوان وسبرت الأوزان وخبرت ما شان وزان ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب في
قوالب الانتساب ويخبط في أساليب الاكتساب فيدعي تارة أنه من آل ساسان ويعتزي مرة
إلى أقيال غسان ويبرز طورا في شعار الشعراء ويلبس حينا كبر الكبراء بيد أنه مع تلون
حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة رائعة وبديهة
مطاوعة وآداب بارعة وقدم لأعلام العلوم فارعة فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته
ولسعة روايته يصبى إلى رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة
إيراده يسعف بمراده فتعلقت بأهداب خصائصه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس
صفاته شعر فكنت به أجلو همومي وأجلي زماني طلق الوجه ملتمع الضياء أرى
قربه قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه الحيا ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي
كل يوم نزهة ويذود عن قلبي شبهة إلى أن جدح له يد الإملاق كأس الفراق وأغراه عدم
العراق بتطليق العراق ولفظته معاوز الأرفاق إلى مفاوز الآفاق ونظمه في سلك
الرفاق خفوق رايات الإخفاق فشحذ للرحلة غرار عزيمته وظعن يقتاد القلب بأزمته

الطويل

فما راقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله ولا لاح لي مذ

ندّ نِدٌّ لفضله ولا ذو خلال حاز مثل خلاله واستسر عني حينا لا أعرف له عرينا ولا أجد عنه
مبينا فلما أبت من غربتي إلى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين
منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في أخريات الناس
ثم أخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي
تنظر فيه فقال ديوان أبي عبادة المشهود له بالإجادة فقال هل عثرت له فيما لمحته على
بديع استملحته فقال نعم قوله شعر بات نديما لي حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح فإنه أبدع في التشبيه المودع فيه فقال له يا للعجب
ولضيعة الأدب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت في غير ضرم أين أنت عن البيت اليتيم
الجامع مشبهات الثغر وأنشد شعر نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك
عن شنب يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب فاستجاده من حضر
واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسئل لمن هذا البيت وهل حي قائله أم ميت فقال أيم الله
للحق أحق أن يتبع وللصدق حقيق بأن يستمع إنه يا قوم لنجيكم هذا اليوم قال فكأن الجماعة
ارتابت بعزوته وأبت تصديق دعوته فتوجس ما هجس في أفكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم
وحاذر أن يفرط إليه ذم فقرأ إن بعض الظن إثم ثم قال يا رواة القريض وأساة القول
المريض إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما
غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان وها أنا قد عرضت خبيئتي للاختبار

وعرضت حسبي على الانتقاد فانتبذ واحد من حضر وقال العرف بيتا لو بيع على منواله ولا اسعفت
قريحة بمثاله فان آثرت اجتلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وانشد شعر فامطرت
لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد فلم يكن الا كلمح البصر وهو قرح
انشد فاغرب شعر سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبر فزحزحت
شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته
فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم
بيتين الحزين وانشد شعر واقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح اقلهما غصن وضرست البلور بالدرر فحينئذ استنبل القوم قيمته واستغزروا
ديمته واجملوا عشرته وحلوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية فلما رايت تلهب جذوته وتألق
حلوته امعنت النظر في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه فاذا هو شيخنا السروجي وقد اقمر ليله
الدجوجي فهنأت نفسي بوروده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي احال صفتك حتى
جهلت معرفتك فاي شيء شيب لحيتك حتى انكرت حليتك فانشد يقول المجيب شعر
التواتب والدهر بالناس قلب ان دان يوما لشخص ففي غد يتغلب فلا تثق بوميض
من برقه فهو خلب واصبر اذا هو اضرى بك الخطوب وألب فما على التبر عار في النار حين
يقلب ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثانية

تضمن ملح الدينارية روى الحارث بن همام قال نظمني واخدانا ناد

نادٍ لم يخب فيه مناد ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد
ونتوارد طرف الاسانيد وقف بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا اخاير الذخائر
وبشائر العشائر عموا صباحا وانعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدا
وعقار وقرى ومقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر
شر الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا
المربع واقوى المجمع واقض المضجع واستحالت الحال واعول العيال وخلت المرابط ورحم
الغابط وأودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر
المدقع الى ان احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الاحشاء على الطوى
واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الاقتاد واستطبنا
الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من حر آس او سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة
لقد امسيت اخا عيلة لا املك بيت ليلة قال الحارث بن همام فاويت لمفاقره ولويت
الى استنباط فقره فابرزت له دينارا وقلت له اختبارا ان مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى
ينشد في الحال من غير انتحال شعر اكرم به اصفر راقت صفرته جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته قد اودعت سر الغنى اسرته وقارنت نجح المساعي خطرته
وحببت الى الانام غرته كأنما من القلوب نقرته به يصول من حوته صرته وان تفانت او توانت
عترته يا حبذا نضاره ونضرته وحبذا مغناته ونصرته كم آمر به استتبت امرته

قوله وساقطت لؤلؤا اي سقطت قال في القاموس ساقطه مساقطة وسقاطا تابع اسقاطه

قوله فهل من حر آسي اي مداو لدا بليانه فهو من الاسى اي الطبيب لا كما توهمه الشارح فانبرى

قوله اكرم به اصفر اي حالة كونه اصفر وحالة كونه جواب آفاق شرح خير الدين

ومترفٍ لولاه دامت حسرته وجيشِ همٍّ هزمته كرّته وبدرِ تمٍّ أنزلته بدرته ومستشيطٍ
تلظّى جمرته أسرّ نجواه فلانت شرّته وكم أسيرٍ أسلمته أسرته أنقذه حتى صفت مسرّته
وحقِّ مولىً أبدعته فطرته لولا التقى لقلت جلّت قدرته ثم بسط يده بعدما أنشد
وقال أنجز حرٌّ ما وعد وسحّ خالٌ إذ رعد فنبذت الدينار إليه وقلت خذه غير مأسوفٍ
عليه فوضعه في فيه فقال بارك الله فيه ثم شمّر للانثناء بعد توفية الثناء فنشأت لي
من فكاهته نشوة غرامٍ وسهّلت عليّ ائتناف اغترامٍ فجرّدت دينارًا آخر وقلت له هل لك
في أن تذمّه ثم تضمّه فأنشد مرتجلًا وشدا عجلًا شعر تبًّا له من خادعٍ مماذقِ أصفرَ ذي
وجهين كالمنافقِ يبدو بوصفين لعين الرامقِ زينةِ معشوقٍ ولونِ عاشقِ وحبّه عند
ذوي الحقائقِ يدعو إلى ارتكاب سخط الخالقِ لولاه لم تقطع يمين سارقِ ولا بدت مظلمةٌ
من فاسقِ ولا اشمأزّ باخلٌ عن طارقِ ولا شكا الممطول مطل العائقِ ولا استعيذ من
حسودٍ راشقِ وشرّ ما فيه من الخلائقِ أن ليس يغني عنك في المضائقِ إلا إذا فرّ فرار
الآبقِ واهًا لمن يقذفه من حالقِ ومن إذا ناجاه نجوى الوامقِ قال له قول المحقّ الصادقِ
لا رأي في وصلك لي ففارقِ فقلت له ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك فنفحته بالدينار
الثاني وقلت له عوّذهما بالمثاني فألقاه في فمه وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح
النادي ونداه قال الحارث بن همام فناجاني قلبي بأنه أبو زيد وأنّ تعارجه لكيد فاستعدته
وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم في مشيك فقال إن كنت ابن همام فحيّيت بإكرامٍ

وحييت

قال في القاموس الاستيناف والائتناف الابتداء في لغة الانف

وحييت بين كرامٍ فقلت أنا الحارث فكيف حالك والحوادث قال أتقلّب في الحالين بؤسٍ ورخاءٍ
وأنقلب مع الريحين زعزعٍ ورخاءٍ فقلت كيف ادّعيت القزل وما مثلك من هزل
فاستسرّ بشره الذي كان تجلّى ثم أنشد حين ولّى شعر تعارجت لا رغبةً في العرج
ولكن لأقرع باب الفرج وألقي حبلي على غاربي وأسلك مسلك من قد مرج فإن لامني القوم
قلت اعذروا فليس على أعرج من حرج

المقامة الرابعة تعرف بالدمياطية

أخبر الحارث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياطٍ ومياطٍ وأنا يومئذٍ مرموق الرخاء
موموق الإخاء أسحب مطارف الثراء وأجتلي معارف السرّاء فرافقت صحبًا قد شقّوا عصا الشقاق
وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام
الأهواء وكنّا مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل إلا كلّ هوجاء وإذا نزلنا منزلًا أو وردنا منهلًا اختلسنا
اللبث ولم نطل المكث فعنّ لنا إعمال الركاب في ليلةٍ فتيّة الشباب غدافيّة الإهاب
فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا السرى وملنا إلى الكرى
صادفنا أرضًا مخضلّة الربى معتلّة الصبا فتخيّرناها مناخًا للعيس ومحطًّا للتعريس فلمّا
حلّها الخليط وهدأ بها الأطيط والغطيط سمعت صيّتًا من الرجال يقول لسميره في الرحال
كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل الوصال لمن
صال وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأودّ الحميم ولو جرّعني الحميم وأفضّل الشفيق على
الشقيق وأفي للعشير وإن لم يكاف بالعشير وأستقلّ الجزيل للنزيل وأغمر الزميل بالجميل

وانى

وأنزل سميري منزلة أميري، وأحل أنيسي محل رئيسي، وأودع في معادن عوادي، وأولي عارفي ما فقهم

وألين مقالي للقالي، وأديم تسآلي عن السالي، وأرضى من الوفاء باللفاء، وأقنع من الجزاء بقلا

الأجزاء، ولا أتظلم حين أُظلم، ولا أنقم ولو لدغني الأرقم. فقال له صاحبه: ويك يا بني، إنما

يُضنّ بالضنين، ويُنافس في الثمين، لكني أنا لا آتي غير المودة، ولا أسم العاتي بمراعاتي، ولا أصافي

من يأبى إنصافي، ولا أواخي من يلغي الأواخي، ولا أمالي من يخيّب آمالي، ولا أبالي بمن صرم حبالي،

ولا أداري من جهل مقداري، ولا أعطي زمامي من يخفر ذمامي، ولا أبذل ودادي لأضدادي، ولا

أدع إيعادي للمعادي، ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي، ولا أسمح بمواساتي لمن يفرح بمساءتي،

ولا أرى التفاتي إلى من يشمت بوفاتي، ولا أخص بحبائي إلا أحبائي، ولا أستطب لدائي غير

أودّائي، ولا أملّك خلّتي من لا يسدّ خلّتي، ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي، ولا أخلص دعائي لمن لا يعي

دعائي، ولا أفرغ ثنائي على من يفرّغ إنائي، ومن حكم بأن أبذل وتخزن، وألين وتخشن، وأذوب

وتجمد، وأذكو وتخمد، فلا والله بل نتوازن في المقال وزن المثقال، ونتحاذى في الفعال

حذو النعال، حتى نأمن التغابن، ونكفي التضاغن، وإلا فلم أعلّك وتعلّني، وأقلّك وتستقلّني،

وأجرح لك وتجرحني، وأسرح إليك وتسترحني، وكيف يُجتلب إنصاف بضيم، وأنّى تشرق شمس

مع غيم، ومتى أصحب ودّ بعسف، وأي حر رضي بخطة خسف، ولله أبوك حيث يقول: نظم

جزيت من أعلق بي ودّه جزاء من يبني على أسّه، وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل أو

بخسه، ولم أخسّره، وشرّ الورى من يومه أخسر من أمسه، وكل من يطلب عندي جنى فماله

الأجنى غرسه، لا أبتغي الغبن، ولا أشتري بصفقة المغبون في حسّه، ولست بالموجب حقًّا لمن

لا يوجب الحق على نفسه، ورب مذاق الهوى خالني أصدقه الود على لبسه، وفادح عن جهله

أنني أقضي غريمي الدين عن جنسه، فاهجر من استغباك هجر القلى، وهبه كالملحود في رمسه

والبس لمن في وصله لبسة لباس من رغب عن أنسه، ولا ترج الود ممن يرى أنك محتاج إلى

فلسه. قال الحارث بن همام: فلما وعيت ما دار بينهما تقت إلى أن أعرف عينهما، فلما لاح

ذكاء، وألحف الجو الضياء، غدوت قبل استقلال الركاب، ولا اغتداء الغراب، وجعلت أستقري

صوب الصوت الليلي، وأتوسم الوجوه بالنظر الجلي، إلى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان، وعليهما

بردان رثّان، فعلمت أنهما نجيا ليلتي، وصاحبا دولتي، فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما

وارث لرثتهما، وأحببت لهما التحول إلى رحلي والتحكم في كثري وقلّي، وطفقت أسعى بين السيارة فما

وأهز الأجواد المثيرة لهما، إلى أن غمرا بالنحلان واتخذا من الخلان، وكنا بمعرس تتبين منه بنيان

القرية وتتبين نيران القرى، فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بؤسه قال لابن بدر

قد أسنح ود رفقة سنح فأذن لي في قصد قرية لأستجم وأقضي هذا المهم، فقلت: إذا

فالسرعة السرعة، والرجعة الرجعة، فقال: ستجد مطلعي عليك أسرع من ارتداد طرفك إليك.

ثم استن استنان الجواد في المضمار، وقال لابنه: بدار بدار، ولم يخل أنه غرّ وطلب المفرّ

ولبثنا نرقبه رقبة أهلة الأعياد، ونستطلعه بالطلائع والرواد، إلى أن هرم النهار، وكاد

جرف اليوم ينهار، فلما طال أمد الانتظار، ولاحت الشمس في الأطمار، قلت لأصحابي: فلسنا هينا

في المهلة وتمادينا في الرحلة إلى أن أضعنا الزمان وبان أن الرجل مان فأهبوا للظعن ولا
تلووا على خضراء الدمن ونهضت لأحدج راحلتي وأتحمل لرحلتي فوجدت أبا زيد قد كتب على
القتب شعر يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر لا تحسبن أني نأيت عن ملال
أو أشر لكنني مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر قال فأقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان عتب
فأعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته ثم أنا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا

المقامة الخامسة وتعرف بالكوفية

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة
في ليلة أديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان
وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل
الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر فلما روق
الليل البهيم ولم يبق إلا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح
فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال نظم يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ولا لقيتم ما بقيتم
ضرا قد دفع الليل الذي اكفهرا إلى ذراكم شعثا مغبرا أخا سفار طال واسبطرا حتى
انثنى محقوقفا مصفرا مثل هلال الأفق حين افترا وقد عرا فناءكم معترا وأمكم دون الأنام
طرا يبغي قرى منكم ومستقرا فدونكم ضيفا قنوعا حرا يرضى بما احلولى وما أمرا وينثني
عنكم ينث البرا قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا
فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي

أحلني

أحلني ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كلا ولا تجشموا لأجلي أكلا
فرب أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل وشر الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف
وخصوصا أذى يعلق بالأجسام ويفضي إلى الأسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره
خير العشاء سوافره إلا ليعجل التعشي ويجتنب أكل الليل الذي يعشي اللهم إلا أن تقد نار
الجوع وتحول دون الهجوع قال الحارث بن همام فكأنه اطلع على إرادتنا فرمى عن قوس
عقيدتنا لا جرم أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على خلقه السبط ولما أحضر الغلام
ما راج وأذكى بيننا السراج تأملته فإذا هو أبو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل المغنم
البارد فإن يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر أو استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر
فسرت حميا المسرة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها وثابوا
إلى نشر الفكاهة بعد ما طووها وأبو زيد مكب على إعمال يديه حتى إذا استرفع ما لديه
قلت له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو عجيبة من عجائب أسفارك فقال لقد بلوت
من العجائب ما لم يره الراؤون ولا رواه الراوون وإن من أعجبها ما عاينته
الليلة قبيل انتيابكم ومصيري إلى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال
إن مرامي الغربة لفظتني إلى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى وجراب كفؤاد أم موسى
فنهضت حين سجا الدجى على ما بي من الوجى لأرتاد مضيفا أو أقتاد رغيفا فساقني حادي
السغب والقضاء المكنى بأبي العجب إلى أن وقفت على باب دار فقلت على بدار شعر حييتم

18 يا اهل هذا المنزل وعشتم في خفض عيش خضل ما عندكم لابن سبيل مرمل نضو سرى
خابط ليل اليل جوى الحشا على الطوى مشتمل ما ذاق مذ يومان طعم مأكل ولا له في
ارضكم من موئل وقد دجا جنح الظلام المسبل وهو من الحيرة في تململ فهل بهذا الربع
عذب منهل يقول لي الق عصاك وادخل وابشر ببشر وقرى معجل قال فبرز الي جوذر
وعليه شوذر وقال شعر وحرمة الشيخ الذي سن القرى واسس المحجوج في ام القرى ما
عندنا لطارق اذا عرى سوى الحديث والمناخ في الذرى وكيف يقري من نفى عنه الكرى
طوى برى اعظمه لما انبرى فما ترى فيما ذكرت ما ترى فقلت له ما اصنع بمنزل قفر ومنزل
حلف فقر ولكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشاي فيد ووردت
الى هذه المدرة امس مع اخوالي من بني عبس فقلت له زدني ايضاحا زادك الله صلاحا
عشت ونعشت فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا
من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا
وهلم جرا فما يعرف أحي هو فيتوقع ام اودع البلقع قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامة
انه ولدي وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع
مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده ام الكتاب
فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الاوراق فما سير مثلها في الآفاق
فاحضرنا الدواة واساودها ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنطناه عن رأيه

في استضمام

19 في استضمام فتاه فقال اذا ثقل ردني خف علي ان اكفل ابني فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال
الفناه لك في الحال قال وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر قدره الا مصاب قال الراوي فالتزم
منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع حتى
اننا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم انه نشر من وشي السمر ما ازرى بالحبر الى ان اظل
التنوير وجشر الصبح المنير فقضيناها ليلة غابت شوائبها الى ان شابت ذوائبها وكمل
سعودها الى ان انفطر عمودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا
لنقبض الصلات ونستنض الاحالات فقد استطار صدع كبدي من الحنين الى ولدي
فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين احرز العين في صرته برقت اسارير مسرته وقال لي
جزيت خيرا عن خطى قدميك والله خليفتي عليك فقلت اريد ان اتبعك لاشاهد ولدك
النجيب واناقثه لكي يجيب فنظر الي نظرة الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت مقلتاه
بالدموع ثم انشد شعر يا من تظنى السراب ماء لما رويت الذي رويت ما خلت ان
يستسر مكري وان يخيل الذي عنيت والله ما برة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت وانما
لي فنون سحر ابدعت فيها وما اقتديت لم يحكها الاصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة الى ما تجنيه كفي متى اشتهيت ولو تعافيتها لحالت حالي ولم احو ما حويت
فمهد العذر او فسامح ان كنت اجرمت او جنيت ثم انه ودعني ومضى واودع قلبي جمر
الغضا

المقامة السادسة وتعرف بالمراغية في انشاء الرسالة

في قوله اطل اى دنا وقرب

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى فيه ذكر البلاغة فأجمع
من حضر من فرسان اليراعة وأرباب البراعة على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ويتصرف
فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء
وأن المفلق من كتاب هذا الأوان المتمكن من أزمة البيان كالعيال على الأوائل ولو ملك
فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية عند مواقف الحاشية وكان كلما
شط القوم في شوطهم ونشروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبئ تخازر طرفه وتشامخ أنفه
أنه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال
فلما نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع أقبل على الجماعة
وقال لقد جئتم شيئا إدا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وافتتنتم في
الميل إلى من فات وغمصتم جيلكم الذين منهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات أنسيتم
يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القرائح وبرز فيه الجذع على
القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والأسجاع
المستملحة وهل للقدماء إذا أنعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوارد
المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ
وشى وإذا عبر حبر وإن أسهب أذهب وإذا أوجز أعجز وإن بده شده ومتى اخترع خرع فقال له
ناظور الديوان وعين أولئك الأعيان من قارع هذه الصفاة وقريع هذه الصفات
فقال

إنه قرين مجالك وقرين جدالك وإذا شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجبا
فقال يا هذا إن البغاث بأرضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة
وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال واستثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان
فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه
وسيسفر الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعتبر فيه تقليبه فقال
أحدهم ذروه في حصتي لأرميه بحجر قصتي فإنها عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه
في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة فأقبل على الكهل وقال اعلم أني أوالي هذا
الوالي وأرفع حالي بالبيان الحالي وكنت أستعين على تقويم أودي في بلدي بسعة ذات يدي
مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي أممته من أرجائي برجائي ودعوته لإعادة رونقي
وإرواء فهي للوفادة ولج وعدا بالإفادة فلما استأذنته في المراح إلى المراح
على كاهل المراح قال قد أزمعت ألا أزودك بتاتا ولا أجمع لك شتاتا أو تنشئ لي قبل
ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف إحدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الأخرى
لم يعجمن قط وقد استأنيت شيطاني حولا فما أحار قولا ونبهت فكري سنة فما ازداد إلا
سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فإن كنت صدعت عن وصفك
باليقين فأت بآية إن كنت من الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت
أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأنزلت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستمد

لحجته وقال المراكو دوانك وخذ داتك واكتب الرسالة الخفاء الكرم ثبت الله
جيش سعودك يزين واللوم غض الدهر جفن حسودك يشين والاروع يثيب والمعور
يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح يغذي والمحك يقذي والعطاء ينجي و
المطال يشجي والدعاء يقي والمدح ينقي والحر يجزي والالطاط يخزي واطراح ذي الحرمة غي
ومحرمة بني الامال بغي وما ضن الا غبين ولا خزن الا شقي ولا قبض راحته تقي وما
فتئ وعدك يفي وآراؤك تشفي وهلالك يضيء وحلمك يغضي وآلاؤك تغني واعداؤك
تثني وحسامك يفني وسؤددك يبني وتوصلك يحيي ومادحك يقتني وسماحك يغيث
وسماؤك تغيث ودرك يفيض وردك يغيض ومؤملك شيخ حكاه فيء ولم يبق شيء
امك بظن حرصه ينبي ومدحك يخنع هو دها انحرم يخفف واصره تنقف
واطراوح يحذب وملامه يجنب وراية ضعفت هممه سطعت حصاهم حنف وعمهم
قشف وهو مع يجب وله بنيت وهم تصيف وكم نفث لما مول خيب عدو بيت
وهد وتعيب فلم نرع وده فنغص ولا اخت عوده فنقض ولا نقت صدره
فنفض ولا نشر وصله فيغض وما انقضى كرمك سند حر فيض امله تخفيف الماه
بيت حمدك بين عالمه بقيت لاماطة شجي واعطاء نشب ومداواة شجن ومراعاة
نفس موصولا تخفض وسرود غص الخشى معهد عني اوحشى وهم عني والسلام فلما
فرغ من املاء رسالته وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته انصت الجماعة قولا وفعلا

واوسعته حفاوة وطولا ثم سئل عن اي الشعب نجاره وفي اي الشعاب وجاره فقال
شعر غسان اسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة فالبيت مثل الشمس اشراقا ومنزلة
جسيمة والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمة واها لعيش كان لي فيها ولذات عميمة
ايام اسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة اختال في برد الشباب واجتلي النعم الوسيمة
لا اتقي نوب الزمان ولا حوادثها الملمة فلو ان كربا متلفا لتلفت من كربي المقيمة او
يفتدى عيش مضى لفديته بمهجتي الكريمة فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمة تقتاده
برع الصغار الى العظيمة والهضيمة وترى السباع تنوشها ايدي الضباع المستضيمة
والذنب للايام لولا شؤمها لم تنب شيمة ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمة
ثم ان حيزة تنحى الى الوالي فملا فاه من اللالي وسامه ان يصوب لاحتابه ويحو ديوان انشائه
فاحسنه الحباء وظلفه عن الولاية الا باقلا الرواح وكثير غو عوده شجر بعقل انساع
ثم انه وكيف ابنه على علوه وقدم قبل استنارة بدره فاوحى الى بما حضنه الاجر عصبه
من جفنه فلما خرج بطن الخرج وفصل عائراً بالفلج شيعته قاضيا حق رعايته ولاحيا
له على رفض الولاية فاعرض متبسما وانشدني مترنما شعر لجوب البلاد مع المتربة احب
الي من الرتبة لان ولاة الدهر سوء ومعتبة المطامعة واسقم من ترفي الصنيع والامر
يشيد من مرتبة ولا يخدعنك لموع السراب ولا تأتمر اذا ما اشتبه فكم حالم سره حلمه
وادركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة

عن تلك المدينة او اشهد بها يوم الزينة فلما اظل العيد بفرضه ونفله واجلب بخيله

ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التام جمع المصلى

وانتظم واخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة

واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من

دعائه اجال خمسه في وعائه فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ في اوان الفراغ

فناولهن عجوزه الحيزبون وامرها بان تتوسم الزبون فمن انست ندى يديه القت ورقة

منهن لديه قال فاتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب شعر لقد اصبحت موقوذا

باوجاع واوجال وممنوا بمحتال ومختال ومغتال وخوان من الاخوان قال لي وقالي

واعمال من العمال في تضليع اعمالي فكم اصلى باذحال واحوال وترحال وكم اخطر في بالي

ولا اخطر في بال فليت الدهر لما جار اطفالي اطفالي فلولا ان اشبالي اغلالي واعلالي

لما جهزت امالي الى الال ولا الوال ولا جرت اذيالي على مسحب اذلالي فمحرابي احرى بي واسمالي

اسمى لي فهل حر يرى تخفيف اثقالي بمثقال ويطفي حر بلبالي بسربال وسروال قال الحارث

بن همام فلما استعرضت حلة الابيات تقت الى معرفة ملحمها ووشي علمها فناجاني الفكر

بان الموصل اليه العجوز وافتاني بان حلوان المعرف يجوز فرصدتها وهي تستقري الصفوف

صفا فصفا وتستوكف الاكف كفا فكفا وما ان ينجح لها عناء ولا يرشح على يدها اناء

فلما اكدى استعطاؤها وكدها مطاؤها عادت بالاسترجاع ومالت الى ارتجاع الرقاع و

انساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج الى بقعتي وآبت الى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل الزمان

فقال انا لله وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم انشد شعر لم يبق صاف

ولا مصاف ولا معين ولا معين وفي المساوي بدا التساوي فلا امين ولا ثمين ثم قال لها منى النفس

وعديها واجمعي الرقاع وعديها فقالت لقد عددتها لما استعدتها فوجدت يد الضياع

قد غالت احدى الرقاع فقال تعسا لك يا لكاع انحرم ويحك القنص والحبالة والقبس و

الذبالة انها لضغث على ابالة فانصاعت تقتص مدرجها وتنشد مدرجها فلما دانت مني قرنت

بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت في المشوف المعلم واشرت الى الدرهم فبوحي

بالسر المبهم وان ابيت ان تشرحي فحوزي القطعة واسرحي فمالت الى استخلاص البدر التم و

الاهلة الاتم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر

وناسج بردته فقالت ان الشيخ من اهل السروج وهو الذي وشى الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم

خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه وتاججت كربي

لمصابه بناظريه وآثرت ان افاجئه واناجيه لاعجم عود فراستي فيه وما كنت لاصل اليه

الا بتخطي رقاب الجمع المنهي عنه في الشرع وعفت ان تتاذى بي قوم او يسري الى لوم فكنت

جعلت شخصه قيد عياني حتى انقضت الخطبة وحقت الوثبة فخففت اليه

وتوسمته على التحام حفيته فاذا الالمعية المعية ابن عباس وفراستي فراسة اياس فعرفته هنيئة

شخصي وآثرته بالحدق قصي وأهبت به إلى قرصي فهش لعارفتي وعرفاني ولبى دعوة رغفاني
وانطلق ويدي زمامه وظلي إمامه والعجوز ثالثة الأثافي والرقيب الذي لا يخفى عليه خافي
فلما استحلس وكني وأحضرته عجالة تمكني قال يا حارث أمعنا ثالث فقلت ليس إلا العجوز
قال ما دونها سر محجوب ثم فتح كريمتيه ورأرأ بتوأمتيه فإذا سراجا وجهه يقدان كأنهما
الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره ولم يلقني قرار ولا أطاعني صبر
حتى سألته ما دعاك إلى التعامي مع سيرك في المعامي وجوبك للموامي وإيغالك في المرامي
فتظاهر باللكنة وتشاغل باللهنة حتى إذا قضى وطره أتأر إلي نظره وأنشد شعر

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى ... عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ... ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف
وينقي الكف وينعم البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف الظرف
أريج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن به
خلالة نقية الأصل محبوبة الوصل أنيقة الشكل مدعاة إلى الأكل لها نحافة الصب
وصقال العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب قال فنهضت فيما أمره لأدرأ عنه الغمر ولم
أهتد أنه قصد أن يخدع بإدخالي المخدع ولا ظننت أنه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة
والغسول فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا
فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت في إثره طلبا فكان كمن غمس في الماء أو عرج به إلى أعنان

السماء

المقامة الثامنة تتضمن محاكمة ولديه إلى قاضي معرة النعمان في لغز وأحاجي

أخبر الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم
خصمان إلى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الأطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ
أيد الله القاضي كما أيد به المتقاضي إنه كانت لي مملوكة رشيقة القد أسيلة الخد صبور على
الكد تخب أحيانا كالنهد وترقد أطوارا في المهد وتجد في تموز مس البرد ذات عقل وعنان
وحد وسنان وكف ببنان وفم بلا أسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في
سواد وبياض وتسقى ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خباة طلعة مطبوعة على المنفعة
مطاوعة في الضيق والسعة إذا قطعت وصلت ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما
خدمتك فجملت وربما جنت عليك فآلمت وململت وإن هذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمته
إياها بلا عوض على أن يجتني نفعها ولا يكلفها إلا وسعها فأولج فيها متاعه وأطال بها استمتاعه
ثم أعادها وقد أفضاها وبذل عنها قيمة لا أرضاها فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا
وأما الإفضاء ففرط عن خطأ وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي متناسب الطرفين
منتسبا إلى القين نفاعا من الدين والشين يقارن محله سواد العين يفشي الإحسان وينشي
الاستحسان ويغذي الإنسان ويتحامى اللسان إن سود جاد وإن وسم أجاد وإذا زود وهب
الزاد ومتى استزيد زاد لا يستقر بمغنى وقلما ينكح إلا مثنى يسمح بموجوده ويسمو عند جوده
وينقاد مع قرينته وإن لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وإن لم يطمع في لينته فقال لهما

القاضي اما ان تبينا والا فبينا فاطرق الشيخ واطال فابتدر الغلام وقال شعر اعارني

ابرة لارفو طمارا اعفاها البلى وسودها فانخرمت في يدي على خطا مني لما جذبت مقودها

فلم ير الشيخ ان يسامحني بارشها اذ راى تاودها بل قال هات ابرة تماثلها او قيمة بعد ان

تجودها والصق بي رهنها الذبه وناهيك بها سبة ترددها فالعين مرهها الرهين ويدي

تقصر عن نفث ردها فاسبر لذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يكن تعودها فاقبل

القاضي على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال الشيخ شعر اقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين

خيف منى لو ساعفتني الايام لم ترني مرتهنا مسيلة الكحل وهنا ولا تصديت ابتغي بدلا من ابرة

غالها ولا ثمنا لكن قوس الخطوب ترشقني بعصبها من هاهنا وهنا ومن جالي بخبر حالته

ضرا وبؤسا وغربة وضنا قد عدل الدهر بيننا فانا نظيره في الشقاء وهو انا لا هو يستطيع

فك مرهونه لما غدا في يديه مرتهنا ولا مجالي لضيق ذات يدي فيه اتساع للعفو حين جنا

هذه قصتي وقصته فانظر الينا وبيننا ولنا فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما

وتخصصهما ابرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ

دون الحدث واستخلصه على وجه الجد لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مرتجى وسهمك لي

عن ارش ابرتي ولست عن الحق اميل فقم وخذ الميل فغشي الحدث لما حدث اكتئاب ووجم لذلك القاضي

وهيج اسفه عن الدينار الماضي الا انه جبر بالنفس وبلباكه بدرهمين رضخ بهما وقال

لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا

من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ نض حجره ولا ينصل كمده مذ

نشج حلبه حتى اذا افاق من غشيته اقبل على غاشيته وقال قد اشرب حسي ونباني حدسي

انهما صاحبا دهاء لا خصما ادعاء فكيف السبيل الى سبرهما واستنباط سرهما فقال له نحرير

زمرته وشارة جمرته انه لن يتم استخراج خبئهما الا بهما فقفاهما عونا يرجعهما فلما مثلا بين يديه

قال لهما اصدقاني سن بكركما ولكما الامان من تبعة مكركما فاحجم الحدث واستقال واقدم الشيخ

وقال شعر انا السروجي وهذا ولدي والشبل في المخبر مثل الاسد وما تعدت يده ولا

يدي في ابرة يوما ولا في مرود وانما الدهر المسيء المعتدي مال بنا حتى غدونا نجتدي كل ندي

الراحة عذب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد بكل فن وبكل مقصد بالجد ان اجدى

والا بالدد لنجتلب الرشح الى الحظ الصدي وننفد العمر بعيش انكد والموت من بعد لنا بالمرصد

لو لم يفاجي اليوم فاجى غد فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثات فيك وواها لك

لولا خدع فيك واني لك من المنذرين وعليك من الحذرين فلا تمار بعدها الحاكمين واتق

سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل اوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته

والارتداع عن ابيسوره وفصل عن جهته والخزي يلمع من جبهته قال الحارث بن همام فلم ار

اعجب منها في تصاريف الاسفار ولا قرات مثلها في تصانيف الاسفار

المقامة التاسعة الاسكندرية تتضمن مشاجرة وجت الحكام

اخبر الحارث بن همام قال طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار

٣٠

لا أجني الثمار وأقتحم الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت
من وصايا الحكماء أنه يلزم الأديب الأريب إذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص
مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الأدب إماماً
وجعلته لمصالحي زماماً فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء
بالراح وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية في عشية
عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات إذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مضية
فقالت أيد الله القاضي وأدام به التراضي إني امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف خؤولة
وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون وكان أبي
إذا خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بأنه عاهد
الله تعالى أن لا يصاهر غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخدعة نادي
أبي فأقسم بين رهطه أنه وفق شرطه وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما ببدرة فاغتر
أبي بزخرف محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن أناسي
ونقلني إلى كسره وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته ضجعة نومة وكنت صحبته
بريش ورئي وأثاث وزي فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم والقضم
حتى مزق مالي بأسره وأنفق مالي في عسره فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي أنقى من الراحة قلت
يا هذا إنه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك واجن ثمرة براعتك

٣١

فزعم أن صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض من الفساد ولي منه سلالة كأنه
خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقأ لنا من الطوى دمعة وقد قدته إليك وأحضرته
لديك لتعجم عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص
عرسك فبرهن عن نفسك وإلا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فأطرق إطراق الأفعوان ثم شمر
للحرب العوان وقال بشعر: اسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شرحه وينتحب أنا امرؤ ليس في
خصائصه عيب ولا في فخاره ريب سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حين أنتسب و
شغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض
والخطب أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأنتخب وأجتني اليانع الجني من القول وغيري
للعود يحتطب وآخذ اللفظ فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب وكنت من قبل أمتري نشباً
بالأدب المقتنى وأحتلب ويمتطي أخمصي لحرمته مراتباً ليس فوقها رتب وطالما ذقت الصلات
إلى ربعي ولم أرض كل من يهب فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب لا عرض أبنائه
يصان ولا يرقب فيهم إلٌّ ولا نسب كأنهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب فحار لبي لما
منيت به من الليالي وصرفها عجب وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري المليم إلى سلوك ما يستشينه الحسب فبعت حتى لم يبق لي سبد ولا بتات إليه
أنقلب وادّنت حتى أثقلت كاهلي الفتى محامد من دونه العطب ثم طويت الحشا على سغب
خمساً فلما أمضني السغب لم أر إلا جهازها عرضاً أجول في بيعه وأضطرب فجلت فيه والتفرقا

والعين عبرى والقلب مكتئب وما تجاوزت إذ عبثت به حد التراضي فيحدث الغضب فإن يكن غاظها توهمها أن بناني بالنظم تكتسب أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي لينجح الأرب فوالذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها النجب ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمويه والكذب ولا يدي مذ نشأت نيط بها إلا وصي اليراع والكتب بل فكرتي تنظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب وهذه الحرفة المشار إلى ما كنت أحوي بها وأجتلب فأذن بشرحي كما أذنت لها ولا تراقب واحكم بما يجب قال فلما أحكم ما شاده وأكمل إنشاده عطف القاضي إلى الفتاة بعد أن شغف بالأبيات وقال أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام وميل الأيام إلى اللئام وإني لأخال بعلك صدوقا في الكلام بريا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين أنه معروق العظم وإعنات المعذر ملأمة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي إلى خدرك واعذري أبا عذرك ونهنهي عن غربك وسلمي لقضاء ربك ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبصة وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار وهزة الموسر بعد الإعسار قال الراوي وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح عن افتنانه وأثمار أفنانه ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق

لسانه فلا يرى عند عرفانه أن يرشحه لإحسانه فأحجمت عن القول إحجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب إلا أنني قلت بعد ما فصل ووصل إلى ما وصل لو أن لنا من ينطلق في إثره لأتانا بنفض خبره وبما ينشر من حبره فأتبعه القاضي أحد أمنائه وأمره بالتجسس عن أنبائه فما لبث أن رجع متدهدها وقهقه مقهقها فقال له القاضي مهيم يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لي طربا فقال له ماذا رأيت وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول شعر

كدت أصلى بلية من وقاح شمرية
وأزور السجن لولا حاكم الإسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء إلى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الأمين علي به فانطلق مجدا في طلبه ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال القاضي أما إنه لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة خير له من الأولى قال الحارث بن همام فلما رأيت صغو القاضي إليه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة

تتضمن حلية علي إلى الرحبة حمد وله

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي وبرزت من الحمام بعد أن سبت راسي رأيت غلاما أفرغ في قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه يدعي أنه فتك بابنه والغلام

يعرفه ويكبر قدره والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الأخيار والأشرار
الحال تراضيا بعد اشتطاط اللاحي بالتشاور إلى والي البلد وكان ممن يزن بالهنات ويغلب حب
البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته كالسليك في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه
واستدعى عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرته وطر عقله بتصفيف طرته فقال
إنها إفيكة أفاك على غير سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال الوالي للشيخ إن
شهد لك عدلان من المسلمين وإلا فاستوف منه اليمين فقال الشيخ إنه جدله خاليا وأفاح
دمه خاليا فأنى لي شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه اليمين ليبين لك أيصدق أم يمين
فقال له أنت المالك لذلك مع وجد المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذي
زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والأنوف بالشمم
والخدود باللهب والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور بالهيف إنني ما قتلت ابنك
سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفي غمدا وإلا فرمى الله جفني بالعمش وخدي بالنمش
وطرتي بالجلح وطلعي بالبلح ووردي بالبهار ومسكي بالبخار وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق
وشعاعي بالظلام ودوحي بالأوام فقال الغلام الاصطلاء بالبلية ولا الإيلاء بهذه الألية
والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به أحد فأبى الشيخ إلا تجريعه اليمين التي لفق عرها ومقر له
جرعها ولم يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تعتور والغلام في ضمن تأبيه يتخالب
الوالي بتلويه ويطمعه في أن يلينه إلى أن زها هواه على قلبه وسول له الوجد التخلي به

فتيمه

تيمه والطمع اللذ توهمه أن يخلص الغلام ويستخلصه وأن ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه
فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالأقوى وأقرب للتقوى فقال إلام تشير لأقتفيه ولا [illegible]
لك فيه فقال أرى أن تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه على مائة مثقال لأتحمل منها بعضا
وأجتبي لك الباقي عرضا فقال الشيخ ما مني خلاف فلا يكن لوعدك إخلاف فنقد الوالي عشرين
ووزع على زعنفته تكملة خمسين ورق ثوب الأصيل وانقطع لأجله صوب التحصيل فقال له
خذ ما راج ودع عنك اللجاج وعلي في غد أن أتوصل إلى أن أنض لك الباقي وأحصل فقال الشيخ
أقبل منك على أن ألازمه ليلتي ويرعاه إنسان مقلتي حتى إذا أدى بعد إسفار الصبح ما
بقي من مال الصلح تخلصت قاتيته من حوب وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالي ما أراك
سمت شططا ولا رمت فرطا قال الحارث بن همام فلما رأيت الشيخ كالح الشيمة علمت أنه
علم السروجية فلبثت إلى أن زهرت نجوم الظلام واستترت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي
فإذا الشيخ للفتى كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي وحل الصيد فقلت من هذا الغلام
الذي هفت له الأحلام قال هو في النسب فرخي وفي الاكتساب فخي فقلت هلا اكتفيت بحلي فطرته وكفيت الوالي
الافتتان بطرته فقال لو لم تبرز جبهته بسين لما قفشت الخمسين ثم قال بت الليلة عندي
لنطفئ الجوى ونذيل الهوى فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة وأصلي قلب الوالي نار حسرة
فقضيت الليلة في سمر ألذ من حديقة زهر وحملة شجر حتى إذا ألأ الأفق ذنب السرحان
وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالي عذاب الحريق وتملأ إلى ساعة الفراق

رقعة محكمة الالصاق وقال ادفعها الى الوالي اذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فاذا فيها مكتوب شعر

قل لوال غادرته بعد بين • نادما سادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه • لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين اعمى هواه • عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما يحـ • ـدي طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جـ • ـل لدى المسلمين رزء الحسين
فقد اعتضت عنه فهما وحزما • واللبيب الاريب يبغي بطلب دين
فاعص من بعدها المطامع واعلم • ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ • ولو كان محلقا باللجين
فلكم من سعى ليصطاد فاصطيد • ولم يلق غير خفي حنين
فتبصر ولا تشم كل برق • رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام • تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس • وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر ولم ابال اعدل ام عذر

المقامة الحادية عشرة وتعرف بالساوية

حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت الى محلة الاموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنون يقبر فانحزت اليهم متفكرا في المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما الحدوا الميت وفات قول ليت اشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادكروا ايها الغافلون وشمروا ايها المقصرون واحسنوا النظر ايها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب ولا

يهولكم هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الاحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي تسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا تلتاعون لمناحة تعقد يشيع احدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلي بين ودوده ودوده ثم يخلو بمزاهره وعوده طالما اسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الاحبة واستكنتم لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم يوم قبض الجوائز واعرضتم عن تعديد النوادب الى اعداد المآدب وعن تحرق الثواكل الى التأنق في المآكل لا تبالون بمن هو بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام او حصلتم من الزمان على امان او وثقتم بسلامة الذات او تحققتم مسالمة هادم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم انشد شعر

أيا من يدعي الفهم • الى كم يا اخا الوهم
تعبي الذنب والذم • وتخطي الخطأ الجم
اما بان لك العيب • اما انذرك الشيب
وما في نصحه ريب • ولا سمعك قد صم
اما نادى بك الموت • اما اسمعك الصوت
اما تخشى من الفوت • فتحتاط وتهتم
فكم تسدر في السهو • وتختال من الزهو
وتنصب الى اللهو • كأن الموت ما عم
وحتى م تجافيك • وابطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك • عيوبا شملها انضم
اذا اسخطت مولاك • فما تقلق من ذاك
وان اخفق مسعاك • تلظيت من الهم
وان لاح لك النقش • من الاصفر تهتش
وان مر بك النعش • تغاممت ولا غم
تعاصي الناصح البر • وتعتاص وتزور
وتنقاد لمن غر • ومن مان ومن نم
وتسعى في

في هوى النفس وتحتال على الفلس وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثمّ ولو لاحظك الحظّ

لما طاح بك اللحظ ولا كنت اذا الوعظ جلا الاحزان تغتمّ ستذري الدم لا الدمع اذا عاينت لا

جمع يقي في عرصة الحشر ولا خال ولا عمّ كأنّي بك تنحطّ الى اللحد وتنغطّ وقد اسلمك

الرهط الى أضيق من سمّ هناك الجسم ممدود ليستأكله الدود الى ان ينخر العود ويمسي

العظم قد رمّ ومن بعد فلا بدّ من العرض اذا اعتدّ صراط جسره مدّ على النار لمن امّ فكم

من مرشد ضلّ ومن ذي عزّة ذلّ وكم من عالم زلّ وقال الخطب قد طمّ فبادر ايها الغمر

لما يحلو به المرّ فقد كاد يهي العمر وما اقلعت عن ذمّ ولا تركن الى الدهر وان لان وان سرّ

فتلفى كمن اغترّ بأفعى تنفث السمّ وخفّض من تراقيك فان الموت لاقيك وسار في تراقيك وما

ينكل ان همّ وجانب صعر الخدّ اذا ساعدك الجدّ وزمّ اللفظ ان ندّ فما اسعد من زمّ ونفّس

عن اخي البثّ وصدّقه اذا انثّ ورمّ العمل الرثّ فقد افلح من رمّ وريّش من ريشه انحصّ

بما عمّ وما خصّ ولا تأس على النقص ولا تحرص على الكمّ وعاد الخلق الرذل وعوّد كفّك البذل

ولا تستمع العذل ونزّهها عن الضمّ وزوّد نفسك الخير ودع ما يعقب الضير وهيّئ مركب السير

وخف من لجّة اليمّ بذا اوصيت يا صاح وقد بحت كمن باح فطوبى لفتى راح لآدابي يأتمّ ثم حسر

ردنه عن ساعد شديد الأسر وقد شدّ عليه جبائر المكر لا الكسر متعرضا للاستماحة في معرض

الوقاحة فاجتلب اولئك الملأ اريحيّة كرمهم وملأ اتم اخذ من الربع حتى لا الحبوة قال الراوي

فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت اليّ مستسلما وحيّاني مسلما فامعنت النظر

في وجهه بعيثه ومينه فقلت له الى كم يا ابا زيد فانيك في الكيد لتحاش لك الصيد فاذا هو

ولا تعبأ من ذمّ فاجابه من غير استحياء ولا ارتياء وقال تبصّر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم فتى

لا يقمر القوم متى ما دست ثم فقلت له يا شيخ بعدا لك النار وذاملة العار فما مثلك في

طلاوة علانيتك وخبث نيتك الا مثل روث مفضّض او كنيف مبيّض ثم تفرقنا فانطلق

ذات اليمين وانطلقت ذات الشمال وتناوحت مهبّ الجنوب وناوح مهبّ الشمال

المقامة الثانية عشرة تتضمن حكاية للقافلة بالغوطة والدعوات

حكى الحارث بن همام قال شخصت من العراق الى الغوطة وانا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة

يلهيني خلوّ الذرع ويزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شقّ النفس وانضاء العنس الفيتها

كما تصفها الالسن وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلقا مع الهوى

وطفقت افضّ بها ختوم الشهوات واجتني قطوف اللذات الى ان شرع سفر في الاعراق وقد استففت

من الاعراق فعادني عيد من تذكار الوطن والحنين الى العطن فقوّضت خيام الغيبة واسرجت

جواد الاوبة ولما تأهّبت الرفاق واستتبّ الاتفاق احتشمنا من السير دون استصحاب خفير فرُدنا

من كل قبيلة واعملنا في تحصيله الحيلة فأعوز وجدانه في الاحياء حتى خلنا انه ليس من الاحياء

فحار لعوزه عزائم السيارة وانتدوا بباب جيرون للاستشارة فما زالوا بين عقد وحلّ وشزر وسحل

الى ان نفد التناجي وقنط الراجي وكان بحذائهم شخص ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس

الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة النشوان وقد قيّد لحظه بالجمع وارهف اذنه

٤٠

لاستراق السمع فلما آن انكفاؤهم وقد برح بهم جفاؤهم قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم
فما أخفركم بما يسر روعكم ويبلد طوعكم قال الراوي فاستطلعنا منه طلع الخفارة وآنسنا
الحوالة على السفارة فزعم أنها كلمات تلقنها في المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل بعضنا
يومض إلى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغض وتبين لنا أنا استضعفنا الخبر واستشعرنا
الخور فقال ما لكم انتحلتم جدّكم عبثًا وجعلتم تبري خبثًا ولطالما والله جبت مخاوف
الأقطار وولجت مهالك الأخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم إني
سأنفي ما رابكم واستسل الحقد الذي نابكم بأن أوافقكم في البداوة وأرافقكم إلى السماوة
فإن صدقكم وعدي فاجدوا وأسعدوا وأحمدوا وإن كذبكم فمي فمزقوا أديمي وأريقوا دمي
قال الحارث بن همام فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا عن مجادلته واستهمنا
على معادلته وفصمنا بقوله عرى الرائث وألقينا اتقاء العائث والعاكث
فلما زمت الرحال وأزف الترحال استنزلنا كلماته الراقية لنحلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل
منكم أم القرآن كلما أطل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا محيي الرفات
ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافات ويا موئل العفاة ويا ولي العفو
والمعافات صل على محمد خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح
نصرته وأعذني من نزغات الشياطين وروعات السلاطين وإعنات الباغين ومعاداة
الطاغين ومعادات العادين وعدوان العادين وغلب الغالبين وسلب السالبين

وحيل المحتالين وغيلة المغتالين وأجرني اللهم من جور المجاورين وسطوة الجائرين وكف عني
أكف الظالمين وأخرجني من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين اللهم
احفظني في غربتي وقربتي وغيبتي وأوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي
ودعتي ومباهتي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وعددي وعددي وسكني ومسكني
وحولي وحالي ومآلي ولا تلجئني إلى تغير ولا تسلط علي مغيرًا واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا
اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمانك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني
إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاشي اللأواء
واكنفني بغواشي الآلاء ولا تظفر بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير لحظًا ولا
يحير لفظًا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته غشية ثم رفع رأسه وصعد أنفاسه وقال أقسم
بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء
والعجاج إنها لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابسي الخوذ من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من
خطب إلى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من السرق قال فتلقناها حتى أتقناها
وتدارسناها لكيلا ننساها ثم سرنا نزجي الحمول بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكماة
وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستنجز منا العدة حتى إذا عاينا أطلال عانة قال
لنا الإعانة الإعانة فأحضرناه المعلوم والمكتوم وأريناه المختوم والمركوم وقلنا له اقبض ما انتقيت
فما اجتذب ما رأى ولا راعني فما استخف سوى الخف الأجلى بعينه غير العين فاحتمل منها وقره وقال

يد فقره ثم جالسنا مجالسة الطراد وانسلكت معنا انسلاك الفرائد فاوحشنا فراقه وادهشنا
احراقه ولم نزل ننشده بكل نادٍ ونستخبر منه كل مغدٍ وهادٍ الى ان قيل انه مذ دخل عانة ما فارق
الحانة فاغراني خبث هذا القول بسبر عوده والانسلاك فيما لست من سلكه فادلجت الى الدن
في هيئة منكرة فاذا الشيخ في حلة ممصرة بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع
تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان وطورا يستنطق العيدان ودفعة
يستنشق الريحان واخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه من امسه قلت
له اولى لك يا ملعون انسيت يوم جيرون فضحك مستغربا وانشد مطربا شعر
لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لاجني الفرح وخضت السيول ورضت
الخيول لجر ذيول الصبا والمرح وامطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح الى شرب راح لما كان باح فمي بالملح ولا كان ساد دهائي الرفاق لارض العراق
بحمل السبح فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح ولا تعجبن لشيخ ابن بمغنى
اغن ودن طفح فان المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح واصفى السرور اذا ما
الوقور اماط ستور الحيا واطرح واحلى الغرام اذا المستهام اماط اكتتام الهوى وافتضح
فبح بهواك وبرد حشاك فزند اساك به قد قدح وداو الكلوم وسل الهموم ببنت الكروم
التي تقترح وخص الغبوق بساق يسوق بلاء المشوق اذا ما طمح وشاد يشيد بصوت يعيد
جبال الحديد اذا ما صدح وعاص النصيح الذي لا يبيح وصال المليح اذا ما سمح وجل بالمحال و

بالمحال ودع ما يقال وخذ ما صلح وفارق اباك اذا ما اباك ومد الشباك وصد ما سنح
وصاف الخليل وعاف البخيل واول الجميل ووال المنح ولذ بالمتاب امام الذهاب فمن دق
باب كريم فتح فقلت له بخ بخ لرواياتك واف وتف لغواياتك فبالله من اي الاعياص عيصك
فقد اعضلني تخريصك فقال ما احب ان افصح عني ولكني ساكني وانشد شعر انا اطروفة
الزمان واعجوبة الامم وانا الحول الذي احتال في العرب والعجم غير اني ابن حاجة هاضه الدهر واهتضم
وابو صبية بدا مثل لحم على وضم واخو العيلة المعيل اذا احتال لم يلم قال الراوي فعرفت حينئذ
انه ابو زيد ذو الريب والعيب ومسود وجه الشيب فعضلة العضل وابرضانه من حائل الحيل
وساءني عظم تمرده وقبح تورده فقلت له بلسان الانفة وادلال المعرفة اما آن لك يا شيخنا
ان تقلع عن الخنا فضجر وتنكر وفكر ثم قال انها ليلة مرح لا ملاح وهزة شرب لا تلاح
فعد عما بدا الى ان نتلاقى غدا ففارقته فرقا من عربدته لا تعلقا بعدته وبت ليلتي لابسا حداد
الندم على نقل خطى القدم الى ابنة الكرم لا ابن الكرم وعاهدت الله سبحانه وتعالى ان لا احضر
بعدها حانة نباذ ولو اعطيت ملك بغداد وان لا اشهد معصرة الشراب ولو رد علي عصر
الشباب ثم انا رحلنا العيس وقت التغليس وخلفنا الشيخ ابن ابليس

المقامة الثالثة عشر وتعرف بالزورائية

روى الحارث بن همام قال شتوت ب
الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجري معهم ممار في مضمار فافضنا في
حديث يفضح الازهار الى ان نصفنا النهار فلما غاض در الافكار وصبت النفوس الى الاوكار

فإذا عجوز تقبل من البعد وتحضر إحضار الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل و
أضعف من الجوازل فما كذبت إذ رأتنا أن عرتنا حتى إذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف وإن
لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الأرامل أني من سروات القبائل لم يزل أهلي وبعلي
يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الأعضاد وفجع
بالجوارح الأكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت
الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش
الأخضر وازور المحبوب الأصفر اسود يومي الأبيض وابيض فودي الأسود حتى رثى لي العدو الأزرق
فحبذا الموت الأحمر وتلوي من ترون عينه فراره وترجمانه صفاره قصوى بغية أحدهم ثردة وقصارى
منيته بردة وكنت آليت أن لا أبذل الحر إلا للحر ولو أنني مت من الضر وقد ناجتني القرونة
بأن توجد عندكم المعونة وآذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمي وصدق
توسمي ونظر إلي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود قال الحارث بن همام فهمنا البرعة
عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلمامك فقالت أفجر الصخر ولا
فخر فقلنا إن جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعاري ثم لأسمعنكم
أشعاري فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وأنشأت تقول بسعر
أشكو إلى الله اشتكاء المريض ريب الزمان المتعدي البغيض يا قوم إني من أناس غنوا دهرا
وجفن الدهر عنهم غضيض فخارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض كانوا إذا ما

نجعة عوزت في السنة الشهباء روضا أريض تشب للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ولا لروع قال حال الجريض فغيضت منهم صروف الردى بحار جود لم أخلها
تغيض وأودعت منهم بطون الثرى أسد التحامي وأساة المريض فحالي بعد المطايا المطا وموطني بعد
اليفاع الحضيض وأفرخي ما تأتلي تشتكي بؤسا له في كل يوم وميض إذا دعا القانت في ليله مولاه
نادوه بدمع يفيض يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض أتح لنا اللهم من عرضه
من دنس اللؤم نقي رحيض يطفي نار الجوع عنا ولو بمذقة من حازر أو مخيض فهل فتى يكشف ما نابنا
ويغنم الشكر الطويل العريض فوالذي تعنو النواصي له يوم وجوه الجمع سود وبيض لولاهم لم تبد
لي صفحة ولا تصديت لنظم القريض قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب و
استخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح فلما أفعم
جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت تتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة
بعد ممرها إلى سبرها لتلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو
أثر العجوز حتى انتهت إلى سوق مغتصة بالأنام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار وأملست
من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلو بال إلى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا
ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما سيبدو من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبي زيد قد
سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على ما أجرى عليه فاستلقى استلقاء المتردين ثم دفع عقيرة
المغردين واندفع ينشد يا ليت شعري أدهري أحاط علما بقدري وهل درى كنه حالي

في الخدع أم ليس يلدغ كم قد قمرت بنيه بمحيلتي وبمكري وكم برزت بعرف عليهم وبنكر أصطاد

قوماً بوعظ وآخرين بشعر واستفز بخل عقلاً وعقلاً بخمر وتارة أنا صخر وتارة أخت صخر

ولو سلكت سبيلاً مألوفة طول عمري لخاب قدحي وقدحي ودام عسري وحسري فقل لمن لام

هذا عذري فدونك عذري قال الحارث بن همام فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره (وقفت)

في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيت إلى أصحابي

عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشرة تتضمن خروجه من بغداد إلى الحج

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث

صادف موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما يقي حر الظهيرة فبينما نحن تحت طراف

مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى لمع عين الحرباء إذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه

فتى مترعرع فسلم الشيخ تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لا غريب فأعجبنا بما انتثر من

سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له ما أنت وكيف ولجت وما استأذنت فقال

أما أنا فعافٍ وطالب إسعاف وسري غير خافٍ والنظر إلي شفيع لي كافٍ وأما الانسياب

فالذي علق به الارتياب فما هو عجاب إذ ما على الكرماء من حجاب فسألناه أنى اهتدى إلينا وكيف

استدل علينا فقال إن للكرم نشراً تتم نفحاته وتهدي الجد وصيف فوحاته فاستدللت

بأريج عرفكم ونشر تضوع بذلكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانته

لنكفل بإعانته فقال إن لي مأرباً ولفتاي مطلباً فقلنا كلا المرامين سيقضى وكلاكما سوف

يرضى ولكن الكبر الكبر فقال أجل ومن دحا السبع الغبر ثم وثب للمقال كالمنشط من العقال

وأنشد شعر إني امرؤ أبدع بي بعد الوجى والتعب وشقة شاسعة يقصر عنها الخبب

وما معي خردلة مطبوعة من ذهب فحيلتي منبتة وحيرتي تلعب بي إن رحلت راجلاً أحفت

دوني العطب وإن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي فرقوا في صعد حسرتي في صبب وأنتم

منتجع الراجي ومرمى الطلب ما لكم منهلة ولا انهلال السحب وجاركم في حرم ووفركم في حرب

ما الأذعر تاع بكم فخاف ناب النوب ولا استدر أمل حياكم فما حبي فانعطفوا في قصتي وأحسنوا

منقلبي فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي لساءكم ضري الذي أسلمني للكرب ولو خبرتم حسبي

ونسبي ومذهبي وما حوت معرفتي من العلوم النخب لما اعترتكم شبهة في أن دائي أدبي فليت أني

لم أكن أرضعت ثدي الأدب فقد دهاني شؤمه وعقني فيه أبي فقلنا له أما أنت فقد صرحت

أبياتك بفاقتك وعطفنا قلبك بنطقك لما يوصلك إلى بلدك فما مأربة ولدك فقال

له قم يا بني كما قام أبوك وفه بما في نفسك لا فض فوك فنهض الفتى نهوض البطل للبراز وأصلت

لساناً كالعضب الجراز وأنشأ يقول شعر يا سادة في المعالي ما إن لهم مثل ومن إذا ناب

خطب قاموا بنفع المكيدة ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيدة أريد منكم شواءً وجردقاً بعصيدة

فإن علا فرقاق به تواري الشهيدة أو لم يكن ولا ذا فشبعة من ثريدة فإن تعذر

بسطاً فعجوة وهيدة فاحضروا ما تسنى ولو تشظى من قديدة وزودوه فنفسي لما يروح مريدة

والزاد لابد منه لرحلة لي بعيدة وانتم خير رهط تدعون عند الشدائد اياديكم كل يوم لها اياد
جديدة ولحكم واصلا اشمل الصلات المفيدة وبغيتي في مطاوي ما تردون زهيدة وفي
اجور عقبى تنفيس كربي حميدة ولي نتائج فكر يفضح كل قصيدة قال الحارث بن همام فلما راينا
الشبل يشبه الاسد رحلنا الوالد وزودنا الولد فقابلا الصنع بشكر نشرا ارديته وادّيا
به ديته ولما عزما على الانطلاق وعقدا للرحلة حبل النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا
عدة عرقوب او بقيت حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم وجلى فقلت
له فد فاكم دناك وافدنا كما افدناك فقال ان الدويرة فقد ملكتها الجيرة فتنفس تنفس من ادكر
اوطانه وانشد والشهيق يعتم لسانه شعر سروج داري ولكن كيف السبيل اليها وقد اناخ الاعادي
بها واخنوا عليها فوالذي سرت ابغي حط الذنوب لديها ما راق طرفي شيء مذ غبت عن طرفيها ثم
اغرورقت عيناه بالدموع واذنت مدامعه بالهموع فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها
فقطع انشاده المستحلى واوجز الوداع وولى

المقامة الخامسة عشر تتضمن صفة التمر واللبأ

حكى الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية الرباب ولا
ارق صب طريد عن الباب ومضنى بصد الاحباب فلم تزل الافكار يهجن همي ويجلن في الوساوس وهمي حتى
تمنيت لتضييف ما عانيت ان ارزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول ليلتي الليلاء فما انقضت
منيتي ولا اغمضت مقلتي حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد اثمر
وليل الحظ قد اقمر فنهضت اليه عجلان فقلت من الطارق الآن فقال غريب اجنه الليل وغشيه

السيل

السيل ويبتغي الايواء لا غير واذا اسحر قدم السير فلما دل شعاعه على شمسه ونم عنوانه بسر
طرسه علمت ان مسامرته غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام
فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته وبل القطر بردته فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر
على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير وقته فادنيته بالمصباح المستفاد فتاملته تامل
المستفيد فالفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب ولا رجم غيب فاحللته محل من افرد بتقصي الطلب و
نقلته من موقف الكرب الى دوح الطرب ثم اخذ يشكو الاين واخذت في كيف واين فقال البلغة دعني
فقد اتعب طريقي فطنته مستبطنا للسغب متكاسلا لهذا السبب فحضرت ما حضر
للضيف المفاجي في الليل الداجي فانقبض انقباض المحتشم واعرض اعراض البشم ظننا
بالمساعد واحفظني حول الطباع حتى كدت اغاظ له في الكلام واسعه مجاج الملام فتبين
لحاف فاظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة باهل المقة عد عما اخطرته بالك
واستمع الي اتاك فقلت هات يا ذا الترهات فقال اعلم اني دبت لنادرة حليف ارق
ونجي وسواس فلما قضى الليل نحبه وغور الصبح شهبه غدوت وقت الاشراق الى بعض
الاسواق متصديا للصيد سنحا او تسنح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه واحسن لبيه
يجمع على التحقيق صفاء الرحيق وقنوء العقيق وقبالته لبأ قد برز كالابريز الاصفر والحلو البوع
في اللون المزعفر وهو يثني على طاهيه بلسان تناهيه ويصوت بأي مشتريه ولو نقد حبة
القلب فاستنبتني الشهوة باشطانها واسلمتني الحمية الى سلطانها فبقيت احير من ضب الرأي

وإذ هو عن صحب لا وجد يوصلني إلى نيل المراد ولا ثغر أتزود الزاد ولا قدم يطاوعني على الأين
مع حرقة الالتهاب لكن حداني القرم وسورته والسغب وفورته على أن انتجع كل أرض وأقتنع من الورد
ببرض فلم أزل بحابة ذلك النهار أدلي دلوي إلى الآبار وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة إلى
أن صغت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وانثنيت أقدم رجلا
وأؤخر أخرى فبينما أنا أسعى وأقعد وأهبط وأصعد إذ قابلني شيخ شاقه آهة الثكلان وعيناه
تهملان فما شغلني ما أنا فيه من داء الذيب والجوى المذيب عن تعاطي مداخلته والطمع في نجا
فقلت له يا هذا إن لبكائك لسرا أو وراءه أمر فاطلعني على برحائك واتخذني من نصحائك
فإنك ستجد مني طبا آسيا أو عونا مواسيا فقال والله ما تأوهي لعيش فات ولا لدهر أفات
بل لانقراض العلم ودروسه وأفول أقماره وشموسه فقلت وأي حادثة نجمت وقضية
استعجمت حتى هاجت لك الأسف على فقد من سلف فأبرز رقعة من كمه وأقسم بأبيه وأمه
لقد أريها أعلام المدارس فما امتازوا عن الأعلام الدوارس واستنطق لها أحبار المحا
فخرسوا ولا خرس سكان المقابر فقلت أرنيها لعلي أغني فيها فقال فما أبعد في المرام قرب
ومنية من غير رام ثم ناولنيها فإذا المكتوب فيها شعر أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما
له من شبيه أفتنا في قضية حار فيها كل قاض وحار كل فقيه رجل مات عن أخ مسلم حر تقي
من أمه وأبيه وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص بلا تمويه فحوت فرضها وحاز أخوها ما بقي
بالإرث دون أخيه فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف يوجد فيه فلما قرأ شعرها

ولمحت بشر بها قلت له على الخبير بها سقطت وعند نجيذها حططت إلا أني مضطرم الأحشاء مضطر
إلى العشاء فأكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال لقد أنصفت في الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط
فاقصد معي إلى مربعي لتظفر بما تبتغي وتنقلب كما ينبغي فصاحبته إلى ذراه كما حكم الله فأدخلني
بيتا أحرج من التابوت وأوهى من بيت العنكبوت إلا أنه جبر ضيق بيته بتوسعة ذرعه
فحكمني في القرى وأطايب ما يشترى فقلت أريد أزهى مأكل على أشهى مركوب فأنفع صاحب
أضيق مصحوب ففكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعني بنت نخلة مع لبا سخيلة فقلت
إياهما عنيت ولأجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض متثبطا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق
نباهة والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على أن تلحق بمن
مان وتتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها وتلج الدنية ولو اضطرت
إليها ثم إني لست بمغبون ولا أغضي على صفقة مغبون وها أنا قد أنذرتك قبل أن يهتك
الستر وينعقد بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الإنذار وحذار من المكاذبة حذار فقلت إي والذي
حرم أكل الربا وأحل أكل التمر واللبا ما فهت بزور ولا دليتك بغرور وستخبر حقيقة الأمر محل
بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق مغتديا إلى السوق فما كان بأسرع من أن
أقبل وهو بهما يلج ووجهه من التعب يتلج فوضعهما الذي وضع الممتن علي وقال اضرب الجيش
بالجيش يحط ملح العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل الملهم وهو يلحظني كما يلحظ
الحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى إذا التهمت النوعين وغادرت بهما أثرا بعد عين اقترحت

في اظلال البيات وفكره في جول الابيات فما لبث ان قام واحضر الدوات والاقلام وقال قد حلا

الجراب فاملا الجواب ولا فهيا ان كلت لا غرام ما اكلت فقلت له ما عندي الا التحقيق فاكتب

الجواب وبالله التوفيق شعر قل لمن يلغز المسائل اني كاشف سرها الذي تخفيه ان ذاك الميت

الذي قدم الشرع اخا عرسه على بني ابيه رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه ثم مات

ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسر ذويه فهو ابن ابنه بغير مراء واخو عرسه بلا تمويه

وابن الابن الصريح ادنى الى الجد واولى بارثه من اخيه فلذا حين مات اوجب للزوجة ثمن التراث

تستوفيه وحوى ابنه الذي هو في الاصل اخوها من امها باقيه وتخلى الاخ الشقيق من الارث

وقلنا يكفيك ان هاك مني الفتيا التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل فقيه قال الراوي فلما

اثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال اهلك والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت له اني

بدار غربة وفي ابوائي افضل قربة لاسيما وقد اغدودف جنح الظلام وسح الرعد في ظلل الغمام

فقال اعزب فانت الله الى حيث شئت ولا تطمع في ان تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو ذراك فقال

لاني اعمنت النظر في اتفاقك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرايتك لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي

حفظ صحتك ومن نهم فيما امعنت وبطن كما بطنت لم يتخلص من كظة منفذة او هيضة متلفة

فدعني بالله كفافا واخرج عني معافى فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي مبيت فلما سمعت

اليته وتلوت بليته خرجت من بيته بالرغم وتزودت الغم اجوب في السما واخبط في الظلما وتحي

الكلاب تتقاذفني الابواب حتى ساقني اليك لطف القضا فشكرا ليد البيضا فقلت له

احب

احب بلقائك المتاح الى قلبي المرتاح ثم اخذ يفتن في حكاياته ويبسط مضحكاته ومبكياته

الى ان عطس انف الصباح وهتف داعي الفلاح فاهب لاجابة الداعي ثم عطف الى ودعي

عن الانبعاث فقلت له الضيافة ثلث فاشتد محرجا ثم ام المخرج وانشد ادرعج شعر

لا تزورن من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه فاجتلا الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون

اليه قال الحارث بن همام فودعته بقلب دامي القرح ووددت لو ان ليلتي كانت بطيئة الصبح

المقامة السادسة عشرة وتعرف بالمغربية

حكى الحارث بن همام قال شهدت

صلوة المغرب في بعض مساجد المغرب فلما اديتها بفضلها وشفعتها بنفلها اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا

ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كاس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة

فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد وادب يستزاد فسعيت اليهم سعي المتطفل عليهم فقلت لهم

اتقبلون نزيلا يطلب جنى الاسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملح الحوار فحلوا لي الحبا وقالوا

مرحبا مرحبا فلم اجلس الا كلمحة باصر او خطفة خاطف او نغبة طائر خائف حتى غشينا جوال على عاتقه

جراب فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا اولي الالباب والفضل واللباب

اما تعلمون ان انفس القربات تنفيس الكربات وان امتن اسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات

واني ومن احلني ساحتكم واتاح لي استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة

من يفثأ عنا حمة المجاعة فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء ولم يبق عندنا الا فضلات

العشاء فان كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال ان اخا الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد

ونُقلفات المزاود فاحضر كل منهم ما عنَّ ان ترفده ما عنده فاعجبه الصنع وشكر عليه وجلس
يرقب ما يحمل اليه ويشرئب الى استثارة مُلَح الادب وعيونه واستنباط معينه من عيونه
الى ان جلَّ بنا ما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس فقد عنَّ لنا ان نسيّر له الافكار
ونفترع منه الابكار على ان ينظم البادي ثلث جمانات في عقده ثم تتدرج الزيادات من بعده
حتى يربّع ذو الميمنة في نظمه ويسبّع صاحب الميسرة على رغمه قال الحارث بن همام وكنا قد انتظمنا
عقد اصابع الكف وتألفنا الفة اصحاب الكهف فابتدأ لعظم جَهِيَّ صاحب ميمنة وقال لُمْ
اخا ملّ وقال الميامنة كبّر رجا اجر ربك وقال الذي يليه من يرب اذا بر ينم وقال الآخر
سكّت كل من نم لك تكس وافضت النوبة اليّ وقد تعين نظم السمط السباعي عليّ فلم يزل فكري
يصوغ ويكسر ويستري ويعتبر وفي ضمن ذلك استطعم فلا احد من طعم الى ان ركد النسيم
التسليم فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو انزلت
هذه بآياس لامسك منها على ياس وجعلنا نفيض في استصعابها واستغلاق بابها وذلك
الضيف المشرئب يلحظنا لحظ المزدري ويؤلف الدر ونحن لا ندري فلما اعتر على انفضاحنا
ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم ان من اعظم الغباوة استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم
وفوق كل ذي علم عليم ثم اقبل عليّ وقال سانوب منابك واكفيك ما نابك فان شئت
ان تنثر ولا تعثر فقل لمخاطبك ارم الحذل واكثر العذل لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل
فان احببت ان تنظم فقل للذي تعظم اس ارملا اذا عرى وارع اذا المرء اسا اسند اخا

اخا نباهة ابن اخاء دنيا اسل جناب غاشم مشاغب ان جلسا اسر اذا هب مرا وارم
به اذا رسا اسكن تقو فعسى يسعف وقت نكسا قال الحارث بن همام فلما سحرنا بآياته
وحسرنا بعد غاياته ملحناه حتى استعفى ومنحناه الى ان استكفى ثم شمّر شايه وازدفر
جرابه ونهض ينشد شعر لله در عصابة صدقوا المقال مقاولا فاقوا الانام فضائلا
مأثورة وفواضلا حافيتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا نادمتهم فبلوت منهم اذ بلوت
افاضلا وحللت فيهم سائلا فلقيت جودا سائلا اقسمت لو كان الكرام حيا لكانوا الوابلا
ثم انه خطى قيد رمحين وعاد مستعيذا من الحين وقال يا عز من عدم الآل وكثر من سلب
المال ان الغاسق قد وقب وحد المحجة قد انتقب وبيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس
فهل من مصباح يؤمنني العثار ويبين لي الآثار قال فلما جيء بالملتمس وجلي الوجه الملتبس
رايت صاحبنا ابا زيد فقلت لاصحابي هذا الذي اشرت اليه اذا نطق صاحبنا حتى
وان استمطر صاب فتلعت نحوه الاعناق وتواجدت به الاحداق وسألوه ان يسامرهم ليلته
على ان يحملوا عيلته فقال حبا لما احببتم وحبا بكم اذ رحبتم غير ان في قصدكم والاطفال
يتضوّون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع وان استرثوني خامرهم الطيش ولم
يحل لهم العيش هذا عودي لاذهب فاسد مخمصتهم واسيغ غصتهم ثم انقلب اليكم على الاثر
متأهبا للسمر الى السحر فقلنا لاحد الملأ اتبعه الخفية ليكون اسرع لفيئته فانطلق
معه مصطحبا جرابه ومستحثا ايابه فابطأ ابطاءً جاوز حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا

ما عندك من الحديث عن الخبيث قال أخذنا في طرق متعددة وسبل متشعبة حتى أفضينا
إلى دويرة خربة فقال ههنا مناخي ووكر أفراخي ثم استفتح بأمر وأخلج منى جرابه وقال
لعمري لقد خففت عني ولقد توجبت الحسنى مني فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح ومغارس
المصالح وأنشد شعر إذا ما عوست حتى نخلة فلا تقربنها إلى قابل وإما سقطت على بيدر
فحصل من السنبل الحاصل ولا تلبثن إذا ما لقطت فتنشب في كفة الحابل ولا توغلن متى ما سحجت
فإن السلامة بالساحل وخاطب بها وحاور بسوف وبع حلا منك بالعاجل ولا تكثرن
على صاحب فأمل قط سوى الوصل ثم قال الحقتها في تامورك واقتنها في أمورك وادرك إلى
صحبك في كلاءة ربك فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي وأتل عليهم وصيتي وقل لهم عني أن السهر في
الخرافات لمن أعظم الآفات ولست المعني لحرسي ولا أجلب الهوس إلى رأسي قال الراوي فلما
وقفنا من فحوى شعره على نكره ومكره ندمنا على تركه قتلا ومنا على الاغترار بإفكه ثم تفرقنا
بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشرة وتعرف بالقهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح العين فئة عليهم سيما الحجى
وطلاوة نجوم الدجى وهم في تماراة مشتد الهبوب ومباداة مشتطة الألهوب فقربت لهم
لقصدهم هو المحاضرة والتحلي بجنى المناظرة فلما انحشرت في خطهم وانتظمت في سمطهم
قالوا أأنت ممن يلقح الهيجاء ويلقي دلوه في الدلاء فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء
الطعن والضرب فاضربوا من حاجبوا فأصفوا في التحاجي وكان في بحبوحة حلقتهم وكليل

57 ووقفهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم حتى عاد أنحل من قلم وأنحل من حلم إلا أنه كان يبدي العجائب
إذا أجاب وينشئ سحبان كلما أبان فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبريز على تلك العصابة وما زال
يفصح كل معمى ويصمي في كل مرمى إلى أن خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى انفضاض القوم
واضطرارهم إلى الصوم عرض بالمطارحة واستأذن في المفاتحة فقالوا الرحب والحب من لنا بذلك
أتعرفون رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوالين وتحلت في لونين وصلت
الجهتين إن نزعت عن مشرقها فناهيك برونقها وإن طلعت من مغربها فيا لعجبها قال فكأنما
رموا القوم بالصمات وحقت عليهم كلمة الإنصات فما نبس منهم إنسان ولا فاه لهم لسان فحين
رآهم بكما كالأنعام وصموتا كالأصنام قال لهم قد أجلتكم أجل العدة وأرخيت لكم طول المدة
ثم ههنا مجمع الشمل وموقف الفصل فإن سمحت خواطركم مدحنا وإن صلدت زنادكم قدحنا
فقالوا والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكمد وهب
العطية بالنقد واتخذنا إخوانا يثبون إذا وثبت ويشيبون متى استشبت فأطرق ساعة ثم قال
سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا عني الإنسان صنيعة الإحسان ورب الجميل فعل الندب
وشيمة الحر ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة
يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق
سحر الألباب وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يبطل الورع
ولب الحزم التزام الحزامة وزمام السلامة تطلب المثالب شر المعايب تتبع العثرات يدحض المودة وخلوص

٥٨

السنة خلاصة العطية وتهنية النول ثمر السؤول وتكلف الكلف يبهل الخلف وتيقن المنية
يسني المونة وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزاء المدائح بث المنائح
وتجهر الوسائل تشفيع المسائل وحلية الفوائد استغراق الغاية وتجاوز الحد بكل حاد وتعدى
الأدب يحط القرب ومناسبة الحقوق ينشئ العقوق وتحاشي الوسيم فيه الريب وارتفاع الأخطار
باقتحام الأخطار وسمو الأقدار بمواتاة الأقدار وشرف الأعمال في تقصير الآمال وإطالة
الفكر تنقيح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند الأوجال
تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزيد السفير يظهر التدبير وبخلل الأحوال
يتبين الأهوال وموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الأحماد بحسب الاجتهاد ووجوب الملامة
كفاء المحافظة وصفاء الموالي بتعهد الموالي وبحلي المروات بحفظ الأمانات واختبار الإخوان
بتخفيف الأحزان وذم الأعداء بكف الأيدي وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء وتبصر العواقب
يؤمن المعاطب واتقاء الشنعة بنشر السمعة وقبح الجفاء ينافي الوفاء وجوهر الأحرار عند الأسرار
ثم قال هذه مائتا لفظة تحتوي على أدب وعظة فمن ساقها هذا المساق فلا مراء ولا شقاق
ومن رام عكس قالبها وأن يردها على عقبها فليقل الأسرار عند الأحرار جوهر والوفاء ينافي الجفاء
وقبح السمعة بنشر الشنعة ثم على هذا المسحب فليسحبها ولا يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها والحرة
دررها ورب الإحسان صنيعة الإنسان قال الراوي فلما صدع برشاء الفريد وأملوحة المصيد
علمنا كيف تتفاضل الإنشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعتلق كل منا بذيله

وقلنا له فلان من نبله فأبى قبول فلذتي وقال لست أرى أن أثلم مدحي فقلت له كن أنا بيدي على شحوب
سحنتك ونضوب ماء وجنتيك فقال أنا هو على تحولي وقحولي وتقشف حلولي فأخذت في تربيه
على تثريبه وتغريبه تحولوا واسترجع ثم أنشد من قلب موجع شعر سل الزمان على أخي
ليروعني فأحد غربه واستل من جفني كراه مراغما وأسال غربه وأحالني في الأفق أطوي شرقه
أجوب غربه فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه تمت
نجز عطفيه متخطرسا ونحن بين متلهف ومتهافت عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحمادة فقمنا
أيادي سبا

المقامة الثامنة عشرة وتعرف بالسنجارية

حكى الحارث بن همام
قال قفلت ذات مرة من الشام أنحو مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة أولي خير ومير ومعنا
أبو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان في
فصادف بمرفأنا سنجار أن أولم بها أحد التجار فدعا إلى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة والفلا
حتى سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة فلما أجبنا مناديه وحللنا
ناديه أحضر من أطعمة اليد واليدين ما حلي في الفم وحلا في العين ثم قدم جاما كأنما جمد من
الهواء أو جمع من الهباء أو صيغ من نور الفضاء أو قشر من الدرة البيضاء وقد أودع لطائف النعم
وضمخ بالطيب العمم وسيق إليه شرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وأرج نسيم فلما اصطف
بحضرة الشهوات وفرمت إلى حجرة اللهوات شارفان لم يش إلى سبر الغارات وينادي عند
هبه يا لثارات نشز أبو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على

ان يعود وان لا يكون كقدار في ثمود فقال والذي ينشر الاموات من الرجام لا عدت دون فض
الجام فلم نجد بدا من ان نقر وبان نحلفه فاستحلفناه والعقول معه شايلة والدموع عليه سايلة
فلما آل الى حجره وخلص من قائمه سألناه لم قام ولاي معنى استعفى الجام فقال ان الزجاج نمام
واني اليت مذ اعوام لا يضمني ونموما مقام فقلنا له وما سبب يمينك الصريحة والنبك الحري
فقال انه كان لي جار لسانه يتقرب وقلبه عقرب ولفظه شهد ينقع وخبثه سم منقع فملت لمحاورته
الى محاورته وتغريت بمعاشرته في معاشرته واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته واغرتني خلة
سمته بمناسمته فما زجته وعندي انه جار مكاسر فبان انه عقاب كاسر وانسته على انه حب مواس
فوضح انه حباب موالس وما خبره وما اعلم انه عند نقد ممن يفرح بفقدها وعاقرته ولم ادر انه
بعد قهره ممن يطرب لمفقره وكانت تحنكه جارية لا يوجد لها في الكمال مجارية ان سفرت خجل النيران
وصليت القلوب بالنيران وان بسمت ازرت بالجمان وبيع المرجان بالمجان وان رنت هيجت
البلابل وحققت سحر بابل وان نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل
ان قرأت شفت المفؤود واحيت الموؤود وخلتها اوتيت من مزامير آل داود وان غنت طل
معبد لها عبدا وقيل سحقا لاسحق وبعدا وان زمرت اضحى نام عندها زنيما بعد ان كان
لجيله زعيما وبالاطراب زعيما وان رقصت مالت العمائم عن الرؤوس وانسلك رقص الحبب في
الكؤوس وكنت ازدري معها حمر النعم واحلي بتملكها جيد النعم واحجرها عن الشمس والقمر واذود
ذكرها عن شرائع السمع وانا مع ذلك اليح من ان تسرحها هادج او تحتى بها سطيح او تنم عليها برق
يلمح

يلمح فاتفق لوشك الحظ المنحوس ونكد الطالع المنحوس ان انطقتني بوصفها حميا المدام عند الخليع بذكرها
النمام ثم ثاب الفهم بعد ان صرد السهم فاحسست الخبال والوبال وضيعة [illegible]
بيد اني عاهدته على كتم ما لفظته وان يحفظ السر ولو احفظته فزعم انه مخزن الاسرار كما يخزن
اللئيم الدينار وانه لا يهتك الاستار ولو عرض لان يلج النار فما غبر على ذلك من الزمان الا
يوم ويومان حتى بدا للامير تلك المدينة والبادي المقدرة ان يقصد باب قبيله مجتديا لعرض
ومستمطرا عارض نيله واراد ان تصحبه تحفة تلائم هواه ليقدمها بين يدي نجواه وجعل يبك
الحبائل لارتياده ويستنبط المراغب لمن يظفر بمراده فاسف بي ذلك الجار الختار الى مقله وعصوني
ادراع العار عليها ولم فاه الوالي تاشر اذنيه وانبأه ما كنت اسررته اليه فما دعني الا انسيابا
انه صلى غيه الي وانتيا الحفدة على يسومني ابتياعه بالدرة اليتيمة على ان احكم عليه في القيمة فتقيني
من الطيم ما غشي فرعون وجنوده من اليم ولم ازل ادافع عنها بما لا يغني الدفاع واستشفع اليه ولا يجدي
الاستشفاع وكلما رأى مني ازدياد الاعتياص وارتداد المناص تجرم وتضرم وحرق الي الارم
ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة ملكي ولا بان تنزع علقي من صدري حتى آل الوعيد ايقاعا والتقريع
قعقاعا فقادني الاشفاق من الحين الى ان قبضته سواد العين بصفرة العين ولم يحظ الواشي بغير الاثم في البين
والشين فعاهدت الله تعالى منذ ذلك العهد ان لا اعاشر نماما من بعد وان الزجاج مخصوص بهذا
الطباع الذميمة ويضرب المثل في النميمة فقد جرى عليه سيل عيني وذاكم السبب لما مدت
اليه يميني طويلا فلا تعذلوني بعدما قد شرحته على انه حرمني قطاف القطايف فقد

بان عذري في صنيعي وانني سارق فتيتي من تليك عطارفي على ان ما اعددتكم من فكاهة الذ
من الحلواء الذي كل عادة فقال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا اعذاره وقلنا الرقدتما
وقعت النميمة خير البشر حتى نشر من حمالة الحطب انتشرتم فسألناه عما احدث احداره لقتات
ودخلة المفتات بعد ان راش كنبل السعاية وخلع حبل الرعاية فقال اخذ في الاستخذاء و
الاستكانة والاستشفاع لي بذوي المكانة وكنت حرجت على نفسي ان لا استرجعه نسي او ترحم
الى اسبى فلم يكن مني سوى الرد والاصرار على الصد وهو لا يكتئب من الزجر ولا يتثنى عن قاحم
الوجه بل يلظ بالوسائل ويلج في المسائل فما انفك من ابرامه ولا ابعد عليه نيل مرامه الا
اثبات نفسه بالصدر الموتور والخاطر المتبوع فانهما كانتا محرزة لسبطا ومحجة له في اوطانا
وعند انتشارها هات طلاق المحبوب ونعى الولد المتسود وليس من نشر صلى المقبو وكما يليس الكفار
من اعتلاب الفتق فلما شدنا ان نيسدنا اياها وتشقينا باها فقال الجل خلق الانسان من عجل
ثم انشد لا تزوين بخل ولا تسيه وحل **الخفيف**
ونديم محضته صدق ودي اذ توهمته
صديقا حميما ثم اولته قطيعة قال حين الفيته صديقا حميما خلته قبل ان تجربا الفا
ذا ذمام فبان خلفا ذميما وتحريره كليما فاسمي من قلبي ماجناه كليما وتطبيته مغنا رحما
فبتيته لعنادهما وترايته حريدا فجلى عندسكى الحريد اليما وتوسمت انهتنهما فاني
انهب الاسهو مابت من لسعة الذى اعجز الراقي سليما وبات مني سليما وغدا امرء غداة افترقنا
مستقيما والجسم مني سقيما لم يكن رايعا حصيبا ولكن كان بالشر رابعا الى خصيما قلت لما بلوته

ليته كان عقيما ولم يكن لي نديما بغض الصبحين ثم الى قبلى الى الصباح تلفي عوما ونعنا الى هوى
الليل اذ كان سواد الدجى فيا كونها وكفى من نبي ولوفاه بالصديق اثاما فيما اتاه وقوما قال
الراوي فلما سمع رب المنزل تقريضه وسجعه واثلج تقريظه وسبعه نواه جهاد كلمته وصلته
على تكرمته ثم استحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلواء القند الصرف وقال لا يستوي اصحاب
النار واصحاب الجنة ولا يسع ان يجعل البري كذي الظنة وهذه الانية تنزل منزلة الاترابة
في صون الاسرار فلا تولها الاباعد ولا تلحق هو دا بعاد ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه ليكم معه
بهواه فاقبل علينا ابو زيد وقال اقرأوا سورة الفتح وابشروا باندمال القرح فقد جبر الله كلمكم
وسني اكلكم وجمع في ظل الحلواء شملكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولما هم بالانصراف
قال الى المهدي الصحاف فقال للاديب ان من دلايل الظرف سماحة المهدي بالظرف فقال
كلاهما والغلام فاحدد الكلام وانهض بسلاحه فوثب في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب ثم
افادنا ابو زيد الى حوائره وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب الاواني بيده ويفض عددها على عدد
ثم قال لست ادري اشكو ذلك النمام ام اشكره واتناسى فعله ام اذكره فانه وان كان اسلف
الجريمة ونم النميمة فمن عمه افلت هذه الدية وبسببه تحازت لي هذه الغنيمة وقد خطر
ان اوجه الى اشياعي واقنع بما تسنى لي فانا لا اتعب نفسي ولا اجمالي وانا اودعكم وداع محافظ
واستودعكم خير حافظ ثم استوى على راحلته واجفا في حافرته ولاو ما الى ذا فريقه فغادرنا
بعد ان وخذ عنه وزايلنا انبه كدست غاب صدره او ليل فل بدره

المقامة التاسعة عشرة النصيبية

روى الحارث بن همام

قال أحملني العراق ذات العويم لاختلاف أنواء الغيم وتحدث الركبان بريف نصيبين وطيبة
أهلها المخصبين فاقتعدت عيرا واستقلت سهريا وسرت تلفظني أرض الى أرض ويجذبني رفع
من خفض حتى بلغتها نقضا على نقض فلما أنخت بمغناها الخصيب وضربت في مرعاها بنصيب
نويت أن ألقي بها الجران وأتخذ أهلها الجيران الى أن ينقضي الشتاء ويمهد أرض قومي العهاد
فوالله ما تمضمضت مقلتي بنومها ولا تمخضت ليلتي عن يومها او ألفيت أبا زيد السروجي يجول
في ربعها نصيبين ويخبط بها خبط المصابين والمصيبين وهو ينشر من فيه الدرر ويحتلب
بكفيه الدرر فحمدت هادي قدماي لقدما رمعنا ودعمت التقدما توأما ولم أزل أتبع ظله أينما
انبعث والتقط لفظه كلما نفث الى أن عراه مرض متعبد وعرقته مدة حتى كاد يسلمه توق
المحيا ويسلمه الى بني نحيب فوجدت لفوت ملقاه وانقطاع سقياه ما يجد المبعد عن مراسه والمرء
عند فطام ثم أرجفت بأنه قد علق ومخلب الحمام قد علق فقلق صحبه لإرجاف المرجفين وانثالوا
الى عقوته من جفن جان يميلهم شجوهم كأنهم ارتضعوا ابنة الخندريس أسالوا الغروب وعطوا
الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤوسا يودون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم وما
النفوسا قال الراوي وكنت فيمن التف بأصحابه وغدا الى بابه فلما انتهينا الى فنائه وتصدينا
لاستشفاف أنبائه برز إلينا فتاه مفترة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته وكنه
حركاته فقال قد كان في قبضة المرضة وعركة الوعكة الى أن نفذ الدنف واستشف

التلف ثم من الله تعالى بتقويته ذمائه فأفاق من إغمائه فارجعوا الى دواجكم وانضوا انزعاجكم فكاد
قد غدا وراح ويسقيكم الراح فأعظمنا البشرى به واقترحنا أن نراه فدخل مؤذنا بنا ثم خرج آذنا
لنا فلقينا منه لقى وليس إنا طلقا وجلسنا حلقة بسريره محدقين الى أساريره فقلب طرفه الينا
ثم قال أحلوها أنت الساعة وأنشد سجيع عافاني الله وشكرا له من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على أنه لابد من حتف سيبريني ما شانني فاولكنه الى انقضاء الأكل يسبيني أنجم لم
حميم ولا حمى كليب منيتي يحميني وما أبالي إذ دنت يومها أم أخر الحين الى حين فأي فخر في خلود أرى فيها
البلايا ثم تبليني قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل ثم تداعينا الى القيام اتقاء
الإبرام فقال كلا بل أثيبوا باض يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي فإن مناجاتكم قوت
نفسي ومغناطيس أنسي فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على الحديث نمخض زبده
ونلغي زبده الى أن حان وقت المقيل وكلت الألسن من القال والقيل وكان يوما حامي
الوديقة بالغ الحديقة فقال إن النعاس قد أمال الأعناق وواصل الآماق وهو خصم ألد
وخطب لا يرد فصلوا حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المنقولة قال الراوي فاتبعنا ما
قال وقلنا وقال فضرب الله على الآذان وأفرغ السنة في الأجفان حتى خرجنا من حكم الوجود
وصرفنا بالهجوع عن السجود فما استيقظنا الا والحر قد باخ واليوم قد شاخ فتذكرنا الصلوة
الفائتة وأدينا ما حل من الدين ثم تحشحشنا للارتحال الى ملقى الرحال فالتفت أبو زيد الى ابنه
وكان على شاكلته وشكله فقال إني لأخال بأعمرة قد اضطرم فاحتشم الجمرة فاستدع أبا

جالبة فإنه تُشترى كل جالبة وأنده بأبي نعيم الصابر على كل ضيم ثم غرّده بأبي حبيب المحبّب إلى كل
لبيب المقلّب بين إحراق وتعذيب وأهاب بأبي ثقيف فحبّذا هو من أليف وهلمّ بأبي عون
فما مثله في العون ولو احتضرتا بأبي جميل الجمل أي تجمّل وتجمّل بأم القرى المذكّرة بكسرى لا
تناسَ أمّ جابر فكم لها من ذاكر وناد أم الفرج ثم أقبل بأبي الأفرج واختم بأبي ذرين فهو مسلاة
كل حزين وإن تقرب بأبي العلاء تمّ لك سماك من الخلا وإياك وسيدنا أم الحفير قبل المقلاة
حمول البين وإذا نزع القوم عن المراحل صافحوا أبا ياسر فأطعم عليه أبا السرور فإنه عنوان
السرور ثم الفقه بنه لطائف يعوزه بلطائفه تميزه وطاف علينا بالطيبات والطيب إلى أن
الشمس بالمغيب فلما أجمعنا على التوديع وأنا له لم تر إلى هذا اليوم البديع كيف بدا أصبح قطريا
ثم لاح مستبشرا فصحيحا طالما ثم دمع ... وقال شعر لا تيأسن عند النوب من فرجة
تجلو الكرب فلكم سموم هبّت ثم جرت نسيما وانقلب وسحاب مكروه تنشّا فاضمحل وما سكب ونار
خطب خيف منه فما استبان له لهب ولطال ما طلع الأسى في تغيبه غرب فاصبر إذا ما نابك
دهر فإن الزمان أبو العجب وترجّ من روح الإله لطائفا لا تحتسب قال فاستملينا أبياته الغرّ
ووالينا لله تعالى الشكر ووقعنا ... بن ... تفسير ما تضمن
هذه المقالة من ألفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية ذات العويم يعني
بالزمان المتقدم ومثله ذات الرمين والبلهنية رغد العيش ومنه قولهم عيش أبله والسمهرية
الرماح وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما أنها سميت بذلك لصلابتها من قولهم اسمهرّ الشيء إذا اشتد

وقيل

وقيل إنها منسوبة إلى سمهر زوج ردينة وكانا يقوّمان الرماح فنسبت إليهما وقوله نقضا
على نقض أي مهزولا على مهزول والجران باطن عنق الجمل وقيل قد تعمل منه السياط وسمي جران العود
الشاعر بقوله خذا حذرا يا كنتيّ فإنني رأيت جران العود قد كاد يصلح وذلك أنه اتخذ لزوجتيه
اثنين تعصيتا سوطا من الجران ووضعه في الشمس ليجف فأنذرهما بجفافه وقرب ضربهما به وقوله
فضرب الله على الآذان أي أنامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم في الكهف أي أنمناهم
وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله تكرعنا الصلاة العجماوين أي غسلنا الأكارع وهو كناية
عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لإسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة
النهار عجماء وقوله هلمّ أي قل له هلمّ وهي فاتي بمعنى هات وأقبل وأصلها ها بمعنى التنبيه ولمّ أي اجمع
والأفصح أن يوحّد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين
لإخوانهم هلمّ إلينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلمّ وللاثنين هلمّا وللجمع هلمّوا وللمؤنث
الواحدة هلمّي وللاثنين هلمّا وللجمع هلممن وقوله حيّهل أي عجّل يقال حيّهل بفلان بتسكين اللام وفتحها
وتنوينها وبإثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود في عمر بن الخطاب إذا ذكر الصالحون فحيّهلا
بعمر وفي حيّهل لغات أضربنا عن ذكرها إذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الألفاظ
اللغوية وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية فأبو يحيى كنية ملك الموت وأبو عمرة كنية
الجوع ويكنى أيضا أبا مالك ومنه قول الراجز أبو مالك يعتادنا في الظهائر وأبو جامع
الخوان وأبو نعيم الخبز الحوّارى وأبو حبيب الجدي الحنيذ وأبو ثقيف الخل وأبو عون الملح وأبو جميل البقل

واتم القرى النكباج وام جابر الطرقية وام الفرج الجوذابة وابو رزين الخبيص وابو العلاء الفالوذج
وابو ياس الغول وام المرجان الطست والابريق وابو التسرة والبخور

المقامة العشرون

في تحريضه لتجهيز الميت

حكى الحارث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة
موافقين لا يمارون في المناجاة ولا يبدون مطمع المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا
ظعن عن قرة جاره فلما انخنا بها مطايا التسيار وانتقلنا عن الاكوار الى الاوكار تواصينا
بتذكار الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعتوره طرفي النهار فنتهادى فيه
طرف الاخبار فبينما نحن في بعض الايام وقد انتظمنا في سلك الالتئام اذ وقف علينا
ذو مقول جري وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد قناص للاسد والنقد ثم قال طول
عندي يا قوم حديث عجيب فيه اعتبار للبيب الاريب ولتعمري ما رأيت احد الحطاب
القضيب يقدم في المعارك اقدام من يوقن بالفتك ولا يسترتب فيفرج الضيق كربه حتى
يرى ما كان ضنكا رحب ما بارز الاقران الا انثنى عن موقف الطعن برمح خضيب ولا سما
نحو مستصعب مستغلق الباب منيع صعب الا ونودي حين يسمو له نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها يميس في برد الشباب القشيب يرتشف الغيد ويرشفنه وهو لدى الكل
الملك الحبيب فلم يزل يبتزه دهره ما فيه من بطش وعود صليب حتى اصارته الليالي
لقى يعافه من كان منه قريب قد اعجز الراقي تحليل ما به من الداء واعيى الطبيب وصار من
البيض وصادمه من بعد ما كان المحب المجيب فاض كالمنكوس في خلقه ومن يعش يلق دواهي
المشيب وها هو اليوم مسجى فمن يرغب في تكفين ميت غريب ثم انه اعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على
الحبيب في لما رقت في معته وانقشأت لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الاجواد والله ما نطقت
ببهتان ولا اخبرتكم الا عن عيان ولو كان في عصاصير ولغيمي مطير لاستاثرت بما دعوتكم اليه
ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف الطيران بلا جناح وهل على من يجد من جناح قال
الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون فوهم انهم على صرفه يجمعون او
مطالبته ببرهان ففطن لما اضمروا قال يا يلامع القاع وبرامع البقاع ما هذا الاربياء الكرياء
الحيا في كلفتكم مشقة لا شقة او استوهبتكم بلدة لا بردة او هززتكم لكسوة البيت لا لتكفين الميت
الميت فان لم تاتلوا صفاته ولا ترمي حصاته فلما بصرت الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته
رفاه كل منهم بنيله وتحمل طله خوف سيله قال الحارث بن همام وكان هذا السائل واقفا
خلفي ومحتجبا بطمري عن طرفي فلما ارضاه القوم بسيبهم وحق على الناس بهم خلجت عيني
ولفت اليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي بلا فرية ولا مرية فايقنت انها الكذوبة تكذبها واحولته
نصبها الا لاطوية على غرة وصنت شماه عن قرفه فخصيته بالخاتم وقلت له بحق لقيتها بحق
المأثم فقال واها لك ما اصرح شعلتك واكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما وهو ولهي وله
قد ملي فتبعنا الى عرفان ميته وامتحان دعوى حميته فرعت ظنوني والحت الهوى عني دركه
على غلوه واجلسته في خلوة فاشدت معي رواته وعقد عن سن سيدا وقلت له والله ما لك اللتم
مني ملجأ ولا منجا او تريني ميتك المسجى فكشف عن سر اثيلة واشار الى غرموله فقلت له قاتلك الله

فما لعبك بالنهى وأحالك على اللهى ثم عدل إلى أصحابه عود الرائد الذي لا يكذب أهله ولا يبرقش

قوله فأخبرهم بالذي رأيت وما وديت ولا دأيت فهم فهموا من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

المقامة الحادية والعشرون وتعرف بالرازية

حدث الحارث بن همام قال عنيت مذ أحكمت تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري بأن أصغي إلى العظات وأعي الكلم المحفظات لأتحلى بمحاسن الأخلاق وأتخلى عما يسم بالإخلاق وما زلت آخذ نفسي بهذا الأدب وأحلئ عن حرم الغضب حتى صار الطبع فيه طباعا والتكلف له هوى مطاعا فلما حللت بالري وقد حللت حبى الغي وعرفت الحي من اللي رأيت بها ذات بكرة زمرا إثر زمر وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه فلم يتكادني لاستماع المواعظ واختبار الواعظ أن أقاسي اللاغط وأحمل الضاغط فصحبت أصحاب الطواعة وانخرطت في سلك الجماعة حتى أفضينا إلى ناد جمع الأمير والمأمور وحشد البشر والمغمور وفي وسطها [illegible] أهلته شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتن به العقول ابن آدم ما أغراك بما يغرك وأضراك بما يضرك وألهجك بما يطغيك وأبهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك وتنزع في قوس تعديك وتتغلغل في الحرص الذي يرديك لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تشبع ولا للعظات تسمع ولا بالوعيد ترتدع دأبك أن تتقلب مع الأهواء وتخبط خبط العشواء وهمك أن تدأب في الاحتراث وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك وتسعى أبدا لغاويك ولا تبالي ألك

أم عليك أتظن أن ستترك سدى وأن لا تحاسب غدا أم تحسب أن الموت يقبل الرشا أو يميز بين الأسد والرشاء كلا والله لن يدفع المنون مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم أن الفائز من ارعوى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم أنشد إنشاد وجل بصوت زجل شعر

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى ... إذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا ... بما تقتني من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فإنه ... بمخلبه الأشغى يغول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره ... فكم خامل أخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه ... أخو ضلة إلا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الإله وخوفه ... لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه ... بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه
فإن قصارى مسكن الحي حفرة ... سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله ... وأبدى التلافي قبل إغلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يديرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الأصوات والتأم الإنصات واستكنت العبرات والعبرات استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر وجعل يجأر إليه من عامله الجائر والأمير صاغ إلى الخصم لاه عن كشف ظلمه فلما أيس من وحيه انتفض الواعظ النصيح فنهض نهضة الشهير وأنشد معرضا بالأمير شعر

عجبا لراج أن ينال ولاية ... حتى إذا ما نال بغيته بغا
ونسك ولج في المظالم والعافي ويبعها ... طورا وطورا مولغا
ما إن يبالي حين يتبع الهوى ... فيها أصلح دينه أم أوتغا

يا ويحه لو كان يوقن أنه ما للرحول لما طغى ولو تبين ما دهاه من صغى سمعاً الى أقوال
الوشاة لما صغى فانهض لمن أضحى الزمام بكفه وتغاض أن الغي أو غاية أو لغى وادع المراد
إذا دعاك لرعيه وبدا الأجاج لحاتك المسيغا واحمل أذاه وإن تعضك متنه واسأل عزيز
الدمع وافرغا فليضحكنك الدهر منه إذا نبا عنه وشب لكيده نار الوغا ولتبرين به الشماتة إذ غدا
بدلا مخليا من شغله متفرغا ولتأوين له إذا ما خده أضحى على ترب الهوان ممرغا هذا الموقف
يوقف موقفاً فيه يرى دب العصاة الثغا وليحشرن أذل من فقع الفلا وليحاسبن على النقير
والشغا وليؤخذن بما جنى ومن اجتنى وليطالبن بما احتسى وبما ارتغى ويناقش على الذ
مثل ما قد كان يفعل بالورى بل ابلغا حتى يعض على الولاية كفه ويود لو لم يبغ فيها ما بغى
ثم قال لها المتوشح بالولاية والمترشح للرعاية دع الادلال بدولتك والاغترار بصولتك فان
الدولة ريح قلب والقدم برق خلب وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم
الذي من شقيت به رعيته فلا تكن ممن يبذل الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم
الرعية ويؤذيها وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا يهمل بنا
انسان ولا تلغى الاثام والاحساب بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي
لما سمع [illegible] وجعل يتأفف من الأمر ويبدل الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكي
فأشكاه والى المشكو منه فأشجاه والطف الواعظ فحباه وعزم عليه أن يغشاه فانقلب عنه
المظلوم منصوراً والظالم محصوراً وبرز الواعظ يتهادى بين عصبة ويباهي بفوز صفقته

فاعقبته

فاعقبته أخطو متقاصراً وأريه لمحاً باصراً فلما استشف ما أخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه قال
خير لك ليلك من أن تلم ثم اقترب مني وأنشد شعراً أنا الذي تعرفه يا حارث حدث ملوك فكه
منافث أطرب ما لا تطرب المثالث طوراً أخو جد وطوراً عابث ما غيرتني بعدك الحوادث
ولا التحى عودي خطب كارث ولا فرى ظفري حد فارث بل مخلبي بكل صيد عابث وكل سرح فيه
ذئب عائث حتى كأني للأنام وارث سامهم وحامهم ويافث قال الحارث بن همام فقلت له تالله
أنك لأبو زيد ولقد قمت لله ولا قام عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم إذا أم وقال اسمع يا ابن
أم شعر عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد وابغ رضى الله فأغبى الورى
من أسخط المولى وأرضى العبيد ثم إنه ودع أخدانه وانطلق ليجيب دانه فطلبناه من بعد الرحيل
واستنشينا خبره من مدارج الطي فما فينا من عرف قراره ولا درى أي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشر [illegible]

حكى الحارث بن همام قال أويت في بعض الفترات
الى سقي الفرات فلقيت بها كتاباً أبرع من بني الفرات وأعذب أخلاقاً من ماء الفرات فاطفت
لأهلهم لا لنهبهم وكاثرتهم لأدبهم لا لمأدبتهم فجالست منهم أضراب القعقاع بن شور ووصلت
الى الكوفة بعد الحول حتى إنهم أشركوني في المرتع والمربع وأحلوني محل الأنملة من الإصبع واتخذوني
ابن أنسهم عند الولاية والعزل وخازن سرهم في الجد والهزل فاتفق أن ندبوا في بعض الأوقات
لاستخراج خراج الرزداقات فاختاروا من الجواري المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب وتنساب في الحباب كالحباب ثم دعوا الى الوقفة واستدعوني

للمرافقة فلما توركنا على المطية الدهماء وتبطنا الولية الماشية على الماء ألفينا بها شيخاً عليه سحق
سربال وسيبال فعافته الجماعة لحضره وعنفت من أحضره وهمت بإبرازه من السفينة لولا
ما ثاب إليها من السكينة فلما ألمنا استثقال ظله واستبراد طله تعرض للمناقشة فصمت و
حملق بعد أن عطس فأشمت فأخذ ينظر فيما آل الحال إليه ينتظر نصرة البغي عليه حللنا المنزل
نحن في شجون من جدل وخوض في جدال إلى أن اعترضنا ذكر الكاتبين وفضلهما وتباينا في أفضلهما فقال قائل
إن كتبة الإنشاء أنبل الكتاب ومال مائل إلى تفضيل الحساب واحتد الحجاج وامتد اللجاج
حتى لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح فقال الشيخ لقد أكثرتم يا قوم اللغط وأثرتم الصواب
والغلط فإن حليتم الحكم عندي فارتضوا بفتياي ولا تستفتوا أحداً بعدي اعلموا أن صناعة الإنشاء
أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغات
تنسخ لتدرس ودساتير الحسابات تنسخ وتدرس والمنشئ جهينة الأخبار وحقيبة الأسرار
ونجي العظماء وكبير الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمة وهو
البشير والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي ويستدنى القاصي
وصاحبه بريء من التبعات آمن كيد السعاة مقرظ بين الجماعات غير معرض لنظم الجماعات فلما أنهى في
الفضل لهذا الفصل لحظ من لمحات القوم أنه أودع مقتاً وبغضاً وأحنى بعضاً وخطأ
بعضاً فعقب كلامه بأن قال إلا أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة الإنشاء
مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين إتاوة توظيف المعاملات وتلاوة

طوامير السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس إذ الإتاوة تملأ الأكياس والتلاوة
تفرغ الرأس وخراج الأوارج يغني الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم إن الحسبة حفظة
الأموال وحملة الأثقال والنقلة الأثبات والسفرة الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف
والشهود المقانع في الاختلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الأعمال
والمهيمن على العمال وإليه المآب في السلم والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج وبه مناط الضر
والنفع وفي يده رباط الإعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن إلى
يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولاً وجرح الظلامات مطلولاً وجيد التناصف مغلولاً وسيف
التظالم مسلولاً على أن يراع الإنشاء متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ أبو براقش
ولكليهما حمة حين يسعى إلى أن يلقى ويوعى وإعنات فيما ينشي حتى يغشى ويرشى إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم قال الحارث بن همام فلما أمتع الأسماع بما راق وراع استنسبناه فاستراب
وأبى الانتساب ووجدنا بالكناية فضلت عن لبسه على غمة حتى ادكرت بعد أمة فقلت
والذي سخر الفلك المدار والفلك السيار إنه لأبو زيد وإن كنت أعهده ذا لحية
فتبسم ضاحكاً من قولي وقال أنا هو على استحالة حالي وحولي فقلت لأصحابي هذا الذي الفقر
قرينه ولا يبارى بحضرته فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد فرغب عن الأفر ولم يرغب في
التخفر وقال أما بعد أن تحتم حقي لأهل سحتي وكنتم ملأ الإخلاق وسربالي فما آذاكم إلا
بالعين النهية ولا أكرمكم إلا صحبة السفينة ثم أنشد شعراً اسمع أخي وصية من ناصح

الحارة يعني بالعين الباكية من تحقيركم آباي يعني لا أزهد في مودتكم ولا أكلمكم
الأصحبة السفينة يعني لا أصاحبكم إلا ما دمت في السفينة فإذا وصلنا إلى البصرة
فارقتكم فصارت صحبة السفينة مثلاً في كل صحبة قليلة شرح مظهر الدين يوسف الرازي

ما شاب محض النصح منه بغشه لا تجلين بقضية مشوقة في ملح من لم تبله او حل وبين القضية

فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه وبين خلب بقه من صيب للشائمين ووبله

من طشه فهناك ان تر ما تشين فواره كرما وان تر ما يزين فافشه ومن استحق الارتقاء فرقه

ومن استحط فحطه في حشه واعلم بان التبر في عرق الثرى خاف الى ان يستثار بنبشه و

فضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه ومن الغباوة ان تعظم جاهلا

لصقال ملبسه ورونق نقشه او ان تهين مهذبا في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه

اخي طمرين هيبة لفضله ومفوف البردين عيبة لفحشه واذا الفتى لم يغش عارا لم تكن اسماله الا

مراقي عرشه ما ان يضر العضب كونه في غمده خلقا ولا البازي حقارة عشه ثم اعتام ان يقف

الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على ما فرط في ذاته وعض خنصره على فواته نعشه

على ان لا يحتقر شخصا لرثاثة برده والازدراء بردة نجوانا في علم المقامة الثالثة

والعشرون تنظم القصة حكى الحارث بن همام قال نبا بي مألف الوطن

في شرخ الزمن المخضوضر لخطب خشيته وخوف غشيته فارقت كاس الكرى ونضوت كاب السرى وجبت في مسري

وعورا لم تدمثها الخطى ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة

فسريت مجاسل الروع واستشعاره وسربلت لباس الامن وشعاره وقصرت همي على لذة اجتنيها

وملحة اجتليها فبرزت يوما الى الحريم لارفه طرفي واجيل في طرفه طرفي فاذا فرسان متتالون وعن حال

متسائلون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبب فتى جديد الشباب خلق الجلباب فقصدت

اثر النطاة حتى وافينا باب الامارة وهناك صاحب المعونة متعاف في دسته ومروعا بسمته فقال

له الشيخ اعز الله الوالي وجعل كعبه عاليا اني كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما

فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان فشهر ولم اخله يلوي علي ويتبجح حين يرتوي مني فيلقح فقال

له الفتى علام عثرت مني حتى تنشر هذا الخزي عني فوالله ما سترت وجه بزك ولا هتكت حجاب سترك

ولا شققت عصا امرك ولا الغيت الاوة شكرك فقال له الشيخ ويلك واي ريبة اخزى من

ريبك وهل عيب افحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستلحقته وانتحلت شعري واسترقته

واسترق الشعر عند الشعراء افظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار

كغيرتهم على البنات الابكار فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ او مسخ او نسخ فقال والذي

جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الادب ما احتد سوى ان بتر شمل شرحه واغار على ثلثي سرحه

فقال له الوالي انشدنا ثم منها البضع ما احتاز من جملتها فانشد شعر يا خاطب الدنيا

الدنية انها شرك الردى وقرارة الاكدار دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا بعدا لها

من دار واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار غاراتها لا تنقضي واسيرها لا يفتدى

بجلائل الاخطار كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار قلبت له ظهر المجن واولغت

فيه المدى ونزت لاخذ الثار فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار واقطع علائق

حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الاسرار وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى وتوثب

الغدار واعلم بان خطوبها تفجا ولو طال المدى ووني سرى الاقدار فقال له الوالي ثم ماذا صنع

٧٨

هذا قال أقدم للوثير في الجزاء على أبيات السداسية الأخر فحذف منها الجزئين ونقص من أوزانها

فذين حتى صار الروي منها وزنين فقال أيهما أخذ من أين فلذ فقال الآخر عني سمعك وأخل الفهم

عني ودعك حتى يتبين كيف أصلت على تقدمه فما اعتراه الحيا ثم أنشد وأنفاسه تصعد

شعر يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا

وإذا أظل سحابها لم ينتفع منه صدى غاراتها لا تنقضي وأسيرها لا يفتدى كم مزدهى بغرورها

حتى بدا متمردا قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيه سدى و

اقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى واعلم بأن

خطوبها تفجا ولو طال المدى فالتفت الوالي إلى الغلام وقال تبا لك من جريح مارق وتلميذ

سارق فقال الفتى برئت من الأدب وبنيه وحجت عن بادية وتقوض مبانيه إن كانت

أبياتي نمت إلى علمي قبل أن ألفت نظمي وإنما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر قال

فكأن الوالي جوز صدق زعمه فندم على ما درج ذمه وظل يفكر فيما يكشف له عن الحقائق و

يميز به الفائق من المائق فلم ير إلا أخذهما بالمناضلة وأن يقرنهما في قرن المساجلة فقال لهما

إن أردتما افتضاح العاطل وانفصال الحق من الباطل فترا سلا في النظم وتبادرا وتحاولا في

حلبة الإجازة وتجاريا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقالا له نلبا

وأحد جواب متوارد قد رضينا بسبرك فمرنا بأمرك فقال إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس

وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه وتصوغانها بحليه وضمناها شرح

٧٩

طالي مع إلف لي بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثني كثير التجني مغرى بتناسي العهد وطائع

الصد وأنا لكما تعدلا فقال الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا وتكاتبا أبياتا فتيا على هذا

النسق إلى أن كمل نظم الأبيات وأنشأ شعر وأحوى حوى رقي برقة لفظه وغادرني إلف

السهاد بغدره تصدى لقتلي بالصدود وإنني لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره أصدقه في الزور

خوف ازوراره وأرضى استماع الهجر خشية هجره وأستعذب التعذيب منه وكلما أجد عذابي جد

بي حبه تناسى ذمامي والتناسي مذمم وأحفظ قلبي وهو حافظ سره وأعجب ما فيه التباهي

بعجبه وأكبره عن أن أفوه بذكره لمن المدح للذات نشره ولمن طي الود من بعد نشره

ولو كان عدلا ما تجنى وما جنى علي وغيري يجتني رشف ثغره ولولا تثنيه ثنيت أعنتي

بدار إلى ما أجتلي نور بدره وأني على تصريف أمري وأمره أرى الموت أحلى في نفاذ لأمره

فلما أنشداها الوالي متمثلين هبت لذكاهما المتعادلين وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء

وكزندين في وعاء وإن هذا الحدث لينفق مما أنشد الله ويستغني بوجود عمن سواه فنبأ بها

الشيخ من اتهامه ونزلت إلى إكرامه فقال الشيخ هيهات أن ترجع مقتي أو تعلق بقتي وقد بلو

كفرانه للصنيع وميت منه بالعقوق الشنيع فاعترضه هذا الفتى وقال يا هذا إن اللجاج

شؤم والحقد لؤم وتحقق الظن إثم وإعنات البرئ ظلم وهبني اقترفت جريرة واجترحت

كبيرة أما تذكر إذ أنشدت لنفسك في بابل إنسك شعر سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة

بالغلط وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يوما أو قسط وأطعن خاصة هن أن عز وابن ذا

واحفظ ضيفك عند شكر الصنيعة أم غمط وأت الوفاء وإن أخل بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك إن طلبت مهذبًا رمت الشطط من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط أو ما ترى
المحبوب والمكروه لزّا في نمط كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط ولذاذة العمر الطويل يشوبها
نغص الشمط ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة
الصل ويحملق حملقة البازي المطل ثم قال والذي زين السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب فادّعى
عن الاصطلاح إلا التوق إلى الافتضاح فإن هذا الفتى لمعتاد أن أمونه وادعى شؤونه وقد كان الدهر
يسح فلم أكن أشح فأما الآن فالوقت عبوس والعيش بوس حتى إن يدي هذه غادرة وبيتي
لا تطوف به عفاة قال فرق لمقالهما قلب الوالي وأوى لهما من غير الليالي وصبا إلى خصامهما
بالإسعاف وأمر النظارة بالانصراف قال الحارث بن همام فكنت مشوقًا إلى تحرّي الشيخ لعلي
أعلم علمه إذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام ليسفر عنه ولا يفرج لي فأدنو منه فلما تقوضت
الصفوف وأجفل الوقوف توسمته فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت مغزاه فيما أتاه
وكدت أنقض عليه لأستفسر إليه فزجرني بإيماض طرفه واستوقفني بإيماء كفه فلزمت موقفي
وحرفت منصرفي فقال الوالي ما عراك ولأي سبب مقامك فابتدر الشيخ وقال إنه نسيبي و
صاحب ملبوسي فتبسم عند هذا القول بتأنيسي ورخص في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما
بنصاب من العين واستعهدهما بالمعروف إلى الظلال يوم المخوف فنهضا من ناديه مشتملين بشكر
أياديه وتبعتهما لأعرف مثواهما وأتبرع من نجواهما فلما أجزنا حمى الوالي وأفضينا إلى الفضاء

٨١

الخالي أدركني أحد جلاوزته مهيبًا إلى حوزته فقلت لأبي زيد ما أظنه استحضرني إلا ليستخبر بي
فماذا أقول وفي أي واد معه أجول فقال أبرز له غباوة قلبه وتلاعب بلبه ليعلم أن ريحه
لاقت إعصارًا وجدوله صادف تيارًا فقلت أخاف أن تتقد غضبته فيلحقك لهبه والشرر
لميسه فيسري إليك بطشه فقال إني أرحل الآن إلى الرها وأنى يلتقي سهيل والسها فلما حضرت
الوالي وقد خلا مجلسه وانجلى تعبسه أخذ يصف أبا زيد وفضله ويذم الدهر له ثم قال أنشدك
الله ألست الذي أعاره الدست فقلت لا والذي أجلسك في هذا الدست ما أنا بصاحب ذاك الدست
بل أنا الذي تم عليه اللد فازورت مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال والله ما أعجزني قط فضح
مريب ولا تكشيف معيب ولكن ما سمعت بأن شخصًا دلس بعدما تطلس فتفلس فهذا أتم له التدبير
أفيلهي أن يسكن ذلك الملك قلت لا أشفق منك أبعد طوره فظعن عن بغداد من فوره فقال
لا قرب الله له نوى ولا كلأه أين ثوى فما زاولت أشد من نكره ولا ذقت أمر من مكره ولولا حرمة
أدبه لأوغلت في طلبه إلى أن يقع في يدي فأوقع به وإني لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام فأفتضح
بين الأنام ويحبط مكانتي عند الإمام وأصير ضحكة الخاص والعام فعاهدني على ألا أتفوه بما اعتمد
ما دمت حلًّا بهذا البلد قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفى

السموأل

المقامة الرابعة والعشرون وتعرف بالنحوية

حكى الحارث بن
همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في إبان الربيع فتية وجوههم أبهج من نواره وأخلاقهم أبهج
من أزهاره وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن

دنانير المراهم وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وان لا ينفرد احد منا
باللذاذ ولا يستاثر ولو بزاد فاجمعنا في يوم سما دجنه وحسنه وحكم بالاصطباح
حزنه على ان نلتهي بالخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر في الرياض النواضر ونصقل الخواطر
بنشر المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندماني جذيمة مودة الى حديقة اخذت زخرفها
وازينت وتنوعت ازاهيرها وتلونت ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس والشادن
الذي يطرب السامع بلهجته ويحرك كل سمع ما يشتهيه فلما اطمان بنا الجلوس ودارت علينا الكوس
وغل علينا ذو طمر فحجهتنا تجهم الغيد الشيب وجلنا صفو يومنا قد شيب الا انه
سلم تسليم اولي الفهم وجلس يقتض لطائف النثر والنظم ونحن نتحمى من انساطه وننكر انبساطه
الى ان غنى شادينا المغرب ومغردنا المطرب بشعر الم سعادة لا تصلين حالي وان
نادين بحيها الا في صبرت علينك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي وها انا قد عزمت على
انتصاف اتاه فيه خلي ما ذنبا فان وصلا الذ به فوصل وان صرما فصرم كالطلاق فاستفهمنا
الغائب بالمثال لم نصب الوصل الاول ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه لقد نطق بها اختاره سيبويه
فتشعبت اراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طائفة
لا يجوز فيهما الا انتصاب واستبهم على الاخرين الجواب واستعر بينهما الاصطخاب وذلك الواغل
يبدي ابتسام ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة حتى اذا سكت الزماجر وهمدت الزجر والزاجر
قال يا قوم انا انبئكم بتاويله واميز صحيح القول من عليله انه ليجوز نصب الوصلين ورفعهما
والمغايرة

٨٣

والمغايرة في الاعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الاضمار وتقدير المحذوف في هذا الفصل
قال فافرط من الجماعة افراط في مماراته وانخراط الى مباداته فقال اما اذ دعوتم نزال وتلببتم للنضال
فما كلمة هي ان شئتم حرف محبوب واسم لما فيه حروف طلوب واي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع
ملازم واية هاء اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل واين تدخل السين فتعزل العامل
من غير ان تجامل وما منصوب ابدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف واي مضاف اخل من عرى الاضافة
بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذي يتصل اخره باوله ويعمل معكوسه مثل
عمله واي عامل نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا وفي اي موطن تلبس
الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال واين يجب حفظ المراتب على المضروب
والضارب وما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه الاول
التزام وفي الثاني الزام وما وصف اذا اردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج
من الزبون وتعرض للهون فهذه ثنتا عشرة مسئلة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا
وان عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه اللاتي هالت ما هالت
حار له الافكار وحالت فلما اعجزنا العوم في بحره واستسلمنا لتمائم سحره عدلنا عن
استثقال الرؤية له الى استنزال الرواية عنه ومن بغي التبرم به الى ابتغاء التعلم منه فقال
والذي نزل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام وحجب مطالعه عن بصائر الطغام لا انلتكم
مراما ولا شفيت لكم غراما او تخولني كل يد وتخصني كل منكم بسليم تسوي في الجامد الامراد عن

٨٤ لحكمه وسنا النجابة كمنه فلما حصل بحث وكانه اضرم شعلة ذكائه فكشف من اسرار
الغامضة وبدائع اعجازه ما جلا به صدأ الاذهان وجلى مطلعه نور البرهان قال الراوي فهمنا
حين فهمنا وعجبنا اذ اجبنا وندمنا على ما ندّ منا واخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس ونعرض
عليه تعاطي الكاس فقال ما بي الا احاوة ومشربي تسوءه عنك حلاوة فاطلنا مراودته
ووالينا معاودته فشمخ بانفه صلفا ونأى بجانبه انفا وانشد نسط نها الشيب عما
فيه اولي فكيف اجمع بين الراح والراح وهل يجوز اصطباحي من معتقة وقد انار مشيبي الذي
اصباحي آليت لا خامرتني الخمر ما علقت روحي بجسمي والفاظي بافصاحي ولا اكتست لي بكامات الشلا
يد ولا اجلت قداحي بين اقداحي ولا صرفت الى صرف مشعشعة همي ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا نظمت على مشمولة ابدا شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي محا المشيب مراحي حين خط على
راسي فابعض به من كاتب ماحي ولاح يلحي على جري العنان الى ملهى فسحقا له من لائح لاحي ولو
هو وهبت شآبيب المصابيح من غسا مصباحي قوم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له
التوقير بالصلح ثم انه انساب انسياب الايم ولحق احفال الغيم فعلمت انه سروج سروجي وبدر
الذي يجاب البروج وكان تصادانا التحرق بعده والتفرق من بعده ذكر ما في هذه
المقامة من النكت العربية والاحاجي النحوية اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذهو
فان وصلا الذي به فوصل فانه نظير قولهم المرء مجزي بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذه المسئلة
اوردها سيبويه في كتابه فيجوز في اعرابها اربعة اوجه اجلها واجودها ان تنصب خير الاول وترفع

الثاني

٨٥ الثاني وتنصب شرا الاول وترفع الثاني ويكون تقديره ان كان عمله خيرا فجزاؤه خير وان كان عمله
شرا فجزاؤه شر فتنصب الاول على انه خبر كان وترفع الثاني على انه خبر مبتدأ محذوف وقد حذف في
هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو ان على تقديرهما وحذف ايضا المبتدأ الذي دلت
الفاء التي هي جواب الشرط عليه كقولهم ان تأتيني فانت مكرم لانه كثيرا ما يقع بعدها والوجه الثاني
ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو
يجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر كان وينتصب الثاني بانتصاب المفعول والوجه الثالث ان
ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول على انه اسم كان
وخبر الثاني بانه خبر مبتدأ محذوف على ما بين في شرح الوجه الاول وقد يجوز ان يرتفع خير الاول على
انه فاعل كان وتجعل كان المقدرة هيهنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج
الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ويكون التقدير في المسئلة ان كان
خير فجزاؤه خير اي ان حدث خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم
شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير ان كان في عمله
خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير والمقدر المحذوف فيه يجري اعراب البيت الذي في الاغنية
ومما ينتظم في هذا السلك المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر واما الكلمة
التي هي حرف محبوب واسم لما فيه حرب جلوب فهي نعم ان نطقت بها تصديقا للاخبار والعدة
عند السؤال فهي حرف وان عنيت بها الابل فهي اسم والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الابل

اذا نفرت وعلى كل ما شيء فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها لها
بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل واما الاسم المتردد بين فرد خازم وجمع ملازم
فهو السراويل قال بعضهم هو جمع وواحده سروال مثل شملال وشماليل فعلى هذا القول جمع
وقال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكنى عن نفي الحصر بانه حا
ومعنى قوله ملازم اي لا ينصرف فقد الغز فيه بانه ملازم وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع
وهو كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة احرف لثقله وتفرده دون غيره
من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الاحاد واما الهاء التي اذا الحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل
فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء
لانها قد اصارته الى مثال الاحاد نحو رفاهية وكراهية فخف بهذا السبب وصرف وهذه العلة
وقد كنى في هذه الاحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم واما
السين التي تعزل العامل من غير ان تحامل فهي السين التي تدخل على الفعل المستقبل وتفصل
بين ان التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب فيرتفع الفعل وتنتقل ان عن كونها الناصبة
للفعل الى ان تصير المخففة من المثقلة وذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم
انه سيكون واما المنصوب على الظرف التي لا يخفضه سوى حرف فهو عند لا يجره من حروف الجر
غير من خاصة واما قول العامة ذهبت الى عنده فهو لحن واما المضاف الذي اخل من عرى الاضافة
بعروة واختلف حكمه بين مشاء وغدوة فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكلما اتي

بعدها

قوله كل جمع ثالثه الف بعدها حرف مشدد كحواج بيت الله فان اصله حواجج على وزن مساجد ثم ادغم

بعدها فهو مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالها اياها في الكلام ثم نونوها
ايضا ليتبين بذلك انها منصوبة على الظرف لا انها من نوع المجرورات التي لا تنصرف وعند بعض النحويين
ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يشتمل معناها على ما هو في ملكك
ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك واما العامل الذي
يتصل اخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسه اي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في
الاسم المنادى وان كانت يا اجول في الكلام واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم ان
ينادى باي القريب فقط كالهمزة واما العامل الذي نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر
تعالى ذكرا فانه با القسم فهذه البا هي اصل حروف القسم بدليل استعمالها مع ظهور فعل القسم في
قولك اقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن ثم قد ابدلت الواو منها في القسم
لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والبا تفيد الالصاق
متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من البا ادور في الكلام واعلق بالاقسام ولهذا الغز بانها اكثر
ذكرا ثم ان الواو اكثر موطنا من البا لان البا لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على
الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات
العطف كما في قوله تعالى ويعفو عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ولهذا وصفها برحب الوكر
وعظم المكر واما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال
فهو اول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع

المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام واما في غير هذا الموطن من
خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة فهذه رتبة كيف انعكس في هذا الموطن حكم
المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه واما الموضع الذي يجب فيه
حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول به لتعذر ظهور علامة الاعراب
فيهما او في احدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثل عيسى وموسى او من الاسماء الاشارة نحو ذلك وهذا
فيجب لازالة اللبس اقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره واما
الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين والاقتصار منه على حرفين فهو مهما وفيهما قولان احدهما
انها مركبة من مه التي هي بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني وهو الصحيح ان الاصل فيها ما فزيدت عليها
ما اخرى كما تزاد على ان فصار لفظهما ماما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا
من الف الاولى هاء فصار مهما من ادوات الشرط والجزاء ومتى نطقت بها لم يتم الكلام ولا
يعقل المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل افعل وتكون حينئذ ملتزما للفعل فان اقتصر
منها على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملتزما من خاطبته ان يكف واما الوصف الذي
اذا ادف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف
اذا الحقته النون استحال الى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في التعليم منزلة الزنيم

المقامة الخامسة والعشرون وتعرف بالكرجية حكى الحارث بن همام قال

شتوت بالكرج لدين اقضيه وارب امضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح ما عرفني جهد
البلاء وعكفت على الاصطلاء فلم اكن ازايل وجاري ولا فارق مثوي ولا الا لضرورة ادفع
اليها او فاقة جماعة احافظ عليها فاضطررت في يوم جون جوه وجنة تكفهر الى ان برزت من كناسي
لمهم عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة قد اعتم بريطة واستثفر بفوطة وحوله
جمع كثيف الحواشي فهو ينشد ولا يحاشي شعر يا قوم لا ينبئكم عن فقري اصدق من عري
فاعتبروا بما يكنه ضري من ظاهر حالي فاحذروا انقلاب الدهر فانني
كنت نبيه القدر اوي الى فري وحد يفري تفيد صفري وبيضي وبيض بيتي وتشكي وفري غدا
اقري فجر الدهر صوف الغدر وشن غارات الرزايا الغر ولم يزل يجنحني ويبري حتى
عفت داري وغاض دري وبار شعري في الورى وسحري وصرت ضو فاقة وعسر عاري المطا مجرى
من قشر كانني المغزل في التعري لا اذوق في الصيف والصبر غير النصب واصطلاء الجمر فهل حر
ذو ثروة وخير يستر ذي بطر وطهر الا قطار حمدا لله لا للشكر ثم قال يا ارباب الثراء الرافلين
في الفراء من اوتي خيرا فلينفق ومن استطاع ان يرفق فليرفق فان الدنيا غدارة والدهر عثور
والمكنة زور والفرصة مزن صيف وادنى الظل لطال ما تلقيت الشتاء بكافاته
واعددت الاهبة له قبل موافاته وها انا اليوم يا سادتي ساعدي عار وجلدي زري وجعبتي
حقيني فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فان السعيد من اتعظ بسواه وليستعد لسراه
فقيل له قد علمتنا ادبك فاجل لنا نسبك فقال تبا لمفتخر بعظم نخر انما الفخر بالتقى
والادب المنتقى ثم انشد شعر لعمرك ما الانسان الا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن امسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه ثم انه جلس محقوقفا واجرنثم

مقفقفا وقال اللهم يا من عمر بنواله وامر بسؤاله صل على محمد وآله وكبّ على الترح هواها

وأتح لي جوابا من خصمها ويسر ولو تقصصها قال الراوي فلما حلي عن النفس العصامية والملح

الأصمعية جعلت عيني تجحه وعرامي يلحظه حتى ترجح ثم استبنت انه ابو زيد وان تعريه احوله صيد

وكلح هوان عرفه قد ادركه ولم يأمن ان يهتكه فقال اقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر انه لن

يستتر في الاسترطاعة واشرب ماء المروءة اديمه فعقلت ما عناه وان لم يدر القوم معناه ورثيت

ما يعانيه من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها

عني وقلت له اقبلها مني فما كذب ان فرّاها وعيني تراها ثم انشد شعر لله من ألبسني فروة

أضحى من الرعدة الجنة ألبسنيها واقيا مهجتي وقي شر الانس والجنة سيكتسي اليوم ثنا

وفي غد يكسى سندس الجنة قال فلما افتتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة القوا عليه من

الفرو المغشاة والجباب الموشاة ما آد ثقله ولم يكد يقله فانطلق مستبشرا بالفرج مستقبيا

للكرج وتبعته الحيا بعد النقبة وبعد السمانية فقلت له لشدّ ما قرسك البرد

فلا تغتر من بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف ما

ليس لك به علم فوالذي نور الشيبة وطيّب طيبة لولا تعرضت بالجبة وصفر العيبة

ثم نزع الى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال اما تعلم ان شنشنتي الانتقال من صيد الى صيد

والانعطاف من عمرو الى زيد وإذاك قد عنفني وعققتني وصدقتني وافتني اضعاف ما افدتني

91

فاعفني عافاك الله تحامى لغوك واسلك بي باب جدك وطولك فحيذ ثم جبذ للتلغابة وجعجعت

بي للدعابة وقلت له والله لولا اوارك واعظ على عوارك لما وصلت الى صلة ولا انقلبت

اكسى من بصلة فجاز ذي عن احسانك البارد وسترك وعليك بان تنشي لحي رد الفروة او تعرفني

كافات الشتوة فقطر الى نظر المتعجب وازمهر ازمهرار المتغضب ثم قال اما رد الفروة فابعد

من امس الدابر والميت الغابر واما كافات الشتوة فبيانها من ضع على هنك فاوهى وعاه

خزانك حتى انسيت ما انشدتك الى ابن سكرة شعر جاء الشتاء وعندي من حوائجه

سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا كنّ وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ثم قال الجواب يشفي خير من جلباب يكفي فاكفف او عش وانكفي من حيث انثنيت فنابقته وقد هبت

فروتي لشقوتي وحصلت على الرعدة طول شتوتي

المقامة السادسة والعشرون

تعرف بالأهوازية

حكى الحارث بن همام قال حللت سوق الاهواز لابسا حلة الاعواز فلبثت

فيها مدة اكابد شدة وازجي اياما مسودة الى ان رأيت تمادي المقام من عوادي الاسقام

فرمقتها بعين القالي وفارقتها مفارقة الطلل البالي وظعنت عن وشلها كميش الازار وكضنا

الى المياه الغزار حتى اذا شحطتها مرحلتين وبعدت عنها ميلين تراءت لي خيمة مضروبة ونار

مشبوبة فقلت ليتهما للعلى انقع صدى واجد على النار هدى فلما انتهينا الى ظل الخيمة ورأت

غلمة دوقة وشادة من موقرة وشيخا عليه ابهة سنة ولديه فاكهة جنية فحييته ثم تحاميته

فضحك الي واحسن الرد علي وقال للاجالس لي من ترق فاكهتي وتسوق مفاكهتي فجلست

لاغتنام

لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما يحضره فحين سفر عن اداره وكشر عن انيابه عرفت انه ابو زيد
بمجون ملحه وقبح قلحه فعارفنا حينئذ وحفت بي فرحتان ما عشتئذ ولم ادر بايهما انا اصفى
فرحاً واوفى مرحاً ابإسفاره من دجنة اسفاره ام بتخصيصه اياي بعد امحاله وتاقت نفسي
الى ان اقتص خبر سره وابطن داعية سيره فقلت له من اين ايابك والى اين انسيابك مع امتلاء
عيابك فقال اما المقدم فمن طوس واما المقصد فالى السوس واما الحاجة التي اصبتها فمن
رسالة اقتضيتها فسألته ان يعرفني دخلته ويسرد علي رسالته فقال دونكها ان كان حرب
السوس او تصحبني الى السوس فصاحبته اليها قهراً وعكفت بها عليه شهراً وهو يعللني بكاسات
التعليل ويجرني لعنة التأميل حتى اذا حرج صدري وعيل صبري قلت له انه لم يبق لك علة
ولا لي في المقام تعلة وفي غد ازجر غراب البين وارحل بخفي حنين فقال حاش لله ان اخلفك
واخالفك وما ارجأت ان احدثك الا لالبثك واذا كنت قد استربت لمعاجي ولغراك ظن السوء
بمباعدي فاصغ لقصص سيري الممتع واضفها الى اخبار الفرج بعد الشدة فقلت له هات فما
اطول طيلك واحول حيلك فقال اعلم ان الدهر العبوس القاني الى طوس وانا يومئذ فقير وقير لا
فتيل لي ولا نقير فالجأني صفر اليدين الى التطوق بالدين فادنت لسوء الاتفاق من هو عسر الاخلاق
وتوهمت تيسر النفاق فتوسعت في الانفاق فما افقت حتى بهظني دين الزمني حقه ولازمني مستحقه
فحرت في امري واطلعت غريمي على عسري فلم يصدق املاقي ولا نزع عن ارهاقي بل جد في التقاضي
ولج في اقتيادي الى القاضي فكلما اخضعت له بالكلام واستنزلته من رفق الكرام ورغبته في ان انظر

الى مياسرة او ينظر في المعسرة والى الانطع في الانظار واهجان النضار فوحق ما ترى مسالك
الخلاص فقربني صبابات الخلاص ولما رأيت احتيالي لدغه وان لا مناص لي من مشاغبته ثم ولببته
ليرفعني الى والي الجرائم لا الى الحاكم لما كان بلغني من افضال الوالي وفضله وتشدد القاضي وبخله
فلما حضرنا باب ميرطوس انشد لا باس ولا بوس فاستدعيت دواة وبيضاء وانشأت اليه
رسالة رقطاء وهي هذه اخلاق سيدنا تحب وبعقوته يلب وقربه تحف ونأيه تلف
نسب وقطيعته نصب وغربه ذلق وشيمته تألق وظلفه ذان وقومه بهم ابان وذهنه قلب وحرب و
نعمه شرق وغرب الخفية سيد قلب سوق منير فطن مغرب عزوف عيوف مخلف
متلف اغر فريد نابه فاضل ذكي انوف مفلق ان ابار طب اذ اناب هياج وجل خطب مخوف
مناظم شرف بالف شؤبوب جابر بكف نائل يديه فاض وشح قلبه غاض وخلف سخائه حلب
وذهب عيابه يحرب من لقا لقه فلج وغلب واباه جلب فخلب كف عن هضم بري وبري من
دلس غوي وقرن لبانه بعز ونكب عن مذهب كل ليس بوات عنده بهرة شر بل بعف عفتر الكامل
فلذا يحب ويستحق عفافه شغفا به فلما خلاف اخلاقه غرب ترف وفوقه فوق اذا اصلته
غلاب سح بحش وغد وتلك اذ هفا خل فليس يحقه يتاب لا باخل بل باذل خرق اذا يعتري
لا يليه باب ان عض ازل فل غرب عضا بمنابه فاتحت منه نائف حلم بمن لب وفطن وقرت
وشطن ان ادعن لقريع زمن وحائد من متضع تلك لبانة خص بافضتها نعش وفرج
وضاف فابهج وناقر فازعج وفا يجي ابلج ينعت عن سلي وفرد اذهر وبلي وتوج صفاته

يجب عفاته الزجر ولا على ذي ابهة بمنة ظل خصيب فانه بين النضو شهيد وان غرا يا ظرفه
يلبس خوف تبه فلين سيدنا فوزه بمفاخر تاتلت وحلت وفوته بصنايع تمت وغنت وتلا
ورب حضرته غوث بحظ من حظوته فانه تليد ندب وشريف بعكم وجريح نوب اثرت فيه
ولابد نشيت اذا جاش بخطبة فلا يوجد قايل ثم قس ثم باقل فان زجر قلت جر قد نميت فيجبرها
وياضا فذهب هذا ثم شرب بض وقوته قرض وفلقه غسق وجلبابه خلق وقد قلوا بنوغير غنا
اذ عاشتم نشبته بجو لازم فان من سيدنا يكفه بيت كفه توشح بحلو فاق فغا باجر فنجى بين تقتا
لا خلت سجايا خلقه ترفد شايم برقة بمن دب ان حي يدي قال فلما استشف الامير لالها
ولمح السر المودع فيها اوعز في الحال بتقاضيه فتفضل ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني لكاتبه
واختصني باثرته فلبثت بضع سنين انعم في ضياء وارتع في ريف اخضر حتى اذ عمر نبي هوايه
واطال ذيلي ذاهبه تلطفت في الارتحال على ما ترى من حسن الحال قال فقلت له شكر المنان اتاح
لك لقيان السمح الكريم وانقذك من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلو
من الخصم الالد ثم قال ايما احب اليك ان احذيك من العطاء ام اتحفك بالرسالة الرقطاء
قلت ما الرسالة احب الي فقال هو وحقك اخف علي فان نحلة ما يلج في الاذان اهون من نحلة
ما يخرج من الاردان ثم كانه ندم واستحيى فجمع لي بين الرسالة والحذيا ففرقت بينهم في قلبي وصلت
عنه بعينين وابت الى وطني قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون المعروفة بالوبرية

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زما الذي غراري

جاذبت اهل الوبر لآخذ اخذ نفوسهم الابية والسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدا
وسملت اهبتي الارض غورا ونجدا الى ان قتبت قهدمني الرغبة وقلبة من الثاغية ثم اقبلت
الى عرب ذوي اقيال وابناء اقوال فاوطنوني دامنع جانب فلو اعي عني كل ناب فما زلت عندهم
ثم ولا قرع عصفا سهم الى ان ضللت في ليلة مثيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم الف نفسا بالغا طلبها
والقلت حبلها على غاربها فامتطيت قرا حصان واعتقلت لدنا خطاطا وسرت ليلتي جمعا
اجوب البيد وافتري كل شجر ومدر الى ان نشر الصبح رايته وحيعل الداعي صلوته فنزلت
عن متن الكويت لاداء المكتوبة ثم علت في صهوتها وفرغت من بحثها واستقرا اري آلاف ققوف
ولا اتسنم الا علوة ولا اوديا الا اجزعته ولا واكبا الا استطلعته وجلي مع ذلك يذهب هدرا
ولا يجد الوجيف صدا الى ان تحامت صكة عمي ولفح هجير ينهل غيلان عن مي وكان يوما اطول
ظل القناة واحر من دمع المقلاة فايقنت انني ان لم استكن من الوقدة وانجم بالرقدة لا دنفني
اللغوب وعلقتني شعوب فعجت الى سرحة كثيفة الاغصان وتفية الافنان لاغور تحتها الى
فوالله ما استروح نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت الى بالع في هيئة سايح وهو يتيمم تيممي ويشد
الى تقصي فكرهت ان يحيا الى مغا واستعذت بالله من شر كل مفاجي ثم رجيت ان يكون منشد
يتكم منشد فلما اقترب من سرحتي وكاد يحل ساحتي الفيته شيخنا السروجي متشحا بجرابه ومتأبطا
اهبة نجواه فانساني ما دهمني وانشدته ما شرد ثم استوضحته من اين اثره وكيف عجره وبجره فانشد
ولم يقل انها شعر قل للمستطيع دخلة اخرى لك عندك كرامة وعزارة انا ما بين جوب ارض

فارض وسرى في مفاوز ومفازة ذاك الصيد والمطية تغلي وجهاد الجراب والعكاز فاذا ما
هبطت مصرا افنيت عرفة الخان النديم حوانة ليس لي ما اشاء ان فات او احزن ان حاول الزمان
ابتزازه غير اني ابيت خلوا من الهم ونفسي عن الاسى متجافية ارقد الليل ملء اجفاني وقلبي بارد من
حرارة وحزازة لا ابالي من اي الكاس تفوقت لا ولا ما حلاوة من حزازة لا ولا استجر ان لعل الدهر
بجاذ الراز تسنى لحاجة واذا مطلب استحلت العادة فبعد المن ورم بحاجة ومتى اهتز للدناءة
نكس عاف طبعي طاعة اهتزازه فالمنايا ولا الدنايا واحرى من ركوب الخنا ركوب الجنازة ثم
رفع الي طرفه وقال لامر ما جدع قصير انفه فاخبرته بحين ناقتي الشاردة وما عانيته في حبو البادية
فقال دع الالتفات الى ما فات والطماح الى ما طاح ولا تاس على ما ذهب ولو انه واد من ذهب ولا
تستمل من مال عن ذيلك واضرم نار تباريحك ولو كان ابن بوحك او شقيق روحك
ثم قال هل لك في ان تقيل ونتحامى القال والقيل فان الابدان قد انضاها تعب الهاجرة ذات اللهب
ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر خصوصا في شهري ناجر فقلت ذلك اليك فما
اريد ان اشق عليك فافترش الترب واضطجع واظهر انه قد هجع وتقنعت على ان احرس ولا اعرس
فاخذتني السنة لما ازمت الالسنة فلم افق الا والليل قد تولج والنجم قد تبلج ولا السروجي
ولا المسرج فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية اساور الوجوم واساهر النجوم افكر تارة
في رحلتي واخرى في رجعتي الى ان صبح لي عند ابتغاء الضحى وحجب الجو راكب يخب في الدو فلمعت
اليه بثوبي ورجوت ان يعرج الى صوبي فلم يعبا بالمعنى ولا اوى للمعنى بل مر على هينته لا يرتضي

بهم اهانتيه فاوفضت اليه لاسترده واحتمل تعطرفه فلما ادركته بعد الاين واجلت فيه
العين وجدت ناقتي مطيته وضالتي لقطته فما كذبت ان اذنيته من سنامها وجاذبته طرف
زمامها وقلت انا صاحبها ومضلها ولي رسلها ونسلها فلا تكن كاشعب فتشعب وتتعب فاخذ يلدغ و
ينتج ولا يستحيي وبيننا هو يبزو ويلين ويستاسد ويستكين اذ غشينا ابو زيد لابسا جلد النمر
وهاجما هجوم السيل المنهمر فخفت والله ان يكون يومه كامسه ويده مثل شمسه فالحق بعدما
لقائطين واصير اثرا بعد عين فلم ادر الى ان ذكرته العهود المنسية والفعلة الامسية وناشدته
الله او افي اليوم للثلاثاء ام لما فيه تلافي فقال معاذ الله ان اجهز على مكلومي او اصل حروبي
بتموبل وافيك لا جبر كسر حالك واكون يمينا لشمالك فسكن عند ذلك جاشي وانجاب
استيحاشي واطلعته طلع اللقحة وترقعت جمالها بالقحة فطر اليه نظر ليث العريسة الى الفريسة ثم
اشرع قبله الرمح واقسم برب انا والصبح لئن لم ينج منجا الذباب ويرض من الغنيمة بالاياب ليوردن
سنانه وريده وليفجعن به وليده ووعيده فنبذ زمام الناقة وحاص وقال لات حين مناص فتسلم
الي ابو زيد تسلمها وتسنمها فانها احدى الحسنيين وويل اهون من ويلين قال الحارث بن همام فحرت
بين لوم ابي زيد وشكره وزنة نفعه بضره وكاد بوحي بما اصطنع وتكهن ما خامر سره فقال ملمحي
بوجه طليق وانشد بلسان ذليق شعر يا اخي الحامل ضيمي دون اخواني وقومي ان يكن ساءك
امسي فلقد سرك يومي فاغتفر ذا لذا واطرح شكري ولومي ثم قال اما انا فمشوق وانت مشوق فكيف
نتفق ولي بغي ادهم الارض ويركض طرفه اتمادي ركض فما عدو فان فتعصت مطيتي وعلقت لطيتي

حتى وصلت الى حلتي بعد اللتيا والتي

تفسير ما اودع في هذه المقامة

من الالفاظ اللغوية والامثال العربية قوله دَيَق زمانى يعنى اوله ورايقه وقد يخفف فيقال روق

وقوله اخذا خذ نفوسهم يعني افتكهم بهم نوع منه اخذ اخذهم واخذ بكسر الهمزة وفتحها اى الهجمة نحو

المائة من الابل والثلة القطيع من الغنم والراغية الابل والثاغية الشاة ومنه قولهم ماله راغية

ولا ثاغية اى لا ناقة ولا شاة وقوله اردا اقيالا اى يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله ابنا الوغى

اى فصحاء للمنطيق انا ابن اقوال قوله فقد ترى فرسا محضارا الندر الوثوب على ظهر الفرس

والمحضار والمحضير الشديد العدو ماخوذ من الحضر وهو العدو وقوله اقتري كل شجراء وجردا

الاقتراء تتبع الارض والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو

وجهه من الشعر وقوله حيهل الداعي الصلوة يعني به قول المؤذن حي على الصلوة حي على الفلاح

والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحولقة والحمدلة والجعلفة والبسملة والحسبلة

والسبحلة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والحمدلة

حكاية قول الحمد لله والجعلفة حكاية قول جعلت فداك والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية

قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله قوله فنزلت من متن الركوبة يعني المركوبة ناقة

ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبتهم الصهوة مقعد الفارس من ظهر الفرس والشحوة

الخطوة والجزع قطع الوادي عرضا وقوله صكة عمي يعني به قائم الظهيرة واختلف في اصله فقيل كان

عمي رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء

في ذلك

في ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك

الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغروا اسود وازهر فقالوا سويد وزهير وقوله

وكان يوما اطول من ظل القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام

القطاة وبابهام الحبارى والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل ومنه قول الشاعر ويوم كظل الرمح

قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر وقوله لحر من دمع المقلاة المقلاة هي التي لا يعيش لها ولد

فدمعها ابدا حار لحزنها على ولدها لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل

للمدعو له اقر الله عينك ماخوذ من القر وهو البرد وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ من السخنة

وهي الحرارة وقيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه دعاء له ان يرزق ما يقر عينه حتى لا يطمح

الى غيره وكانت الجاهلية تزعم ان المقلاة اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا اشار

بشر بن ابي خازم في قوله تظل مقاليت النساء يطانه يقلن الا يلقى على المرء مئزر وقوله علقت

شعوب يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم اداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله لا عوى تحتها الى

المغيريان التعويج النزول للقايلة كما ان التعريس النزول اخر الليل للتهويم والاستراحة والمغيربان

تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب الحقت اخره الفا ونونا على طريق الشذوذ

وقوله مضطبنا اهبة نجوا به الاضطبان ان يحمل الشيء تحت ضبنه والاحتضان ان يحمله تحت

حضنه والضبن ما بين الابط والكشح وكلاهما متقاربان واول مراتب الحمل الابط ثم الضبن وهو

اسفل الابط ثم الحضن وهو عند الجنب والنجواب مصدر جاب وجميع المصادر التي جاءت على وزن

تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء الاغير وقوله عجره وبجره يريد به جميع امري الظاهر
الباطن واصل العجر العقد الناتية في العصب والبجر العقد الناتية في البطن وقوله ولو بقيل
ايها اي لو ما اعرتني بالكف يقال للمستزيد ايه وللمستكف ايها وقوله لامر ما جدع قصير انفه قصير هذا
هو جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزبا مولاه ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن
عدي ابن اخت جذيمة هو الذي جدع انفه تهمة له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار عليه بقصدها
فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته الى العراق مرارا فكان يأتيها بالطرف عنه الى ان تمكن
في الحرب توابيت الرجال في الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصته مشهورة
وقوله ولو كان ابن بوحك يعني ولد الصلب اشارة الى انه ولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها
بوح وقيل ان البوح من اسماء الذكر وقوله في شهري ناجر هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز
وانكر ابو بكر محمد بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين وقوله بت بليلة نابغية اوحى
بها الى قول النابغة فبت كاني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع وقوله المعت
اليه بثوبي يعني اشرت اليه يقال منه المع ولمع بمعنى وقوله يلدغ ويصئي هذا مثل يضرب لمن يظلم
ويشكو يقال صأت العقرب تصئي صئيا وصئيا بفتح الصاد وكسرها اذا صوتت وكذلك الفرخ ومما احسن
قول ابن الرومي في هذا المعنى تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان اصله ان الجدي ينزو وهو صغير
فاذا كبر لان وقوله لا تساجل النمر هذا المثل يضرب للمتقحم الجري لان النمر اجرأ سبع واقله

احتمالا

احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر اي صار مثل النمر وقوله فالحق بالقارظين الاصل في
القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والآخر
من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب
لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذويب في قوله وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب
لوائل وقوله الفعلة الامسية هذا من شواذ النسب لان القياس ان يقال في النسب الى امس امسي
بفتح الهمزة وقد كسرها هنا في النسب وقوله حرور يسمى الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة
نهارا وقد تقام احديهما مقام الاخرى مجازا وقوله ليث العريسة يعني مأوى السبع يقال فيه
عريس وعريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة واما الغيل والخيس
فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله افلت وله حصاص هذا المثل يضرب للمنجي من هلكة اشفى عليها
وكاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط وقوله ويل اهون من ويلين هذا المثل يضرب
تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الآخر حنانيك بعض الشر اهون من بعض وقوله وانا
شق وانت شق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان الشق هو الممتلي غيظا
مأخوذ من قولهم انتق الاناء اذا امتلأ والمشق هو الباكي فكان الشق ينزع الى الشر لغلظه
والمشق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم انا كلف وانت صلف فكيف نأتلف وقوله
لصيتي يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال فيها الصيتة بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا تصغير
اللتي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الا

على فتحة الأصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته من ضم اوله بان زادت الفا في اخره
واجرت اسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقال في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا
وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما من اسماء
الداهية وقيل المراد بهما صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون

وتعرف بالسمرقندية

اخبر الحارث بن همام قال استبضعت في بعض اسفاري القند
وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط ادحي قوس المراح الى غرض الافراح
واستعين بمرح الشباب على ملاح السراب فوافيتها بكرة عروبة بعد ان كابدت الصعوبة فما
ونيت الى ان حصل البيت فلما نقلت اليه قندي وملكت قول عندي عجت الى الحمام على الاثر فاماطت
عني وعثاء السفر واخذت في غسل الجمعة بالاثر وبادرت في هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع لاحوز
القرب من الامام واتقرب بافضل الانعام فتخيرت ان جليت في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع
الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا ويردون فرادى وازواجا حتى اذا اكتظ الجامع
بحفله واطل تساوي الشخص وظله برز الخطيب في اهبة مهابة يا خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة
الى ان مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين وجلس حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال الحمد لله الممدوح
الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء مالك الامم ومصور الرمم واهل السماح
والكرم ومهلك عاد وارم ادرك كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد
كل مارد حوله احمده حمد موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد

العادل

العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا ردء له ولا مساعد ارسل محمدا للاسلام ممهدا وللملة موطدا
ولادلة الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر مسددا وصل الارحام وعلم الاحكام ووسم الحلال والحرام
ورسم الاحلال والاحرام كرم الله محله وكمل الصلوة والسلام له ورحم الله آله الكرماء واهله
الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطع حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا
لمعادكم كدح الاصحاء واردعوا اهواءكم ردع الاعداء واعدوا للرحلة اعداد السعداء وادرعوا
حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا اود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوروا لاوهامكم
حول الاحوال وحلول الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل وادكروا الحمام وسكرة
مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه والمحوا الدهر
ولؤم كره وسوء محاله ومكره كم طمس معلما وامر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه سك المسامع
وسح المدامع واكداء المطامع وارداء المسمع والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع والمحسود
والحساد والاساود والاساد ما امول الا ما لول ولا وصل الا وصال الاوصال ولا كلم الاوصال ولا اسر الا وعكس الآمال
وساء ولؤم واساء ولا اصلح الا وولد الداء ووقع الادواء الله الله رعاكم الله الام مداومة اللهو
وموالاة السهو وطول الاصرار وحمل الاصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة الله مالك السماء اما الهرم
حصادكم والمدر مهادكم اما الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما الساعة موعدكم والساهرة
موردكم اما اهوال الطامة لكم مرصدة اما دار العصاة الحطمة الموصدة حارسها مالك ووردها
هالك في طعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال اسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد

الا رحم الله امرأ ملك هواه وامّ مسالك هداه واحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا
والدهر موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا دهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الآلام
وحموم الحمام وهدوء الحواس ومراس الارماس آها لها حسرة المامها موكد وامدها سرمد وما لمراسها
مكمل الوله حاسم ولا لسده لحم ولا له مما عراه عاصم الهمكم الله احمد الالهام ورداكم رداء الاكرام
واحلكم دار السلام واسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو اسمح الكرام والمسلم والسلام قال
الحارث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا بغير نقط دعاني الاعجاب بنظمها الى
استجلاء وجه الخطيب فاخذت اتوسمه جدا واقلب الطرف فيه مجدا الى ان وضح لي بصدق العلامات
انه شيخنا ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت في ذلك الوقت فامسكت حتى تحلل من الفرض وحل
الانتشار في الارض ثم واجهت تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما لحظني خف في القيام واحفى في الاكرام
ثم استصحبني الى داره واودعني خصائص سراره وحين انتشر جناح الظلام وحان ميقات المنام
احضر اباريق المدام مختومة بالفدام فقلت اتحسوها امام النوم وانت امام القوم فقال مه
انا بالنهار خطيب وفي الليل اطيب فقلت والله ما ادري أأعجب من تسليك عن اناسك ومسقط
رأسك ام من خطابتك مع ادناسك ومدار كاسك فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني شعر

لا تبك الفا نأى ولا دارا ودر مع الدهر حيثما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارى
ولا تضع فرصة السرور فما تدري ايوما تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جائلة وقد ادار على الورى دارا
واقسمت لا تزال قانصة ما كر عصر المحيا ولا دارا

فكيف يرجى النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا قال فلما اغتبقت الكؤوس وطربت النفوس
جرعني اليمين الغموس على ان احفظ عليه الناموس فاتبعت مرامه ووعيت ذمامه ونزلته بين الملا
منزلة الفضل وسدلت الذيل على تخازي الليل ولم يزل ذلك دأبي ودأبه الى ان تهيأ ايابي فودعته
وهو مصر على التدليس ومسرّ حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون

وتعرف بالواسطية

حكى الحارث بن همام قال الجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع ارض واسط فقصدتها
وانا لا اعرف بها سكنا ولا املك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيدا والشعرة البيضا في اللمة السودا
قادني الحظ الناقص والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق واخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه
وظرف سكانه يرغب الغريب في ايطانه وينسيه هوى اوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم اماكس في اجرة فما
كان الا كلمح طرف او خطرة حرف حتى سمعت جار بيتي يقول لنزيله في البيت قم يا بني لا قعد جدك
ولا قام ضدك واصحب في الوصل البدي واللون الدري والاصل النقي والجسم الشقي الذي قص ونشر وسجر
وشهر وسيق وفطم وادخل النار بعدما لطم ثم اركض الى السوق ركض المشوق فقايض بالأنح الملقح المفسد
المصلح المكمل المكمد المفرح المغني المروح الزفير المحرق والجنين المشرق واللفظ المقنع والنيل الممتع الذي
اذا طرق فعدم برق وباح بالحرق ونفث في الخرق قال فلما وقرت شقشقة الهادر ولم يبق الا صدر
البادر الصادر برز فتى يميس وامامه ابيس فرايته عضلة تلعب بالعقول وتغرى بالدخول في الفضول فا
نطلقت في اثر الغلام لاخبر فحوى الكلام فلم يزل يسعى سعي العفاريت ويتفقد نضائد الحوانيت
حتى انتهى عند الرواح الى جادة القداح فناول بايعها دغيفا وتناول منه حجر الطيفا فعجبت من فطا

المرسل والمرسل وعلمت انها سروجية وان لم اسل وما كذبت الى ان بادرت الى الخان منطلق العنان لانظر

كنه فهمي وهل قرطس في التكهن فاذا انا في الفراسة فارس وابو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى

الالتقاء وتقارضنا تحية الاصدقاء ثم قال ما الذي نابك حتى زايلت جنابك قلت دهر فاض وجد

فاض فقال والذي انزل المطر من الغمام واخرج الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم

المعوان والله المستعان فكيف افلت وعلى اي وصف اجفلت فقلت اتخذت الليل قميصا وادلجت

فيه خميصا فاطرق ينكت في الارض ويتفكر في ادناء القرض والفرض ثم اهتز هزة من اكتشف غصة

او ابديت له فرصة وقال قد علق بقلبي ان تصاهر من يأسو جراحك ويريش جناحك فقلت وكيف لمن

قرن بين غل وقل ومن الذي يرغب في ضل بن ضل فقال انا المشير فالي والوكيل الله وعليك مع

دين القوم جبر الكسير وفك الاسير واحترام العشير واستصلاح المشير الا انهم لو خطب اليهم ابرهيم بن ادهم

او جبلة بن الايهم لما زوجوه الا على خمسمائة درهم اقتداء بما مهر الرسول في نسائه وعقد به انكحة بناته

على انك لن تطالب بنقد ولا تلجأ الى طلاق ثم اني ساخطب في موقف عقدك ومجمع حشدك

خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب بمثلها في جمع قال الحارث بن همام فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة

دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض

مهرولا ثم عاد متهللا وقال ابشر باعتاب الدهر واجتلاب الدر فقد وليت العقد وكفلت

النقد وكان قدم آخذ في مواعدة اهل الخان واعداد حلواء الخوان فلما مد الليل اطنابه

واغلق كل ذي باب بابه اذن في الجماعة الا احضروا في هذه الساعة فلم يبق فيهم الا من لبى صوته وحضر

بيته

بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ النقو

ويدعه الى ان نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا ضع الفاس في الراس وخلص الناس من النعاس

فنظر نظرة في النجوم ثم انتشط من عقلة الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور ليكشفن سر هذا

الامر المستور ولينشرن ذكره الى يوم النشور ثم انه جثا على ركبته واسترعى الاسماع لخطبته وقال

الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود ومال كل مطرود ساطح المهاد وموطد

الاطواد ومرسل الامطار ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها ومكور

الدهور ومكررها ومورد الامور ومصدرها عم سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السول

والامل واوسع المرمل والارمل احمده حمدا ممدود المدا واوحده كما وحد الاواه وهو الله لا اله للامم

سواه ولا صادع لما عدله وسواه ارسل محمدا علما للاسلام واماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطلا

احكام ود وسواع اعلم وعلم وحكم واحكم واصل الاصول ومهد واكد الوعود واوعد وصل الله

له الاكرام واودع روحه دار السلام ورحم اله واهله الكرام ما لمع ال وملع دال وطلع هلال وسمع

اهلال اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا

امر الله وعوه وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها وصاهروا لحم الصلاح

والورع وصادموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم اطهر الاحرار مولدا واسراهم سوددا واحلاهم

موردا واصحهم موعدا وها هو امكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما مهر الرسول

ام سلمة وهو اكرم صهر اودع الاولاد وملك ما اراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم

أسأل الله لكم إحماد وصاله ودوام إسعاده وألهمكم كلاً إصلاح حاله والإعداد لمعاده وله الحمد السرمد

والمدح لرسوله محمد صلعم فلما فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الإعجام عقد العقد على

الخمس المئين وقال للحاضرين بالرفاء والبنين ثم أحضر الحلواء التي كان أعدها وأبدّ الأيدي عندها فأقبلت

أقبال الجماعة عليها وكدت أهوي بيدي إليها فجرجرني عن المواكلة وأنهضني للمناولة فوالله ما كان بأسرع

من نصول الأجفان حتى خرّ القوم للأذقان فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية وصرعى بنت خابية علمت

أنها إحدى الكبر وأم العبر فقلت يا عدي نفسه وعبد فلسه أعددت للقوم حلواء أم بلوى فقال لم أعد

خبيص البنج في صحاف الخلنج فقلت أقسم بمن أطلع الزهر وهدى بها السفر لقد جئت شيئاً

نكراً وأبقيت لك في المخزيات ذكراً ثم حرقت فكره في صعود رأسه وخفة من عدوه حتى طارت نفسي

شعاعاً وارتعدت فرائصي ارتياعاً فلما رأى استطارة فرقي واستشاطة قلقي قال ما هذا الأفكل

المرمض والروع المومض فإن يكن فكرك في أجلي فأنا الآن أرتع وأطفر وأقوى هين

مني وأفقر وكم مثلها فارقتها وهي تصفر وإن يكن نظر لنفسك فجذ من حسك فتنا وكن

الخبيص وطب نفساً عن القميص حتى يأمن المستعدي والمعتدي بهذا المقام بعدو الإمام المغر

المغر فقيل إن تسحب وتجر ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الأكياس والتخوت وجعل يتخلص خالص كل

محزون وينجب كل مذروع وموزون حتى غادر ما ألغاه يحمل كعظم استخرج مخه فلما هم بما اصطفاه

ودرم وشمر عن ذراعيه تحرم أقبل على إقبال من لبس الصفاقة وخلع الصداقة وقال هل لك في المصاحبة

إلى البطيحة لأصلك بأخرى مليحة فأقسمت له بالذي جعله مباركاً أينما كان ولم يجعله ممن خان فحان

أنه لا قبل لي بنكاح حرتين ومعاشرة ضرتين ثم تلوت له قول المتطبع بطباعه القائل لربّاعه قد

كفتني الأولى تجربة فاطلب الخير للأخرى فتبسم من كلامي ودلف لالتزامي فلويت عنه عذاري وأبديت

له ازوراري فلما أبصر انقباضي وتجلى له إعراضي أنشد شعر يا صاد فاغني المودة والزمان به

صروف ومعنّفي في فضح من جافوق تعنيف العسوف لا تلحني فيما أتيت فإنني بهم عروف ولقد نزلت

بهم فلم أرهم يرعون الضيوف وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف ما فيهم إلا مخيف إن يكن أمن جوف

لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف فوثبت فيهم وثبة الذئب الضري على الخروف وتركتهم

صرعى كأنهم سقوا كأس الحتوف وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الأنوف ثم انثنيت بغنمهم وحلوا

المجا والقطوف ولطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي بطو وتركت ربّ الأرائك في الدرانك والسجوف

ولكم بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوف ووقفت في هول ترى الأسد فيه من الوقوف ولكم سفكت

ولكم فتكت وكم هتكت حمى أنوف وكم ارتكضت موبقات في الذنوب وكم خفوف لكنني أعلقت

حسن الظن بالمولى الرؤوف قال فلما انتهى إلى هذا البيت لج في الاستعبار وألظ بالاستغفار

حتى لتمال هوى قلبي المنحرف وخوله ما يرجى المقترف المعترف ثم إنه غيض دمعه المنهل وتأبط جرابه

وانسل وقال لابنه احمل الجراب والله الواقي فقال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت انسياب التحية

الحية وانتهاءها الدال الأكيد علمت أنه يتبجح بالجنازة حلية للهوى فضممت حيلتي وجمعت للرحلة

ذيلي فبت ليلتي أسري إلى الطيب واحتسب الله تعالى على الخطيب

المقامة الثلثون وتعرف بالصورية

حكى الحارث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور إلى بلد صور

فلما حصلت بها ذا وفر وخفض ومال ونعم وبحبوحة تقت إلى مصر توقان السقيم إلى الأساة
والكريم إلى المواساة فرفضت علائق الإقامة ونفضت عوائق الأناة واعروريت ظهر النياق
واخلفت نحوها الجمال النجابة فلما دخلتها بعد معاناة الأين ومداناة الحين كلفت بها
كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينا أنا يوما أطوف وتحتي فرس
قطوف إذ رأيت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسألت لا ابتغاء التنزه عن العصبة
والوجهة فقيل أما القوم فشهود وأما المقصد فإملاك مشهود فحدتني مبتغى النشاط على
أن سرت مع الفراط لأحضر مجتلى العقد واللفاظ وأحوز حلواء النشاط فأفضينا بعد مكابدة العناء
إلى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء فلما ترجلنا عن صهوات الجياد
وقدمنا الأقدام للدخول رأيت هيلين أجلالا بأطمار خرق ومكللا بحجار ومعلقة وهنا
نعش على قطيفة فوق دكة لطيفة ورأى عنوان الصحيفة ومرأى هذه البدع الطريفة
ودعاني التطير بتلك المناحس إلى أن عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرف الأقدار أن يخبرني
من رب هذه الدار فقال ما هو مالك معين ولا صاحب مبين إنما هو مصطبة القبقبين والمذ
ويجيء الشقشقين والمحلوقين فقلت في نفسي إنا لله على صلة المسعى وإحالة المرعى وهممت بالرحال
بالرجعى لكني استهجنت العقر من غير مصلحة والفهقرة من غير موجب الدار مترعا الغصص كما
يلج الغصو ولعقص فإذا فيها أرائك منضودة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف
وقد أقبل الملك يميس في بردته ويتهنس بين حفدته فحين جلس كاندراء السماء نادى مناد من جهة

قيل الأحماء وحرمة ساسان أستاذ الأستاذين وقدوة الشحاذين لا يعقد هذا العقد المحل
في اليوم الأغر المحجل إلا الذي جال وجاب وشب في الكدية وشاب فعجب هؤلاء الصيد الأساري
البدو وأذنوا في إحضار المنصوص عليه فرزج شيخ قد أمال الملوان قامته وقوس الفتيان قناته
فتباشرت الجماعة بمرآه وتبادرت إلى استقباله فلما جلس في زربيته وسكنت الضوضاء
لهيبته أزلف الممسك وسبح بسبحة بيده ثم قال الحمد لله المبدئ بالأفضال المبدع للنوال
المتقرب إليه بالسؤال الموصل بتحقيق الآمال الذي شرع الزكاة في الأموال وزجر عن نهر السؤال وندب
إلى مواساة المضطر وأمر بإطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين في كتابه المبين فقال
وهو أصدق القائلين والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أحمده على ما رزق من طعمة هنية
وأعوذ به من استماع دعوة بلا نية وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد
والمتصدقات ونهى عن الربا وحرم الصدقا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الكريم ابتعثه
لينتسخ الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من الأغنياء فوصل بالمسكين وخفض جناحه للمستكين
وفرض الحقوق في أموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه صلاة تحظيه
بالزلفى على صفة أهل الصفة أما بعد فإن الله تعالى شرع النكاح ليستعففوا من السفاح
لكي يتضاعفوا فقال سبحانه وتعالى إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
وهذا أبو الدراج ولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح والإلحاف الصراح والطرق والإلحاح
والإلحاح يخطب سلطة أهلها وشرطة بعلها قنبس بنت أبي العنبس لما بلغه من التحامها بالحامها

واسرّ فوها في اسفارها وانجحها على معاشها وانتعاشها عندهم ايثارها وقد بذلنا لها من الصداق مزوداً وعكازاً وصقاعاً وكرازاً فانكحوا النكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم واسأله ان يكثر في الصعاليك نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته وابرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما حاز حدّ الاكثار واغرى الشيخ بالايثار ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم اراذله قال الحارث بن همام فتبعته لانظر عرصة القوم واكمل بهجة اليوم فعاج بهم الى سماط قد طهاه وتناصفت في الحسن جهاته فحين ربع كل شخص في ربضته وطفق يرتع في روضته انسللت من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة اليّ ونظرة هجم بها طرفه عليّ فقال الى اين يا بارم هلا عاشرت معاشرة من هنئ كرم فقلت والذي خلق الطباق وطبق الاشراق لا ذقت لماقاً ولا الست دقاقاً او تخبرني اين مدب صباك ومن اين مهب صباك فتنفس الصعداء مراراً وارسل المدامع مدراراً حتى اذا استنزف الدمع واستنصت الجمع قال لي اسمع

شعر

مسقط الراس سروج وبها كنت اموج

بلد يوجد فيها كل شيء ويروج

وردها من سلسبيل وصحاريها مروج

وبنوها ومغانيها نجوم وبروج

حبذا نفحة رياها وعرفاها الاريج

وازاهير رباها حين تنجاب الثلوج

ولمن يلح عنها زفرات ونشيج

من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج

مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج

عبرة تهمي وشجو كلما ثار يهيج

وهموم كل يوم خطبها خطب مريج

ومساع في الترجي قاصر الخطو عروج

ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال الحارث بن همام فلما بين بلده ووعيت ما انشده ايقنت انه

علامتنا

علامتنا ابو زيد وان كان الهرم قد اوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مؤاكلته من صحفته وظللت مدة مقامي بمصر اعشو الى ذبالته واحشو صدفي من درر الفاظه الى ان نعب غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلثون الرملية

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب اقلي الاكتنان بالغاب واهوى الانسلاق من القراب لعلمي ان السفر ينتج النصر وينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتحقر من قطن فاجلت قداح الاستشارة واقتدحت زناد الاستخارة ثم انبعثت جائباً ابتغي من الحاج واصعدت الى الشام للتجارة فلما خيمت بالرملة والقيت بها عصا الرحلة صادفت بها ركاباً تعد للسرى ورحالاً تشد الى الحرم القرى فعصفت بي ريح الغرام وهاج لي شوق الى البيت الحرام فزممت ناقتي وبتت علقتي وعلاقتي

شعر وقلت للائمي اقصر فاني ساختار المقام على المقام وانفق ما جمعت بارض جمع وسلوت بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل والى الخير جري الخيل ولم نزل بين ادلاج وتأويب وايجاف وتقريب الى ان حثثنا ايدي المطايا بالتحفة في ايصالنا الى الجحفة فحللناها ميقاتاً للاحرام متباشرين بادراك المرام فلم يلبث ان انخنا الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع علينا من بين الهضاب شخص ضاحي الاهاب وهو ينادي يا اهل ذا النادي هلم الى ما ينجي يوم التنادي فانحاط اليه الحجيج وانثالوا واحتفوا به وانصتوا فلما رأى تألبهم حوله واستعظامهم قوله تسنم احدى الاكام وتنحنح مستفتحاً للكلام وقال يا معشر الحجاج النسالين من الفجاج اتعقلون ما تواجهون والى من تتوجهون اتدرون على من تقدمون وعلام تقدمون اتخالون ان الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل

وانحاذ المحامل وايقار الرواحل ام تظنون ان النسك هو نضو الارذان وانضاء الابدان ومفارقة 114

الولدان والتناء عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطيئة قبل اجتلاب المطية واخلاص النية

في قصد تلك البنية واخلاص الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات امام اعمال

اليعملات فوالذي شرع المناسك للناسك وارشد السالك في الليل الحالك ما ينقي الاغتسال

بالذنوب من الانغماس في الذنوب ولا يعرى بتعرية الاجسام ولا يغني لبسة الاحرام

عن التلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالازار مع الاضطلاع بالاوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع

التقلب في ظلم الخلق ولا يرحض التنسك بالتقصير درن التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة غير اهل

المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد المقام الا من استقام ولا يحظى بقبول الحج

من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه في الاضا

ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه فيحمل الافاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت سمع الصم

وكاد يزعزع الجبال الشم وانشد شعر ما الحج سيرك تأويبا وادلاجا ولا اعتيامك اجمالا واحداجا

الحج ان تقصد البيت الحرام على تجريدك الحج لا تبغي به حاجا وتمتطي كاهل الانصاف متخذا ردع الهوى

هاديا والحق منهاجا وان تواسي ما اوتيت مقتدرا من مد كفا الى جدواك محتاجا فهذه ان حوتها

حجة كملت وان خلا الحج منها كان اخداجا حسب المرائين غبنا انهم غرسوا وما جنوا ولقوا كدا

وادعاجا وانهم حرموا اجرا وحمدا وحموا اعراضهم من عاب او هاجا اخي ابغ بما تسدي من قرب

المهيمن ولا جاه وحرجها فليس تخفى على الرحمن خافية ان اخلص العبد الطاعات اولها وبادر الموت

بالحسنى تقدمها فما ينهنه دلحى الموازين فاجا وافق التواضع خلقا لا تزايله عنك الليالي ولو البستك

التاجا ولا تشم كل خال لاح بارقه ولو تراءى هتون السكب ثجاجا ما كل دلح باهل ان يصاخ له كم

قد اصم سعي من ناجا وما اللبيب سوى من بات مقتنعا ببلغة تدرج الايام ادراجا فكل كثر الى قل

مغبته وكل نار الى لين وان هاجا قال الراوي فلما القى عقم الافهام بسطة الكلام استروحت ريح

زيد ومادني الارتياح اليه اي ميل فمكثت حتى استوعب شحكمته وانحلع من اكمته ثم دلفت

اليه لا تصفح صفحات محياه واستشف جوهر حلاه فاذا هو الضالة التي انشدها وناظم القلائد

التي انشدها فاعتنقته عناق اللام للالف ونزلته منزلة البرء عند الدنف وسئلته ان يلاذ مصحبي

فاني اوثر اطلاء فنا فقال كنت آليت في حجتي هذه ان لا احتقب ولا اعتقب ولا اكتسب ولا انتسب

ولا ارتفق ولا ارافق ولا اوافق من منافق ثم ذهب بهرول وغادرني اولول فلم ازل اقويه نظري

واود لو يمشي على ناظري حتى توقل احد الاطواد ووقف الحجيج بالمرصافحين شاهدا ايضاع الركبان في

الكثبان وقرع بالبنان على البنان واندفع ينشد شعر ليس من زاد راكبا مثل ماء على القدح

لا ولا خادم اطاع كعاص من الخدم كيف يا قوم يستوي مغبون ومن هدم سيقيم المفرطون غدا

ماتم الندم ويقول الذي تقرب طوبى لمن خدم فيك يا نفس قد خبي صالحا عند ذي القدم وادكري

زخرف الحياة فوجدانه عدم واذكري مصرع الحمام اذا خطبه صدم واند في فعلك القبيح وتحري

له بلم وادبغيه بتوبة قبل ان يحلم الادم فعسى الله ان يقيك السعير الذي احتدم يوم لا عثرة تقال

ولا ينفع السدم ثم انه اغمد عضب لسانه واطلق لسانه فما زلت في كل مورد يرده ومعرس يتوسده

فافتقدنه ١١٦ اتفقده فافقده واستنجد من ينشده فلا احس حتى خلت ان الجن اختطفته او الارض التقفته

فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا منيت في سفرة بمثلها من زفرة

المقامة الثانية والثلثون وتعرف بالفقهية

حكى الحارث بن همام قال اجمعت حين قضيت مناسك

الحج واقمت وظايف العج والثج ان اقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لازور قبر المصطفى واخرج

من قبيل من حج وجفا فارجف بان المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين اشفاق يثبطني واشواق

تنشطني الى ان القي في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلم فاعتمت القعدة وعدت

العدة وسرت والرفقة لا تلوي على عرجة ولا تني في تاويب ولا دلجة حتى وافينا بني حرب وقد آبوا

من حرب فازمعنا ان نقضي طل اليوم في حلة القوم وبينما نحن نتخير المناخ ونرود الوخم النقاخ اذ

رايناهم يركضون كانهم الى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسالنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم

فقيه العرب فاهرعهم لهذا السبب فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا

لقد سمعت اذ دعوت ونصحت فما الوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى اذا اطللنا

عليه واستشرفنا الفقيه المهود اليه ابا زيد ذا الشقر والبقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفدا

واشتمل الصما وقعد القرفصا واعيان الحي به محتفون واخلاطهم عليه ملتفون وهو يقول سلوني

عن المعضلات واستوضحوا مني المشكلات فوالذي فطر السما وعلم آدم الاسما اني لفقيه العرب

العربا واعلم من تحت الخضرا فصمد اليه فتى فتيق اللسان جري الجنان وقال اني حاضرت فقها

الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا فان كنت ممن يرغب عن نبات غيره ويرغب منا في ميرة

واجب لتقابل بما يجب فقال له الله اكبر سيبين المخبر وسينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر قال ما ١١٧

تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوءه بفعله النعل الزوجة قال فان توضأ ثم

اتكاه البرد قال يجدد الوضوء من بعد البرد النوم قال ايمسح المتوضي انثييه قال قد ندب اليه

ولم يوجب عليه الانثيان الاذنان قال ايجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان قال وهل انظف منه

للعريان الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي والعربان جمع عرب قال ايستباح ماء الضرير قال نعم

ويجتنب ماء البصير الضرير حرف الوادي والبصير الكلب قال ايحل الطوف في الربيع قال يكره ذاك

للشيخ الطوف التغوط والربيع النهر الصغير قال ايجب الغسل على من امنى قال لا ولو ثنى امنى نزل

منى ويوم منى وامنى وامتنى قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال اجل وغسل ابرته الفروة

جلدة الراس والابرة عظم المرفق قال فان اخل بغسل فاسه قال هو كما لو اخل بغسل راسه الفاس

العظم المشرف على نقرة القفا قال فما تقول فيمن تيمم ثم راى روضا قال بطل تيممه فليتوضا

الروض ههنا جمع روضة وهي الصبابة التي تبقى في الحوض قال ايجوز ان يسجد الرجل في العذرة قال نعم

وليجانب القذرة العذرة فناء الدار قال فهل له السجود على الخلاف قال لا ولا على احد الاطراف

الخلاف الكم قال فان سجد على شماله قال لا باس بفعاله الشمال جمع شملة قال فهل يجوز السجود

على الكراع قال نعم دون الذراع الكراع ما استطال من الحرة وهي ارض فيها حجارة سود قال ايصلى

على راس الكلب قال نعم كسائر الهضب راس الكلب ثنية معروفة قال ما تقول فيمن صلى وعانته

بادية قال صلوته جايزة العانة الجماعة من حمر الوحش قال فان صلى وعليه صوم قال ليعيد ولو صلى

ماءه يوم الصوم ذرق النعام قال فإن حمل جروا وافضى قال كما لو حمل بأقلى الجرو والصغار من القثاء

والرمان قال أتصح صلوة حامل القرقة قال لا ولو صلى على المروة القرقة مبلغة الكلب قال فإن قطر

على ثوب المصلي النجو قال يمضي في صلوته ولا عجو النجو السحاب الذي قد هراق ماءه قال أيجوز أن يؤم

الرجال مقنعًا قال نعم ويصلي متدرعًا المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع قال فإن أمّهم من في يده وقف

قال يعيدون ولو أنهم ألف الوقف السوار من العاج أو الذبل وأراد أنه لا يجوز للرجال الائتمام

بالنساء قال فإن أمّهم من فخذه بادية قال صلوته وصلوتهم ماضية الفخذ العشيرة وبادية

الذين يسكنون البدو وأجاز بعض أهل اللغة تسكين الخاء منها ليحصل الفرق بينها وبين الفخذ من

الأعضاء قال فإن أمّهم الثور الأجم قال صلّ وخلاك ذمّ الثور السيّد والأجم الذي لا رمح معه قال

أيدخل القصر في صلوة الشاهد قال لا والغائب الشاهد صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك

لأنها تقام عند طلوع الشاهد لأن النجم يسمى الشاهد قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان قال

ما رخّص فيه إلا للصبيان المعذور المختون وهو يوم لمعذرة قال فهل للمعرس أن يأكل فيه قال نعم بلا

غرو فيه المعرس المسافر الذي ينزل من آخر ليلة ليستريح ثم يرحل قال فإن أفطر فيه العراة قال لا تنكر عليهم

الولاة العراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمى برعدة قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح قال هو

أحوط له وأصلح أصبح أي استصبح بالمصباح قال فإن عمد لأن أكل ليلًا قال ليتمّ للقضاء ذيلًا

الليل فرخ الحبارى وقيل هو ولد الكروان وجمعه كروان قال فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء قال

يلزمه والله القضاء البيضاء من أسماء الشمس قال فإن استثار الصائم الكيد قال أفطر ومن أحلّ الصيد

الكيد

الكيد القيء واستثار أي استدعاه قال فهل يفطر بالحاح الطابخ قال نعم لا بطاهي المطابخ الطابخ

الحمى الصالب قال فإن ضحكت المرأة في صومها قال بطل صومها ضحكت ههنا أي حاضت

ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها بإسحق قال فإن لكمها الجلدي على ضرتها قال تفطر إن أذن بعلها

الضرّ أصل الإبهام وأصل الثدي أيضًا قال ما يجب في مائة مصلح قال حقتان يا أصلح المصا

الناقة التي تصبح في المبرك ولا تبرح حين يرتفع النهار قال فإن ملك عشر خناجر قال يخرج شاة

ولا يشاجر الخناجر النوق الغزار واحدتها خنجر وخنجور قال فإن سئم الساعي بجميعه قال يا بشرى

له يوم قيامته الساعي جابي الصدقة والجميمة خيار المال قال أيستحق حملة الأوزار من الزكوة جزءًا

قال نعم إذا كانوا غزاة الأوزار السلاح وغزى جمع غاز قال أيجوز للحاج أن يعتمر قال لا ولا أن يتخيّر

الاعتمار لبس العمار وهي العمامة والاختمار لبس الخمار قال فهل له أن يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل

السباع الشجاع الحية قال فإن قتل زمارة في الحرم قال عليه بدنة من النعم الزمارة النعامة واسم

صوتها الزمار قال فإن رمى ساق حرّ فجدّله قال يخرج شاة بدله ساق حر ذكر القماري قال

فإن قتل أم عوف بعد الإحرام قال يتصدق بقبضة من الطعام أم عوف الجرادة قال أيجب على

الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسوقهم إلى المشارب القارب طالب الماء بالليل والحاج اسم الجمع

والواحد قال ما تقول في الحرام بعد السبت قال قد حل في ذلك الوقت الحرام المحرم والسبت

حلق الرأس وحل من تحليل الحج قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام كبيع الميت الكميت الخمر قال أيجوز

بيع الخل بالجمل قال لا ولو بلحم الجمل الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه أم

١٢٠

غير جنسه قال ايحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية الهدية بالتشديد ما اهدي الى الكعبة ونوق
فيها هدية بتسكين الدال وتخفيف الياء والسبية الخمر قال ما تقول في بيع العقيقة قال محظور على
الحقيقة العقيقة ما يذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادته قال ايجوز بيع الداعي على الراعي
قال لا ولا على الساعي الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة قال ايباع الصقر بالتمر قال
لا وما لك الخلق والامر الصقر الدبس قال ايشترى المسلم سلب المسلم قال نعم ويورث عنه اذا مات
السلب لحاء الشجر وهو ايضا خوص الثمام قال فهل يجوز ان يباع الشافع قال وما الجواز من دافع
الشافع الشاة التي معها سخلها قال ايباع الابريق على بني الاصفر قال يكره كبيع المغفر الابريق السيف
الصقيل الكثير الماء وبنو الاصفر الروم قال ايجوز ان يبيع الرجل صيفيه قال لا ولكن ليبيع صيفيه
الصيفي الولد على الكبر والصيفة الناقة الغزيرة الدر قال فان اشترى عبدا فبان بامه جرح قال ما في
رده جناح الامة مجمع الدماغ قال اتثبت الشفعة للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك في الصفراء
الصحراء الاتان التي يمازج بياضها غبرة قال ايحل ان يحمى ماء البئر والخلا قال ان كان في الفلا فلا يحمى
اي يمنع والخلاء الكلأ قال ما تقول في ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر الكافر البحر وميتته السمك
الطافي فوق مائه قال ايجوز ان يضحي بالحول قال هو اجدر بالقبول الحول جمع حائل قال فهل يضحى
بالطالق قال نعم ويقري منها الطارق الطالق الناقة التي ترسل فترعى حيث شاءت قال فان ضحى
قبل ظهور الغزالة قال شاته لحم بلا محالة الغزالة الشمس ويقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت
الجونة تسمى بها عند مغيبها لانها تسود حين تغيب كما قال الشاعر تبادر الجونة ان تغيبا قال ايحل

الكسب

١٢١ الكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق الطرق الضرب بالحصى وهو من فعال الكهنة قال ايسلم القائم
على القاعد قال محظور على الاباعد القاعد التي قعدت عن الازواج ومن الحيض قال ايتيمم العاقل
تحت الرقيع قال احبب في البقيع الرقيع السماء وعني بالبقيع بقيع المدينة قال يمنع الذمي من قتل العجوز قال
معارضته في العجوز لا تجوز العجوز الخمر وقتلها مزجها قال ما تقول في التهود قال هو مفتاح التزهد
التهود التوبة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك قال ايجوز ان ينتقل الرجل عن عمارة ابيه قال ما حجر
للخامل ولا النبيه العمارة القبيلة قال ما تقول في صلب البلية قال اعظم به من خطية البلية
الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف الى ان تموت وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها
يحشر عليها قال ايجب ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير
الجمل السمين وهو ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل قال ايعزر الرجل اباه قال يفعله البر ولا يأبى
التعزير التعظيم والنصرة قال ما تقول فيمن افقر اخاه قال حبذا ما توخاه افقره اعاره فقار ظهره فركب
فقارها قال ما تقول فيمن اعرى ولده قال يا حبذا ما اعتمده اعراه اعطاه ثمرة نخلة عاما قال فان
اصلى مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار المملوك العجين الذي اجيد عجنه حتى قوي قال ايجوز للمرأة
ان تصرم بعلها قال ما حظر احد فعلها البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الارض قال فهل توثب
المرأة على البعل قال اجل والله احل البعل سواء الغني قال ما تقول فيمن نحت اثلة اخيه قال اثم
اذن له فيه نحت اثلته اذا اغتابه وقدح في عرضه قال ايحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلة
الثور الجنون قال فهل له ان يضرب على يد اليتيم قال نعم الى ان يرشد ويستقيم ضرب عليه

بيّن اذا حُجِر عليه قال فهل يجوز ان يُتّخذ له رَبَضًا قال لا ولو كان له رضا الرَّبَض الزوجة قال فمتى يباع

بدن السفينة قال حين يُرجى له الحظ فيه البدن الدرع القصير قال فهل يجوز ان يبتاع له حُشًّا قال نعم

اذا لم يكن مُغتًّا الحُشّ النخل المجتمع والمُغتّ الذي لا عيب فيه قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالما قال نعم اذا كان

عالما الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان يروب ويخرج زبده قال ايُستقضى من ليس له بصيرة قال نعم اذا

حسنت منه السيرة البصيرة الترس قال فان تعرّى من العقل قال ذلك عنوان الفضل العقل ضرب

من الوشي قال فان كان له زهو جار قال لا انكار ولا اكبار الزهو البسر الملون والجار الذي فات البدار

وصف القاعد قال ايجوز ان يكون الشاهد مُريبا قال نعم اذا كان ناديا المريب الذي يكثر عنده اللبن

الرائب قال فان بان انه لاط قال هو كما لو خاط لاط الحوض اذا طيّنه قال فان عثر على انه غربل

قال تُرد شهادته ولا تقبل غربل اي قتل قال فان وضح انه مائن قال هو وصف له زائن المائن

الذي يعول ويكفي المؤنة من مان يمون قال ما يجب على عابد الحق قال يُحلف ماله الحلق العابد هاهنا الجاحد

والحق الدين قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تُفقأ عينه قولا واحدا البلبل الرجل الخفيف

اللحم قال فان جرح قطاة امرأة فماتت قال النفس بالنفس فان فاتت القطاة ما بين الوركين قال فان

قتل الحامل حيشا من ضربه قال ليكفّر بالاعتاق عن ذنبه الحيش الجنين الملقى ميتا قال ما يجب على

المختفي في الشرع قال القطع لاقامة الردع المختفي نبّاش القبور قال ما تقول فيمن سرق اساوي الدار

قال يُقطع ان ساوين ربع دينار الاساوي الالات المستعملة كالاجّانة والقدر والجفنة قال فان

سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب الثمين الثمن كما يقع في النصف والسدس سدس قال فان

بان

بان على المرأة السَّرَق قال لا حرج عليها ولا فرق السرق الحرير الابيض قال اينعقد نكاح لم تشهده

القوابل قال لا والخالق القوابل الشهود لانهم يقبلون الاشياء اي يتقبلونها قال فما تقول في

عروس باتت بليلة حرّة ثم تبعت بحافرتها قال يجب لها نصف الصداق ولا تلزمها عدة

الطلاق تبي باتت بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان افتضها قيل باتت بليلة شيباء والرد

في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الاول وكنى به عن طلاقها وردها الى اهلها فقال له السائل لله

درك من بحر لا ينضضه الماتح وحبر لا يبلغ مدى المادح ثم اطرق اطراق الحيي وارم ارمام العيي

فقال له ابو زيد ايه يا فتى والى متى فقال له لم تبق في كنانتي مرماة ولا بعد اشراق صباحك

مماراة فبالله اي ابن ارض انت فما احسن ما ابنت فانشد بلسان ذلق وصوت صهصلق شعرا انا

في العالم مثلة ولاهل العلم قبلة غير اني كل يوم بين تعريس ورحلة والغريب الدار لو حل بطوى

لم تطب له ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدي وهدى فاجعلنا ممن يهتدي ويهدى فالقوم ذو

معرفته وسالوه ان يزورهم الفينة بعد الفينة فنهض يتبعهم العود وينجز الامر والوعد قال

الحارث بن همام فاعترضته وقلت عجبا لك سفيها فمتى صرت فقيها فاطال هنيئة بحولها ثم انشد

يقول لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسا وعاشرت كل جليس بما يلائمه لادرك

الجليسا فعند الرواة ادير الكلام وبين السقاة ادير الكؤوسا وطورا ابو عظي اسيل الدموع

وطورا اهوي اسر النفوسا واقري المسامع اما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا وان شئت

ادعف كف البرع فساقط درا احلى الطروسا وكم مشكلات حكين السها خفا فصرن بكشفي شموسا

١٢٤ وكم مُلَحٍ لي خلبن العقول وأسأرن في كل قلب سيسا وعذرٍ أهنتها فانثنى عليها الثنا
طليقًا حبيسًا على أنني من الزمان خُصصت بكيدٍ ولا كيدَ فرعون موسى يسعّر في كل يوم وغى
أُطالُ من لظاها وطيسًا ويطرقني بالخطوب التي يذبن القوى ويشيبن الرؤوسا ويدني إلى
البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيسا ولولا خساسة أخلاقه لما كان حظي منه الخسيسا
فقلت له خفّض الأحزان ولا تلم الزمان واشكر لنقلك عن مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس
فقال دع الهتار ولا تهتك الأستار وانهض بنا نضرب إلى مسجد يثرب فعسى أن نرحض بالمزار
درن الأوزار فقلت له هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت حقًّا وطلبت أَمَمًا
فهاك ما يشفي النفس وينفي اللبس قال فلما أوضح إلى المعمّى وكشف عني الغمّى شددنا الأكوار
نسير وما ولم أزل عن مسايرته ملمّ مسائرتي فيما أذاق طعم المشقة ووددت معه بعد الشقة
حتى إذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا من الزيارة بالسول أشأم وأعرق وغرّب وشرّق

المقامة الثالثة والثلاثون تعرف بالتفليسية أخبر الحارث بن همام

قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت ألا أؤخّر الصلوة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات وهو
الخلوات أراعي أوقات الصلوة وأحاذر من مأثم الفوات وإذا رافقت في حلة أو حللت بحلة حرجت
نصوب الداعي إليها واقتديت بمن يحافظ عليها فاتفق حين دخلت تفليس أن صليت مع زمرة
مفاليس فلما قضينا الصلوة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة فقال عزمت
على من خُلق من طينة الحرية وتفوّق درّ العصبية ألا ما تكلّف لي لبثة وأسمع مني نفثة ثم له

الحيا

١٢٥ الحيا من بعد سبه البذل والرد فعقد له القوم الحبا وسوّوا أمثال الربى فلما آنس حسن إنصاتهم
وقد أنه حصاتهم قال يا أولي الأبصار الرامقة والبصائر الرائقة أما يغني عن الخبر العيان وينبي
عن النار الدخان شيب لائح ووهن قادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن
ملك ومال وولي وال ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى
الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة
النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن إلا بعدما شقيت ولقيت وشئت مما لقيت
فليتني لم أكن بقيت ثم أوّه تأوّه الأسيف وأنشد بصوت ضعيف شعر أشكو إلى الرحمن سبحانه
تقلب الدهر وعدوانه وحادثات قرعت مروتي وقوضت مجدي وبنيانه واهتصرت عودي ولولا
من هصره الأحداث غضًا واجتلبت ربعي حتى جلت من ربعي المحيل جدرانه وغادرتني حائرًا بائرًا
أكابد الفقر وأشجانه من بعد ما كنت أخا ثروة يسحب في النعماء أردانه يختبط العافون أوراقه
ويحمد السادون نيرانه فأصبح اليوم كأن لم يكن أعانه الدهر الذي عانه وأزور من كان له زائرًا
وعاف عافي العرف عرفانه فهل فتى يخزيه ما قد مضى من شيخ دهره خانه فيفرج الهم الذي همّه
ويصلح الشأن الذي شانه قال الراوي فصبت الجماعة أن تستشف ليستخش خباءه وتستنفض
حقيبته وقالت له قد عرفنا فضل نسبك ورأينا درّ أدبك فعرفنا دوحة شعبتك وحسر اللثا
عن نسبتك فأعرض إعراض من مني بالإعنات وبُشّر بالبنات وجعل يلغط بالضرورة وتأفف
من بعض الرواة ثم أنشد بلفظ صادع وحرس خادع متنف لعمرك ما كل فرع يدل جناه اللذ

١٢٦ على اصله فكل ما حلا حين تؤتى به ولا تسل الشهد عن نحله ومن اذا ما اعتصر الكروم سلا
عصرك من خله لتعلى وترخص عن خبرة وتشتري كلا اشترى مثله فعاد على الفطن اللوذعي وحوله
الغمير في عقله قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه واقلقهم معجز ادائه مع دائه حتى حولوا له
حبا ما الحبن وخفايا التبن وقالوا له يا هذا انك جئت على ركبه بكنيه وتعرضت لخليته حلته
فخذ هذه الصبابة وهبها الاحظاء ولا اصابة فنزل قلبهم منزلة الكثر ووصل قبوله بالشكر ثم
تولى يجر شقه ويتهب بالخط طرقه قال المخبر بهذه الحكاية فتصورت انه محيل لحليته متصنع في
منصبه فنهجت منهاجه واقتفوا دراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني حجرا حتى اذا خلى الطريق وامكن التحقيق
نظر الي نظر من هش وبش واحضر بعد ما غش وقال لي اخا لك اخا غربته ووامل صحبته فهل لك
في رفيق يرفق بك ويرفو وينفق عليك وينفق فقلت له لو اتاح هذا الرفيق لاتاني التوفيق فقال
لي قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط ثم ضحك مليا وتمثل لي تيراوحيا فاذا هو شيخنا السروجي
لا اهلية بحيمه ولا اشتبه في وسمه ففرحت بلقيته وكدت لعقوته وهممت بلائمته على سوء مقامه
فتبجح فاه وانشد قبل ان الحاه شعر ظهر سيري لكما يقال ظهر زجى الزمان المزجي وظهرت
للناس ان قد فلجت فكم قال قلبي بما ترجي ولولا الرثاثة لم يرث لي ولولا التفالح لم الوح فلجا
ثم قال انه لم يبق في هذه الارض مرتع ولا في اهلها مطمع فان كنت الرفيق فالطريق فسرنا منها
مجردين وصاحبته عامين اجردين وكنت حريصا على ان اصحبه ما عشت فابى الدهر المشت

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

حكى الحارث بن همام قال ماحت

البيد

١٢٧ البيد الى زبيد وصحبني غلام كنت ربيته الى ان بلغ اشده وثقفته حتى اكمل رشده وكان قد انس
باخلاقي فعلق بي وفاقي فلم يكن يتخطى مرامي ولا يخطئ في المرامي لا جرم ان قربه اناط بصفوي و
اخلصته لحضري وسفري فالوى به الدهر المبيد حين ضمتنا زبيد فلما شالت نعامته وسكنت
نامته بقيت عاما لا اسيغ طعاما ولا اريغ غلاما حتى الجاتني نوائب الوحدة ومتاعب
القوة والقعدة الى ان اعتاض من الدرة الخرز وارتاد من هو سداد من عوز فقصدت من يبيع
العبيد بسوق زبيد وقلت اريد عبدا يعجب اذا قلب ويحمد اذا جرب وليكن ممن خرجه الا
واخرجه الى السوق الافلاس فاهتز كل منهم عن مطلبي ووثب ببذل التحصيل عن كثب ثم ادارت الا
ذوبها وتقلبت كورها وحورها وما نجز من وعودهم وعد ولا استحلاها احد فلما رايت النخاسين
ناسين او متناسين علمت ان ليس كل من خلق يفري وان ليس حك مثل ظفري فرفضت مذ
التفويض وبرزت الى السوق بالصفر والبيض فبينما انا استعرض الغلمان واستعرف الاثمان ادعاني
رجل قد اعتم بلثام وقبض على زند غلام وقال من يشتري مني غلاما صنعا في خلقه
وخلقه قد برعا بكل ما نطت به مضطلعا يسعفك ان قال وان قلت وعى وان تصك عثرة
يقل لعا وان تسمه السعي في النار سعى وان تصاحبه لو يوما دعى وان تقنعه بظلف قنعا وهو
على الكيس الذي جمعا ما فاه قط كاذبا ولا ادعى ولا اجاب مطمعا حين دعى ولا امتحانت
سرا اودعا وطالما ابدع فيما اصطنعا وفاق في النظم وفي النثر معا والله لولا الضنك عيش صدعا
وصبية اضحوا عراة جوعا ما بعته بملك كسرى اجمعا قال فلما تاملت خلقة القوم وحسنة الجسيم

حليته من لدن جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة
في علمه بل لانظر اين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهه بز
امة ولا حرة فضربت عنه صفحا وقلت قبحا للعي وشقحا فعاذ في الضحك والحلم انغض راسه
الي وانشد نظم يا من تلهب غيظه اذ لم ابح باسمي له ما هكذا من ينصف ان كان لا يرضيك
الا كشفه فاصخ له انا يوسف انا يوسف ولقد كشفت لك الغطا فان تك فطنا عرفت
وما اخالك تعرف قال فسحرني بشعره واستبى لبي بسحره حتى شدهت عن التحقيق وانسيتها
قصة يوسف الصديق ولم يكن لي هم الا مساومة موليه فيه واستطلاع طلع الثمن لاوفيه
وكنت احسب انه سيشتط في السوم ويغلي السيمة علي فما حلق الى حيث حلقت ولا اعتلق بما به
اعتلقت بل قال ان العبد اذا رزق ثمنه وخفت مؤنته تبرك به مولاه والتحف عليه هواه واني
لاوثر تحبيب هذا الغلام لك وان اخففت ثمنه عليك فزن مائتي درهم ان شئت واشكر لي ما حييت
فنقدته المبلغ في الحال كما ينتقد في الرخص الحلال ولم يخطر ببالي ان كل رخيص غال فلما
تحققت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام ولا همول دمع الغمام ثم اقبل على صاحبه وقال

شعر لحاك الله هل مثلي يباع لكيما يشبع الكرش الجياع وهل في شرعة الانصاف اني اكلف
خطة لا تستطاع وان ابلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع اما جربتني فوجدت مني نصائح
لا يمازجها خداع وكم ارصدتني شركا لصيد فجدت وفي حبائلي السباع وفطت بالمصاعب فاستقادت
مطاوعة وكان بها امتناع واي كريهة لم ابل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع فما ابدت لي الايام حتى

فيكشف في مصادمتي القناع ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكيم او يذاع فاني ساغ عندك نبذ عهدي
كما نبذت براتها الصناع ولم سمحت قريحتك بامتهاني فان اشرى كما يشرى المتاع وهلا صنت
عرضي عنه صوني حديثك يوم جد بنا الوداع وقلت لمن يساوم في هذا سكاف فما يعار ولا يباع
فما انا ذاك الطرف لكن طباعك غيرتها تلك الطباع على اني سانشد عند بيعي اضاعوني واي فتى
اضاعوا قال فلما وعى الشيخ ابياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى ابكى العداء ثم قال
لي ان هذا الغلام محل ولدي ولا امتيزه عن فلذ كبدي ولولا خلو راحتي وخوى مصباحي لما بعت
درج عشي الى ان تشيع نعشي وقد رايت ان تنزل من لوعة البين والمؤمن لين هين فهل لك في
تسلية قلبه وتسرية كربه بان تتعاهد على الاقالة فيه متى استقلت وان لا تستقيلني اذا
ففي الاثار المستفادة المروية عن الثقات من اقال نادما بيعته اقال الله عثرته قال الحارث بن
همام فوعدته وعدا ابوه الحيا وفي القلب اشيا فاستدنى الغلام اليه وقبل ما بين عينيه
وانشد والدمع يرفض من جفنيه نظم خفض فدتك النفس ما تلاقي من برحا الوجد والاشتياق
فما تطول مدة الفراق ولا تني ركائب التلاقي بحسن عون القادر الخلاق ثم قال له استودعك
من هو نعم المولى وشمر ذيله وولى فلبث الغلام في زفير وعويل ريثما يقطع مد ميل فلما استشاط
وكفكف دمعه المهراق قال تدري لم عولت وعلى م عولت فقلت اظن مولاك هو الذي ابكاك
فقال انك لفي واد وانا في واد ولكم بين حريد وجراد ثم انشد نظم لم ابك والله على الف نزح
ولا على فوت نعيم وفرح وانما مدمع جفني سفح على غبي لحظه مطرح ورطه حتى نعي وافتضح

١٣٠

وضيّع لتفويته البيض الوضّح ويك أما ناجتك هاتيك المُلَح بأنّي حرٌّ وبيعي لم يُبَح إذ كان في يوسف
معنًى قد وضح قال فتمثّلت مقالة فجراءة المدلهمّ وعرض المُلاءة فتصلّب تصلّب المحقّ وتبرّأ من طينة
الرقّ فجُلنا في مخاصمة اتّصلت بملاكمة وأفضت إلى محاكمة فلما أنهينا للقاضي الصورة وتلونا
عليه السورة قال الآن من أبدى وعده ومن جحد وكم نصر ومن بصّر فاقتصروا إن فيما شرحاه
لدليلًا على أنّ هذا الغلام قد نبّهك فما ارعويت ونصح لك فما وعيت فاسترداه الهلك ولكنه ولم
ولا تلمه وحذارِ من اعتلاق والطمع في استرقاق فإنه حرّ الأديم غير معرّض للتقويم وقد كان أبوه
أحضره أمس قبيل أفول الشمس واعترف بأنه فرع لك أنشأه وأن لا والد له سواك فقلت للقاضي
أوتعرف أباه أخزاه الله فقال وهل يجهل أبو زيد الذي جرحه جبار وعند كل قاض له أخبار وأخبار
فحرقت وحولقت وأفقت حين فات الوقت وأيقنت أنه كان شرك مكيدة وبيت قصيدة
فنكست طرفي ما لقيت وآليت أن لا أعامل مثله ما بقيت ولو أن له آلة تخيّر صفقتي والافتضاح
وفضيحتي فقال لي القاضي وأي اعتداء عمر أو عثمان هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا أجرم إليك
من أيقظك فاتّعظ بما نابك وكاتم أصحابك ما أصابك وتذكّر أبدًا ما دهمك لتتّقي الذكرى داهيك
وتخلّق بخلق من ابتلي فصبر ومُحِّلت له العبر فاعتبر فودّعته لابسًا ثوب الخجل والحرب ساحبًا ذيل الغبن و
الغبن ونويت مكاشفة أبي زيد بالهجر ومصارمته بكل الدهر فجعلت أتنكّب عن ذراه وأتجنّب عن مرآه
إلى أن غشيني في طريق ضيّق فحيّاني بتحيّة مشوق فما ذُدتُ أن عبست وما أبلست فقال ما بالك شمخت
بأنفك على الإلف فقلت أنسيت أنك أعللت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فاضرط بي متمايلًا

١٣١

ثمّ أنشد متلافيًا كامل يا من بدا عنه صدود وموحش وتجهّم وغدا يريش ملاومًا من دونهنّ الأسهم
ويقول هل حرٌّ يباع كما يباع الأدهم أقصر فما أنا فيه بدعًا مثل ما تتوهّم قد باعت الأسباط قبلي يوسف
وهم هم هذا وأقسم بالتي تسري إليها الأنجم والطائفين بها وهم شعث النواصي سُهّم ما قمت ذاك الموقف
المخزي وعندك درهم فلعذرك خالك وكم عندي ملام من لا يعلم ثمّ قال أما معلّمك فقد لاح وأما درهمك
فقد طاح فإن كان أقنعك ما أبديت وإلا فإذا أخذ عني لِغَوط شفقتك على عِرض نفسك فلست ممن يلسع
مرّتين ويوطى على جمرتين وإن كنت طويت كشحك وأطعت شحّك لتستنقذ ما علق بأشراكي فلبّك
على عقلك البواكي قال الحارث بن همام فاضطرمت بلفظه الخالب وسحره الغالب إلى أن عدت له صفيًّا
وبه حفيًّا ونسيت فعلته ظهريًّا وإن كان شيئًا فريًّا

المقامة الخامسة والثلاثون

وتعرف بالشيرازية

قال الحارث بن همام قال عرّجت في تطوافي بشيراز على نادٍ يستوقف
المجتاز ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعدّيه ولا أخطأت قدمي تخطّيه فحصلت إليه لأسبر جوهره
وأنظر كيف تمثّل من زهره فإذا أهله أفراد والعائج إليهم مُفاد وبينا نحن فيما هو أطرب من الأغاني
وأطيب من حلب الغواني إذ احتفّ بنادينا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فحيّا بلسان طليق وأبان
إبانة منطيق ثمّ احتبى حبوة المستدين وقال اللهمّ اجعلنا من المهتدين فازدراه القوم لطمريه وكنوا عنه
أنّ المرء بأصغريه وأخذوا يتداولون فصل الخطاب ويعدّون عوده من الأحطاب وهو لا يفيض بكلمة
ولا يبين عن سمة إلى أن سبر القوم وخبر شمائلهم وراحهم فحين استخرج دفائنهم واستنثل كنائنهم قال
يا قوم لو علمتم أنّ وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا أخلاق ولعلمتم ما له من خلاق ثمّ تحرّى من بينا

الأدب والنكت التي ما حلت بمدائح فاستوهبها ان تكتب بذوب الذهب فلما خلب كل الخلب
وقلب البكر قلب المحل المرحل قال هات لينقد فاقلقت الجماعة بذله وعاقت مبرتبله
وقال لهم قد ارتنا وسر قد حلت بحر باعز فضلك وجل فضت حصوم فراعتم ثم تعوا لحي ادخم قال
الراوي فلما رأيت ثوبي زيد وصوتا ماملت التبع على سهره تجلى واذا هو
ربابه فإذا هو ابا ابه فكتمت ستره كما يكتم الداخل وسترلكره واذا لم يكن محل حتى اذا نزع عن اطواله
وقد عرف عتود عليما حاله ومقتضى بغير مضاحك ثم طفق يغلق بلبا ساباك يظهر استغفر الله
اعنوله من فرطات انعلت ظهرت يا قوم كم من عزا وغالس حمد عقة الاوصاف والالة قلتها الا انيغ
واوثا بطلت متي فودا ودنه وكلما استدينت قلبها احلت الدين على الاقضية ولم ازل تحيا
في غيها وقلها الانكار مستبشرا حتى نهاني الشيب بدا في مفرقي عن تلكم المعصية فلم ادع قد ثابتا
فوهي ديما من غارقي وعاود الاصبية وها انا الان عليها منه ومن حرفها الكبرى ابرأ كي
تعبيها وجيهها حتى عن الاهوبة وهي النعيس محظوظة كخطبة الغانية المغنية ولكن بكفيه لحق تحلى
على الرضا بالذون الاميثة والبد لا نوحي تكون ويهم والاجر قفرا والسماء مصحية فهل معين لحر تحلى
بقلها مصحوبة بالقنية الملهية فصاحب الى القص ابو زيد افارحبة اكانوا الصنبية ويقضي التبا
الذي تضوع رياه مع الادعية قال فلما نوقي الجماعة الا من ندبت لكفه وانباع عرفه فلما لحت
بغيته وكلت منة اخذ يثني عليه بصالح ويشيم عن ساق سابح قال الحارث بن همام فتبعته
لاستعرف بيته خلوه من قنل فجلد بان ايجره مكانه وشك في ان ما مثل الرواح في ذلك

وقال افق عني نظهر قيل لي يا صاح جرح المدام ليس قلبي بالمديح اوحصا والتي عنيت هي الكرية
الكريم لا البكر من بنات الكرام وليجهزها الى الكاسي الطاس فيا حي الذي تري وقاحي فتيهم ما قلته
وحكم في التغاضي ارتشاف اوفي اللام ثم قال انا ما سلوت بعديد وبينا اون بعثة ودعو
وانطلق وفرقت نظرة من ذي عل

المقامة السادسة والثلاثون تعرف بالملطية

اخبر الحارث بن همام قال انحيت بالملطية بطية البين وفتية ملاتر العين تحلت فيهم بمدى الا
هيأ عصا ان اتورد موارد المرح والتصيد شوارد الملح فلم نفتقهم منظرا ولا اسمع عن الاخلاق ملعب
ولا تريع حتى اذا ليتول فيها مأدب ولا في التواها عب عجلت لي بعاق الذهب في ابتياع الاهب
اكملت الاعياد وتهيأ الطعن منها لوكاد وارب قد تسعد ومعط قد تباث فهو وادنياه دنوه ودنا
قيد الالحاظ وكأنهم حلوة الالفاظ فتحثه طلبا المناداة لا المداهنة وشغفا بما ادعته لا زخاجه
فلما استطت عاشرهم وصحبت معاشرهم الفيتهم ابناء علات مع تقايف فلو لا الا انحبة الادب
الفت شملهم الفة النسب ساوت بينهم في الرتب حتى لا احوا مثل كاد اكالحظ او كاحمله المتناسب
الاجزاء فاهيج الاهتداء اليهم ولحمت الطائر الذي اطلعني عليهم فطفقت افرص بهم حتى اجاءهم وافيقت
واستشفي بالجاهم لا ارائهم حتى اتأنسوا شجوى المفاوضة التي التحاجي بالمقايضة كهولك اذ لعيند بالمنصوب
بالكرامات ما مثل النوم فافاشئ الحلول السهى والقمر وتحسن الشوك والتمر وبينا نحن نشر القشر
والترتب والنشل التبين والغث طلع علينا شيخ في هيئة وسر فسلم تسليم قول
من يسمع نظري ويلتقط ما ينثر الى نقص الاكاس وصفحص الياس فلما دام احيال القرائح

واكدا الملح والمليح جمع اذياله ولا ناقة له وقال لا تأكل سوى اثمرة ولا تأكل منها اخمرة فاعتلقنا به 134

اعتلاق الحربا بالاعواد وضربنا دون وجهه بالاسداد وقلنا ان دواء الشق ان يحاص والا

فالقصاص القصاص فلا تطمع في ان تجرح وتبهر الغنق وتسرح فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه صعدا

وقال اما اذا استثرتموني بالبحث فاحكموا حكم سليمان في الحرث اعلموا يا ذوي الشمائل الادبية

والشمول الذهبية ان وضع الاحاجي لامتحان الالمعية واستخراج الخبية الخفية وشرطها ان تكون

ذات مماثلة حقيقية والفاظ معنوية ولطيفة ادبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط

ولم تدخل السفط ولم اركم حافظتم على هذه الحدود ولا فرقتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت

وبالحق نطقت فكل لنا من لبابك وافض علينا من عبابك فقال افعل لئلا يرتاب المبطلون

ويظنوا بي الظنون ثم قابل ناطورة القوم وقال المجتث يا من سما بذكاء في الفضل واري

الزناد ماذا يماثل قولي جوع امد زاد ثم صغى الى الثاني وانشد المجتث يا ذا الذي فاق فضلا

ولم يدنسه مين ما مثل قول المحاجي ظهر اصابته عين ثم لحظ الثالث وانشا يقول الكامل يا من

نتائج فكره مثل النقود الجائزة ما مثل قولك للذي حاجيت صاد جائزة ثم التفت الى الرابع وقال

الرجز ايا مستنبط الغامض من لغز واضمار الا اكشف لي ما مثل تناول الف دينار ثم دنى الخامس

بصره وانشد الكامل يا ايها الالمعي اخو الذكاء المنجلي ما مثل اهمل حلية بين هديت وعجل

ثم التفت السادس وقال الكامل يا من تقصر عن مداه خطى مجاريه وتضعف ما مثل قولك

للذي اضحى يحاجيك اكفف ثم خلج السابع بحاجبه وقال البسيط يا من له فطنة تجلت وفي

في الذكاء

في الذكاء جلت بين فما زلت ذا بيان ما مثل قولي الشقيق افلت ثم استنصت الثامن وانشد الكامل

يا من حوى قصب الفضل مطاوله الاذهان غصة ما مثل قولك للمحاجي حلى ما اختار فضة ثم خلج التاسع

بصره وقال الكامل يا من يشار اليه في القلب الذكي وفي البراعة اوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي در

جماعة قال الراوي فلما انتهى الى منكبي وقال الكامل يا من له النكت التي يبتز الخصوم بها ويسكت

انت المبين فقل لنا ما مثل قولي للفطين اسكت ثم قال قد امهلتكم واهملتكم وان شئتم ان اعللكم عللتكم

قال فالجانا لهب الغلل الى ان نستسقي العلل فقال لست كمن يستاثر على نديمه ولا ممن يشمئز من اديمه ثم كر على الاول

وانشد البسيط يا من اذا اشكل المعمى جلته افكاره الدقيقة ان قال يوما لك المحاجي خذ اللآلي

ما مثله حقيقة ثم تشاهى الى الثاني وقال الرجز يا من بدا نبا عن فضله مبينا فما امثال قولهم

حمار وحش زبينا ثم اومى الى الثالث باللحظة وانشد الكامل يا من غدا في فضله وذكائه كالالمعي

ما مثل قولك للمحاجي انق تقع ثم حملق الى الرابع وقال المجتث يا من اذا ما عويص جلا فاذهب

ظلامه ماذا يماثل قولي انتش ربح مدامة ثم اومض الى الخامس وقال الكامل يا من تنزه فهمه عن ان

يرى او يشكا ما مثل قولك للذي يحاجي غط هلكا ثم اقبل قبل السادس وانشد الخفيف يا اخا

الفطنة التي بان فيها كماله ما تبالي مد تاتى اي شي مثاله ثم نحى بصره الى السابع وقال المجتث يا من

تجلى بفهم اقام في الناس سوقه لك البيان فبين ما مثل احسب فروقه ثم قصد قصد الثامن وانشد الكامل

يا من تبوا ذروة في الفضل فاق كل ذروة ما مثل قولك لعط ابريقا يلوح بغير عروة ثم ابتسم الى التاسع

وقال الكامل يا من يحوز حسن الدراية والبيان بغير شك ما ماثل قولك للمحاجي في الذكاء الثور ملكي

ثم قبض بمجمعه على ذيلي وقال الكامل يا من سما شؤبوب فطنته في المشكلات وبذّ كواكبه ماذا
مثال صفير جحفلة بتيه يتيا يا تيم به قال الراوي فلما اطربنا ما سمعناه وطالبنا بكشف معناه قلنا له
لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فان ابنت مننت وان كتمت غممت فطفق يثني ا
نفسه بقلت قلمه حتى هان بذل الماعون عليه فاقبل على الجماعة قال لسا اعليكم ما لم تكونوا تعلمون ولا
ظننتم انكم تعلمون فاوكوا عليه الاوعية وقيضوا به الابنية ثم اخذ في تفسير ما قلق به الاذهان وتسعر
معه الاذهان حتى اضحت الافهام افوفوا الشموس الاحكام كان لم تغن بالامس ولما هم بالمفر سئل عن المقر
فتنفس كما يتنفس الثكول ثم انشا يقول الرمل كل شعب لي شعب وبه دعي حب غير اني بسروج مستهام
القلب صب هي ارضي البكر والجو الذي منه الهبت والى دفعيها الغنا دون الروض صبوا ناحلا البعل ها
حلو ولا اعذو غب عذب قال الراوي فعلمت لاصحابنا هذا ابو زيد السروجي الذي ادنى ملحة الاحاجي و
اصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام لمشيته ثم التفت فاذا به قد طمر وناى بها قمر فجعنا اما هنع و

تفسير الاحاجي المودعة في هذه المقامة

اما جوع اندر دفيله طوامير واما طمر
اصابته عين فمثله مطاعين واما صاد جايزة فمثله الفاصلة واما تناول الف دينار فمثله
هادية واما اهمل حلية فمثله الغاشية واما اكفف اكفف فمثله مهمه واما الشقوا فلت فمثله
الاخطار واما اختار فضة فمثله بارقة لان الرقة من اسما الفضة وقد نطق به النبي صلى
في الرقة ربع العشر واما دس جماعة فمثله طافية الطافية التي تطفو فوق الماء واما خالي اسكت
فمثله خال الصه لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها ساكنة ومتحركة وقد

حذف

حذف هيهنا حرف النداء كما حذف في اصل الاحجية وصه بمعنى اسكت واما خذ تلك فمثله هاتيك واما
حمار وحش ذيبا فمثله فرا ذيب لان الفرا حمار الوحش ومنه المثل كل الصيد في جوف الفرا واما قوله انفق
تقمع فمثله منقمع لان الامر من مان يمون من وهو مضارع وقمت تقم واما استنشق ريح مدامة فمثله دحراح
لان الامر من شم الراح تحرح واما غط هلكى فمثله صنبور لان البور الهلكى وفي القران وكنتم قوما
بورا واما سري بالليل مرة فمثله سراحين واما احب فروقة فمثله مقلاع لان الامر من ومق يمق
مق واللاع الجبان تقول انه هاع لاع اذا كان جبانا جزوعا واما اعط ابريقا يلوح بغير عروة فمثله
اسكوب لان الاوس العطا والامر منه اس والكوب الابريق بغير عروة واما الثور ملك فمثله اللالي لان
اللالي على وزن القنا وهو ثور الوحش واما صفير جحفلة فمثله مكاشفة لان المكا الصفير قال والله
تعالى وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والاصل في المكا المد وقد قصره في هذه الاحجية
كما حذف الهمزة من الفرا وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف المهموز جايز

المقامة السابعة والثلثون تعرف بالصعدية

حكى الحارث بن همام قال اصعدت الى صعدة وانا ذو شطاط
يحكي الصعدة واشتداد يلين الصعدة فلما استوطنتها وجبت حضرتها بالتبكار والرواح
عمن تحوي من السراة ومعادن الخيرات لاتخذ منهم جذوة في الظلما ونجدة في اللاوا فافضى بي الى قاض بها ارحب
الباع خصيب الرباع عميم النفع لطيف الطباع فلم ازل اتقرب اليه بالالمام واتقوى عليه بالاحجام حتى
صرت صاحب صومعته وسلمان بيته وكنت مع استبدادي بحلته وانتشاقي ريا نديه اشهد مشاجر الخصوم
واسفر بين المعصومين والموصوفين القاضي جالس للاسجال في يوم المحفل والاحتفال

إذ دخل شيخ بالي الرياش، بادي الارتعاش، فتبصّر الحفل بعين نقّاد، ثم زعم أن له خصماً غير منقاد، فلم يكن
إلا كنشوة ارتداد أو وحي إشارة، حتى أحضر غلاماً كأنه ضرغام، فقال الشيخ أيّد الله القاضي وعصمه من التغاضي
إنّ ابني هذا كالقلم الرديّ، والسيف الصديّ، يجهل أوصاف الإنصاف، ويتضح خلاف الخلاف، إن قدحت
أجمّ، وإذا أعربت عجم، وإن ذكّيت أخمد، ومتى شويت ربّد، مع أني كفلته مذ دبّ إلى أن شبّ، وكنت له
ألطف من ذي جود وربّ، فأكبر القاضي ما شكاه إليه، وأطرق مَن حواليه، ثم قال: أشهد أنّ العقوق أحد
الثكلين، ولربّ عقوق أولى لعين، فقال الغلام وقد ممضه هذا الكلام: والذي نصب القضاة للعدل
وملّكهم أعنّة الفضل والفصل، إنه ما دعي قطّ إلا أمّنت، ولا ادّعى إلا آمنت، ولا التي إلا أوحى
ولا أوى إلا واضمحت ثناياه، كمن يبغي بيض الأنوق، ويطلب الطرق من النوق، فقال له القاضي
وبم أعنتك وأمحض إعناتك؟ قال: إنه منصفر من المال، ومنيّ بالإمحال، يسومني أن ألحظ بالسؤال
أستمطر سحب النوال، ليفيض شربه الذي غاض، ويجبر من حاله ما انهاض، وقد كان حين أخذ في الدرس
علّمني أدب النفس، وأشرب قلبي أنّ الحرص معيبة، والطمع متعبة، والشره متهمة، والمسألة ملأمة، ثم
أنشدني فلوّ فيه، ونخبة قوافيه، شعر: ارض بأدنى العيش واشكر عليه، شكر من القلّ كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل يحطّ قدر المتراقي إليه، وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن
عن لبدته، ولا ترق ماء المحيّا ولو خوّلك المسؤول ما في يديه، واصبر على ما ناب من فاقة صبر أولي
العزم وغمّض عليه، فالحرّ من إن قذيت عينه أخفى قذى جفنيه عن ناظريه، ومن إذا أخلق ديباجتيه
لم يرَ أن يُخلق ديباجتيه، قال: فعبس الشيخ واكفهرّ، وأنحى على ابنه وهرّ، فقال له: صه يا عقق، يا من

هو الشجى والشرق، ويلك أتعلم أمّات البضاع وطرت الأيضاع، لقد تحكّكت العقرب بالأفعى، واستنّت
الفصال حتى القرعى، ثم كأنه ندم على ما فرط من فيه، وهفت به المقة على تلافيه، فرنا إليه بعين عاطف
وخفض له جناح ملاطف، وقال: ويك يا بنيّ، إنّ من لجأ بالقناعة، وزجر عن الضراعة، هم أرباب البضائع
وأولو الكسب والصناعة، فأما ذوو الضرورات فقد سوّغوا المحظورات، واستُثني بهم في المحظورات
وهبك جهلت هذا التأويل، ولم تبلغك أقاويل السائل الذي عارض أباه، إذ قال وما حاباه، شعر:
لا تقعدنّ على ضُرٍّ ومسغبة، لكي يقال عزيز النفس مصطبر، وانظر بعينيك هل أرض معطّلة من النبات
كأرض حفّها الشجر، فعدّ عمّا أشير به، فأيّ فضل لعود ما له ثمر، وارحل ركابك عن ربع ظمئت به
إلى الجناب الذي يهمي به المطر، واستنزل الريّ من درّ السحاب، فإن بُلّت يداك به فليهنك الظفر، وإن
رُددت فما في الردّ منقصة عليك، قد ردّ موسى قبل والخضر، فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى
وفعله، وتحلّيه بما ليس من أهله، نظر إليه بعين مغضب، وقال: أتميميّاً مرّة وقيسيّاً أخرى، أفٍّ لمن بات
ما يقول، ويتلوّن كما تتلوّن الغول، فقال له الغلام: والذي جعلك مفتاحاً للحق، وفتّاحاً بين الخلق
لقد أُنسيت مُلْبِست، وصدّ ذهني منصبك على أنه لباب الفقه والعطاء السّرح، وهل يخجل
من يتبرّع باللهى، وإذا استطعم يقول ها، فقال له القاضي: هم تمع الخواطي سهم صائب، وما كل بارق
خالب البرق، ولا تشتدّ الأيام علت، فلما تبيّن للشيخ أن القاضي قد غضب للكرام
ولغط بتخجيل جميع الأنام، علم أنه سينصر كلّه، ويظهر أكرومته، فما كذب أن نضّ بكنّه وشكى
في الحديق سمكه، وأنشأ يقول، نظم: يا أيها القاضي الذي علمه وحلمه أوسع من ... قد عجز

١٤٠

هذا على جهله ان ليس في الدنيا الخوجلي وما دري انك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى فحلهما

بتيه مستحرثا فيما افترى من كذب الدعوى وانتحل الان انني بما اوليت من جدي ومن علي قال

فهش القاضي لقوله ولخزله من طوله ثم لفت وجهه الى الغلام وقد نصل اسهم الملام وقال له ارايت

بطل زعمك وخطل وهمك فلا تعجل بعدها بذم ولا تنح عودا قبل عجم واياك وقابك غمط

ابيك فانك ان عدت تعقه حاق بك منه ما تستحقه فسقط الفتى في يده ولاذ بحقو والده ثم نهض

يحفد وتبعه الشيخ ينشد شعر من ضامه او ضاره دهره فليقصد القاضي في صعدة سماحه

اربى من قبله وعدله نعم من بعده قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الى ان حروف

لسيره فناجيت النفس باتباعه ولو الى رباعه لعلي اظهر على اسراره واعرف شجرة نجاره فسلك العلوى

وانطلقت حين انطلق ولم يزل يخطو واتعقب في بعد واقرب الى ان تراني التحصن اوخي التعادي

على الخلصان فابدى الاهتشاش وذم الارتعاش وقال من كان فيه خاه فلا عاش فعرفت عند ذلك ان

السروجي بلا محالة ولا حول لغالته فبادرت اليه لمصافحته واستعرضت سانحه وبارحه فقال دونك

ابن اخيك البر وتركته وحرفا بعد الفتى كما قد فعل وقد استبنت عينيهما ولكن لم استبين اسمهما المقا

المقامة الثامنة والثلاثون وتعرف بالمروية

حكى الحارث بن همام قال حبب الي مذ سعت قدمي ونفثت

قلمي ان اتخذ الادب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت انقب عن اخباره وخزنة اسراره فاذا الفيت

منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكوة كنزه على اني لم الق كا

السروجي في غزارة السحب ووضع الهناء مواضع النقب الا انه كان اسير من المثل واسرع من القمر في النقل

١٤١

وكنت لهوى ملاقاته واستحسان مقاماته ارغب في الاغتراب واستعذب السفر الذي هو قطعة

من العذاب فلما انطوحت الى مرو ولا غرو دخلت بملقاه زجر الطير والفال الذي هو يبشر بالخير فلم

ازل انشده في المحافل وانشد تلقي القوافل فلا اجد عنه مخبرا ولا ادري له اثرا ولا عثيرا حتى غلب

الياس على الطمع وانزوى التاميل وانقمع فاني لذات يوم بحضرة والي مرو وكان ممن جمع الفضل والثروة

اذ طلع ابو زيد في خلق املاق وخلق ملاق فحيا الوالي تحية المحتاج اذا لقي رب التاج ثم قال له اعلم

وقيت الذم وكفيت الهم ان من عذقت به الاعمال اعلقت به الامال ومن رفعت اليه الدرجات رفعت

اليه الحاجات وان السعيد من اذا قدر وواتاه القدر ادى زكوة النعم كما يؤدي زكوة النعم والتزم لاهل

الحرم كما يلتزم للاهل والحرم وقد اصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك ترجى الركائب

الى حرمك وترجى الرغائب من كرمك وينزل الطالب بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك

وكان فضل الله عليك عظيما اذ شيخ ترب بعد الاتراب وعدم الاعشاب حين شاب قصدك

من محلة نازحة وحالة رازحة يعتام من بحرك دفعة ومن جاهك دفعة والتاميل افضل وسائل

السائل ونائل النائل فاوجب له ما يجب عليك واحسن كما احسن الله اليك واياك ان تلوي عذارك

او تزوي ازورارك او تقبض راحتك عن امتلاحك وامتار سماحتك فوالله ما مجد من جمع ولا

رشد من خدل اللبيب عن ذا وجد جاد وان بدأ بعائدة عاد والكريم من اذا استوهب الذهب

لم يهب ان يهب ثم امسك يرقب كل غمده ويصل مطية نفسه واحب ان يعلم هل نطفته ثمد

ام لغمره مدد فاطرق الوالي فيما استوري زنده واستشف فرنده والتبس الى ذيل يتيه سبب بكلام

ادراجا صلته فتوغر غضبا وانشد مقتضبا نظم لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب لأن بدا خلق
السربال سبروتا ولا تضع لأخي التأميل حرمته أكان ذا لسن أم كان سكيتا وانعش بعرفك من
وافاك مختبطا وانعش بعونك من ألفيته منكوتا فخير مال الفتى مال أشاد به ذكرا تناقله الركبا
ن صيتا وما على المشتري حمدا بموهبة غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا لولا المروءة ضاق العذر في
فطن إذا اشرأب لما جاوز القوتا لكنه لابتناء المجد جلد ومن حب السماح ثنى نحو الغنى ليتا وا
لجود تنشق نشر الشكر وكرم الأوا زي نشر المسك مفتوتا والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما حتى لقد خيل
ذا ضبا وذا حوتا والسمح في الناس محبوب خلائقه والجامد الكف لا ينفك ممقوتا وللشحيح على أمواله
علل يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا وخذ
نصيبك منه قبل رائعة من الزمان تريك العود منحوتا فالدهر أنكد من أن تستمر به حال تكرهت
تلك الحال أم شيتا فقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأي ولد الرجل أنت فنظر إليه عن عرض ثم
وهو مغض شعر لا تسأل المرء من أبوه وزن خلاله ثم صله أو فاصرم فما يشين السلاف حين حلا
مذاقها كونها ابنة الحصرم قال فقربه الوالي لبيانه الفاتن حتى أحله معقد الخاتن ثم فرض له من سيوبه
نيلا ما أذن بطول ذيله وقصر ليله فنهض عنه بردن ملآن وقلب جذلان وتبعته حاذيا حذوه وقافيا
خطوه حتى إذا خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هنيت بما أوتيت وملّيت بما أوليت فأسفر وجهه
وتلألأ وأولى شكر الله تعالى ثم خطر اختيالا وأنشد ارتجالا نظم من يكن نال بالحماقة حظا أو سما
لطيب الأصول ففضلي انتعشت لا بفضولي وبقولي ارتقيت لا بقبيلي ثم قال تعسا لمن جدب الأدب

وطوبى لمن جلّى فيه ودأب ثم ودعني وذهب وأودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون

تعرف بالصحارية

أخبر الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر إزاري وبقل عذاري بأن أجوب
البراري على ظهور المهاري فأنجد طورا وأتهم تارة خوض اللجج فلبيت المعالم والمجاهل وبلوت
المناهل وأدميت السنابك والمناسم وأنضيت السوابق والرواسم فلما مللت الإصحار وقدح
لي أدب بصحار ملت إلى اختبار التيار واختيار الفلك السيار فنقلت إليه أساودي واستصحبت
زادي ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب حاذر نادر عاذل لنفسه عاذر فلما شرعنا في القلعة ورفعنا
الشرع للسحر سمعنا من شاطئ المرسى حين دجا الليل وغسا هاتفا يقول يا أهل ذا الفلك القويم
المزجى في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فقلنا أرنا
ناد أيها الدليل وأرشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال أتستصحبون ابن سبيل زاده في زبيله
ظله غير ثقيل وما يبتغي سوى مقيل فأجمعنا على الجنوح إليه أن لا نبخل بالماعون عليه فلما استوى
على الفلك قال أعوذ بمالك الملك من مسالك الهلاك ثم قال إنا روينا في الأخبار المنقولة عن الأحبار
أن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا وإن معي لعوذة عن الأنبياء
مأخوذة وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من شيمي الحرمان وانصتوا لمقالي
وتفهموا واعملوا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهي وقال تدرون ما هي هي والله حرز السفر
عند مسيرهم في البحر والجنة من الغم إذا جاش موج اليم وبها استعصم نوح يوم الطوفان ونجي هو
ومن معه من الحيوان على ما صدعت به آي القرآن ثم قرأ بعد أساطير تلاها وزخارف جلاها وقال

فيها بسم الله مجريها ومرسيها ثم تنفس تنفس المغرمين او عباد الله المكرمين فقال اما انا فقد قمت مقام
المبلغين ومحضت لكم نصح المبالغين وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين
قال الحارث بن همام فاعجبنا بيانه الباهر الطلاوة وحنت له اصواتنا بالتلاوة وانس قلبي من حوله
مطلع تيسير فقلت له بالذي سخر البحر اللجي الست السروجي فقال بلى وهل يخفى ابن جلا فاحمدت حينئذ
السفر وسفرت له عن نفسي فسفر ولم نزل نسير والجو مصحي والبحر رهو والعيش صفو والزمان لهو وانا
اجذل للقيانه وجذل المثري بعقيانه وافرح بمناجاته فرح الغريق بمنجاته الى ان عصفت الجنوب وعسف
الجنوب ولقينا السفر ما كان وجاءهم الموج من كل مكان فملنا لهذا الحادث الثائر الى احدى الجزائر لنريح و
نستريح ريثما تركد الريح وتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد غير اليسير فقال لي ابو زيد انه لن
يجني العود بالقعود فهل لك في استثارة السعود بالصعود فقلت له اني لك لاتبع من ظلك واطوع من
نعلك فنهضنا الى الجزيرة على ضعف من المريرة لنركض في امتراء الميرة وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدي
فيها سبيلا فاقبلنا نجوس خلالها ونتفيأ ظلالها حتى افضينا الى قصر مشيد له باب من حديد عليه
زمرة من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما الى الارتقاء ووسيلة للاستقاء فالفينا كلا منهم في مسك كئيب
وكرب لا يطيب فقلنا ايتها الغلمة لم هذه الغمة فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما راينا
نارهم نار الحباحب وخبرهم كسراب السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر خادم
قد علته كبرة وعرته عبرة فقال يا قوم لا توجعونا عتابا ولا توسعونا سبابا فانا لفي حزن شاغل و
عن الحديث شاغل فقال له ابو زيد نفس خناق البث وانفث ان قدرت على النفث فانك ستجد مني عرافا

كافيا ووصافا شافيا فقال اعلم ان رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة الا انه لم يخل
من كبد الخلو من ولد ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير من المفارش النفائس الى ان بشر بحمل عقيلته ودنا
دقلته بفسيلة فنذرت له النذور وحصيت الايام والشهور ولما حان النتاج وصيغ الطوق والتاج
عسر مخاض الوضع حتى خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم الا غرارا ثم اجهش
بالبكاء والعويل وردد الاسترجاع وطول فقال له ابو زيد اسكن يا هذا واستبشر وابشر بالفرج وبشر
فعندي عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فتبادرت الغلمة الى مولاهم متباشرين بانكشاف بلواهم فلم يكن
الا كلا ولا حتى برز من هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال لابي زيد ليهنك هنالك
ان صدق مقالك ولم يفل فالك وكان حملك سمطا او تودمت شططا فاستحضر قلما مبريا ومدرا
بحريا وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف فما ان جن الغمس حتى احضر ما التمس فسجد ابو زيد وعفر وسبح
واستغفر ثم اخذ القلم واسحنفر وكتب على الزبد بالمزعفر ايها الجنين اني نصيح لك والنصح من شرط الدين
مستعصم
انت معتصم بكن كنين وقرار من السكون مكين ما ترى فيه ما يروعك من اف ملح ولا عدو مبين فمتى
ما خرجت منه تحولت الى منزل الهون والهوان وتراءى لك الشقاء الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون فاحذر مستدم
عيشك الرغيد وحاذر ان تبيع المحقوق بالمظنون واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب
المهين ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشتبه بظنين ثم انه طمس المكتوب على غفلة وتفل
عليه ماء تفلة وشد الزبد في خرقة حرير بعد ما ضمخها بعبير وامر بتعليقها على فخذ الماخض وان
لا تعلق بها يد حائض فلم يكن الا كفواق شارب او فواق حالب حتى اندلق شخص الولد بخصيصى الزبد

٢

بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر حبوراً واستطير عبيده وعبيده سروراً واحاطت الجماعة بابي زيد
تثني عليه وتقبل يديه وتتبرك بمماسّه حتى خيّل الي انه الاسدي دبيس او القرني اويس ثم انثال
عليه من جوائز المجازاة وصلات الصلات ما قيّض له الغنى وبيّض له وجه المنى ولم يخل نفحات الدخل
مذ نتج السخل الحائل ليعطي البحر الامان وتسنى الاتمام الى عمان فاكتفى ابو زيد بالنحلة وتاهب للرحلة
فلم يبح الوالي بحركته بعد تجربة بركته بل وغر بضمه الى خولته واطلق يده في خزانته قال الحارث بن
همام فلما رايته قد مال الى حيث يكتسب المال حثثت عليه بالتعنيف وهممت بمفارقة المالف
والاليف فقال اليك عني واسمع مني لا تصبون الى وطن فيه تضام وتمتهن وارحل عن الدار التي تعلي
الوهاد على القنن واهرب الى كن يقي ولو انه حضنا حضن ودع التذكر للمعاهد والحنين الى الوطن
ودع بنفسك ان تقيم بحيث يغشاك الدرن وجب البلاد فايها ارضاك فاختره وطن واعلم بان
الحر في اوطانه يلقى الغبن كالدر في الاصداف يزرى ويبخس في الثمن ثم قال حسبك ما سمعت وحذار
انت لو اتبعت فاوضحت له معاذيري وقلت له لكن علي عذيري فعذرني وحتى لم يبق ثم شيعته
تشييع الآلاف الى ان ركب في القارب فودعته وانا اشكو الفراق واذمه واود لو هلك الخريت وامه

المقامة الاربعون وتعرف بالتبريزية

اخبر الحارث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز
حين نبت بالذليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا انا في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة لقيت
ابا زيد السروجي ملتفاً بكساء ومحتفاً بنساء فسالته عن خطبه والى اين يسري مع سربه فاوما الى امراة منهن
باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف العزبة

١٤٧ فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي فانا منها نضو وجى وحلف شجو وشجى وها
نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق
قال فملت الى ان احضر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر اذني وصحبتهما وان كنت
لا اغني فلما حضرنا القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك ويضن بنفاثة السواك جثا ابو زيد بين
يديه وقال ايد الله القاضي واحسن اليه ان مطيتي هذه ابية القياد كثيرة الشراد مع اني اطوع لها
من بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب
الضرب فقالت انه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار بالجار فقال له القاضي تباً لك اتبذر
في السباخ وتستفرج حيث لا افراج اغرب عني لا نعم عوفك ولا امن خوفك فقال ابو زيد انها
ومرسل الرياح لاكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة لاكذب من ابي ثمامة
حين مخرق باليمامة فزفر ابو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة المغتاظ وقال لها ويلك
يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار اتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد
علمت اني حين بنيت عليك ودنوت اليك الفيتك اقبح من قردة وايبس من قدة واخشن من ليفة
وانتن من جيفة واثقل من هيضة واقذر من حيضة وابرد من قشرة واحمق من رجلة واوسع من
دجلة فسترت عوارك ولم ابد عارك على انه لو حباك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها
وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها والخنساء بشعرها
لانفت ان تكونين قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت عن ساعدها

وشمّرت وقالت: يا ألأم من مادر، وأشأم من قاشر، وأجبن من صافر، وأطيش من طامر، أترميني بشنارك
وتفري عرضي بشفارك، وأنت تعلم أنك أحقر من قُلامة، وأعيب من بغلة أبي دُلامة، وأفضح من حبقة
في حلقة، وألين من بقّة في حُقّة، وهبك الحسن البصري في لفظه ووعظه، والشعبي في علمه وحفظه
والخليل في عروضه ونحوه، وجريرا في غزله وهجوه، وقسّا في فصاحته وخطابته، وعبد الحميد في بلاغته
وكتابته، وأبا عمرو في قراءته وإعرابه، والأصمعي في روايته عن أعرابه، أتظنني أرضاك إماما
للمحراب، وحساما للقراب، لا والله ولا بوّابا للباب، ولا عصا للجراب. فقال لهما القاضي: أراكما شنّا وطبقة
وحدأة وبندقة، فاترك أيها الرجل اللدد، واسلك في سيرك الجدد، وأما أنت فكفّي عن سبابه
وقرّي إذا أتى البيت من بابه. فقالت المرأة: والله ما أسجن عنه لساني إلا إذا كساني، ولا أرفع له شراعي
دون إشباعي. فحلف أبو زيد بالمحرّجات الثلاث أنه لا يملك سوى أطماره الرثاث. فنظر القاضي في قصتهما
نظر الألمعي، وأفكر فكرة اللوذعي، ثم أقبل عليهما بوجه قد قطّبه، ومجنّ قد قلبه، وقال: ألم يكفكما
التسافه في مجلس الحكم، والإقدام على هذا الجرم، حتى ترقيتما من فحش المقاذعة إلى خبث المخادعة
وايم الله لقد أخطأت استكما الحفرة، ولم يصب سهمكما الثغرة، فإن أمير المؤمنين أعزّ الله بقاءه
الذي نصّبني لأقضي بين الخصماء، لا لأقضي دين الغرماء، وحقّ نعمته التي أحلّتني هذا المحلّ، وملّكتني
العقد والحلّ، لئن لم توضحا لي جليّة خطبكما، وخبيئة خبّكما، لأندّدنّ بكما في الأمصار، ولأجعلنّكما
عبرة لأولي الأبصار. فأطرق أبو زيد إطراق الشجاع، ثم قال له: اسمع سماع نطِس: أنا السروجي وهذه
عِرسي، وليس كفؤ البدر غير الشمس، وما تنافى أُنسي وأُنسها، ولا تناءى ديرها عن قسّي، ولا عدت

سُقياي أرض غرسي، لكنّا منذ ليال خمس، نصبح في ثوب الطوى ونمسي، لا نعرف المضغ ولا التحسّي، حتى
كأنّا لخفوت النفس، أشباح موتى نشروا من رمس، فحين عزّ الصبر والتأسّي، وشفّنا الضرّ الأليم المسّ
قمنا لسعد الجدّ أو للنحس، هذا المقام لاجتلاب فلس، والفقر يلجي الحرّ حين يرسي، إلى التحلّي بلباس
اللبس، فهذه حالي وهذا درسي، فانظر إلى يومي وسل عن أمسي، وأمر بجبري إن تشأ أو حبسي، ففي يديك
صحّتي ونكسي. فقال له القاضي: ليثب أنسك، ولتطب نفسك، فقد حقّ لك أن تغفر خطيئتك
وتوفر عطيّتك. فثارت الزوجة عند ذلك، واستطالت، وأشارت إلى الحاضرين وقالت شعرا: يا
أهل تبريز لكم حاكم، أوفى على الحكّام تبريزا، ما فيه من عيب سوى أنه، يوم الندى قسمته ضيزى، قصدته
والشيخ نبغي جنى عوده، فما زال حجرا، فسرّح الشيخ وقد فاز من جدواه تخصيصا وتمييزا، وردّني
أخيب من شائم برقا خفى في شهر تموزا، كأنه لم يدر أني التي لقّنت الشيخ الأراجيزا، وأنني إن شئت
غادرته أضحوكة في أهل تبريزا. قال: فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما، وانصلات لسانهما، علم
أنه قد مني منهما بالداء العياء، والداهية الدهياء، وأنه متى منح أحد الزوجين، وصرف الآخر صفر اليدين
كان كمن قضى الدين بالدين، وصلّى المغرب ركعتين، فطلسم وطرسم، واخرنطم وبرطم، وهمهم وغمغم
ثم التفت يمنة وشأمة، وتململ كآبة وندامة، وأخذ يذمّ القضاء ومتاعبه، ويعدّد نوائبه ومشاغبه
ويفنّد طالبه وخاطبه، ثم تنفّس كما يتنفّس الحريب، وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب، وقال: إن هذا الشيء
عجيب، أأُرشق في موقف بسهمين، أأُلزم في قضية بغرمين، أنّى لي الطوق بإرضاء الخصمين، ومن أين ومن أين
ثم عطف إلى حاجبه المنفذ لمآربه، وقال: ما هذا يوم حكم وقضاء، وفصل وإمضاء، هذا يوم الا

١٥٠ هذا يوم الاغترام هذا يوم الحِران هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب هذا يوم نُصاب فيه ولا نُصيب
فأرحني من هذين الهذّاذين واقطع لسانهما بدينارين ثم فرّق الأصحاب وأغلق الباب وأشاع أنه
يوم مذموم وان القاضي فيه مهموم لئلا يحضره خصوم قال فأمّن الحاجب لدعائه وتباكى
لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين وقال أشهد انكما أحيل الثقلين لكن احترما مجالس الحكام
واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاضٍ قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع الأراجيز فقالا مثلك من
حجب في شكرك قد وجب ونهضا وقد حظيا بدينارين وأصليا قلب القاضي نارين

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من الألفاظ الغريبة والأمثال اللغوية

أما قوله لقيت منها عرق القربة يضرب هذا المثل لمن يلقى شدة من الأمر الذي يزاوله كما أن حامل القربة يلقى جهدًا
حتى يعرق وقوله جعلته دبر أذني يعني طرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله أكذب
من سجاح يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه لتناظره وتخبره ثم آمنت به ووهبت
نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الأسماء المعدولة واشتقاقها
من السجاحة وهو السهولة ومنه قولهم إذا ملكت فأسجح وقوله أكذب من أبي ثمامة هذه كنية مسيلمة
الكذاب وكان تنبأ باليمامة وحرب بها إلى أن سار إليه خالد بن الوليد فقتله وقوله لا نعم عوفك
العوف الحال والعوف أيضا الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال نعم عوفك وقوله يا دفار يا فجار
هذان الاسمان المعدولان عن دفارة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر وكلما يسمى
بصفة غالبة ثم عدل بها إلى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار

يا فجار

١٥١ يا فجار وليس ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر كقول الشاعر أطوّف ما أطوّف ثم آوي
إلى بيت قعيدته لكاع وأما قوله الحق من رجلة هو ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجترفها
وأما قولها الأم من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا يستقي إبله فلما روّت
سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده وأما قوله أشأم من قاشر فإنه فحل كان في بعض
قبائل سعد بن زيد بن مناة مطرقا بلا أمهات وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره
وجه الأرض من النبات وأما قولها أجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما
يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل إنه طائر
بعينه إذا جنه الليل تعلق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا من أن ينام فيؤخذ
وقيل إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل إن المراد به
في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب فعلى هذا القول فاعل ههنا بمعنى مفعول
كقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء
مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا وقوله تعالى إنه كان وعده مأتيا وأما
قولها أطيش من طامر فالمراد به البرغوث وسمي طامر بن طامر لكثرة وثوبه وأما قول القاضي
أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فإنه أراد به أن كلا منكما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل من
المثلين تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال
الأكثرون إنهما قبيلتان فشن هو ابن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة

حمّى من اياد وكانت طبقة لا تطاق فاوقعت بها شنّ فانتصفت منها وقال بعضهم كان شنّ رجلا
من دهاة العرب الزم نفسه الّا يتزوّج الّا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته
فصاحبه رجل في بعض اسفاره فقال له شنّ اتحملني ام احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب
الراكب فامسك وسارا حتّى اتيا على زرع فقال له شنّ اترى هذا الزرع قد اكل ام لا فقال يا جاهل
اما تراه في سنبله فامسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شنّ اترى صاحبها حيّا ام ميتا فقال
له ما رايت اجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حيّا ثم انهما اتصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكان
له بنت تسمّى طبقة فاخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب ولا استفهمك
الا عمّا يستفهم عن مثله اما قوله اتحملني ام احملك فانه اراد اتحدّثني ام احدّثك حتى نقطع الطريق
بالحديث واما قوله اترى هذا الزرع اكل ام لا فانه اراد هل استسلف اهله ثمنه ام لا واما
استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فانه اراد به اخلّف عقبا يحيى ذكره ام لا فلمّا خرج الرجل حدّثه
بتأويل ابنته لكلامه فخطبها اليه فزوّجه اياها وسار بها الى قومه فلمّا خبروا ما فيها من الدهاء
والفطنة قالوا وافق شنّ طبقة فسار قولهم مثلا ويحكى عن الاصمعي انه سئل عن تفسير هذا المثل
فقال الطبق الشنّ وعاء من ادم كان قد اتشنّ فلمّا اتخذ له غطاء وافقه ضرب هذا المثل واما
حذاء وبندقة فانه نوع من المثل المضروب لمن يقرع بعدوّ او يبلى بنظير حذاء حذا وذاك بندقة
وكان في الاصل حذ اتئد باثبات الهاء وحرّم في النداء وقد اختلف في المراد بهما فقيل هو الطائر الخذف
المعروف وبندقة هي بندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة اغارت حذاء وكانت

تنزل

تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرّت بندقة على حذاء فانحت عليهم
وروى بعضهم هذا المثل حذ لغير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم انه اسم القبيلة واما قوله احطات
استكما الحفرة فانه مثل يضرب لمن يخطي في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه واما قوله طلسم وطرسم
فمعنى طلسم كرّه وجهه ومعنى طرسم اطرق وقوله اخرنطم وبرطم اي غضب وقطب وقيل معنى اخرنطم اي غضب
مع تكبّر ومعنى برطم اي غضب مع تعبّس وقوله همهم وغمغم اي لم يبيّن الكلام

المقامة الحادية والاربعون التنّيسيّة

اخبر الحارث بن همّام قال طعت دواعي التصابي في غلواء شبابي فلم ازل
زيرا للغيد واذنا للاغاريد الى ان وافى النذير وولّى العيش النضير فقرمت الى شأو الانتباه وندمت
على ما فرطت في جنب الله ثم اخذت في كسع الهنات بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات عن مغاداة
الغادات الى ملاقاة الثقات وعن معاناة القينات الى مداناة اهل الديانات وآليت الّا اصحب الّا
من نزع عن الغيّ وفاء نشره الى الطيّ وان الفيت من هو خليع الرسن مديل الوسن اثأيت فارّا عن داره
وفررت من عرّه وعاره فلما القتني الغربة بتنّيس واحلّتني مسجدها الانيس رأيت به ذا حلقة ملتحمة
ونظارة مزدحمة وهو يقول بجأش مكين ولسان مبين مسكين ابن آدم وايّ مسكين ركن من الدنيا
الى غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبّها بغير سكّين يكلف بها لغباوته ويكلب عليها
لشقاوته ويعتدّ فيها للمفاخرة ولا يتزوّد منها للآخرة اقسم بمن مرج البحرين ونوّر القمرين ورفع قدر
الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو فكّر فيما قدّم لبكى الدم ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات
ولو نظر في المآل لحسّن قبح الاعمال يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب في اكتناز الذهب وخزن النشب

١٥٤ لذي النسك من البدع العجيب ان يفطك وخط المشيب يؤذن تمسك والمعيب لست ترى ان تنثني
وتهذب المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من رشد شعر يا ويح من انذره شيبه وهو على غي الصبى
منكمش يعشو الى نار الهوى بعدما اصبح من ضعف القوى يرتعش ويمتطي اللهو ويعتده اوطأ
ما يفترش المفترش لم يهب الشيب الذي ما رأى نجومه ذو اللب الا دهش ولا انتهى عما
نهى عنه ولا مال الى عرض خدش فذاك ان مات فسحقا له وان يعش فهو كمن لم يعش لا خير
في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش وحبذا من عرضه طيب يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت يا مسكين او تنتقش فاخلص التوبة تطمس بها من الخطا
السود ما قد نقش وعاشر الناس بخلق رضى ودار من طاش ومن لم يطش ورش جناح الحر ان حصه
فانه لا كان من لم يرش وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن انجاده فاجتهش وانعش اذا ناداك
ذو كبوة عساك في الحشر به تنتعش وها لك كأس النصح فاشرب وجد بفضلة الكأس على من
عطش قال فلما فرغ من مكاته نهض صبي قد شدن ولعري البدن وقال يا ذوي الحصا والنهى
الى الوصاة قد وعيتم الانشاد وفهمتم الارشاد فمن نوى منكم ان يقبل ويصلح المستقبل فليبر
بتحقيق نيته ولا يبعد عني بعطيته فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاوزار ان سري لكما ترون وان
وجهي ليستوجب الصون فاعينوني رزقتم العون قال فاخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب ويسني
له المطلوب حتى انبسط حجره واعشوشب قفره فلما انترع الكيس انصلت يميس ويحمد تيس ولم يحل
للشيخ المقام بعدما انصاع الغلام فاسترفع الايدي للدعاء ثم نحا نحو الانكفاء قال الراوي فاحتثثت

وقضى انشاد ابياته

١٥٥ نجمه واحللت مترجه فتبعته وهو يشتد في سمته ولا يفتو توصيته فلما امن المفاجي وامكن التناجي
لفت جيده الي وسلم تسليم البشاشة علي ثم قال ارأيت ذكاء ذلك الشويدن قلت اي والمؤمن
المهيمن قال انه فتى السروجي ومخرج الدر من اللجج فقلت اشهد انك لشجرة ثمرته وشواظ شرارته
فصدق تفرسي وتحقق ابنه ثم قال هل لك في اتيان البيت لنتنازع كاس الكميت فقلت له
ويحك اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فافتر افترار متضاحك وغير جاحك ثم بدا له
ان لج لي فقال احفظها عني وعلى شعر اصرف بصرف الراح عنك الاسى وروح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به تدفع عنك الهم قلك اتئب ثم قال اما انا فانطلق الى حيث اصطبح
واغتبق واذا كنت لا تصحب فلا اثم من نطيب فلست لي برفيق ولا طريقك لي بطريق فخل سبيلي ودع
ولا تنقر عني ولا تنقب ثم ولى مدبرا ولم يعقب قال الحارث بن همام فالتهبت وجدا لعنده نطالا

ووددت لو له الآفة

المقامة الثانية والاربعون تعرف بالنجرانية

حكى الحارث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومساري الهوى الى ان حضرت كل تربة ولقيت كل غربة الا انني لم اكن
اقطع واديا ولا اشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلي عن الاشجان المغلي قيمة الانسان حتى عرفت لي
هذه الشنشنة وتناقلتها عني الالسنة وصارت اعلق بي من الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل ابي صفرة
فلما القيت الجران بنجران واصطفيت بها الخلان والجيران اتخذت انديتها معتمري وموسم مفاكهتي
وسمري فكنت اتعهدها صباحا ومساء واظهر فيها على ما اسر وساء فبينما انا في ناد محشود وجحفل
مشهود اذ جثم لدينا ذو هم عليه هدم فحيا تحية ملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل

قد بيّن الصبح لذي عينين وناب العيان مناب عدلين فماذا ترون فيما ترون الحسنون العوام ان

اذ تدعون فقالوا له تالله لقد غظت ومتى ان تبط فغضت فناشدهم الله عما اذا صادهم

حتى استوجب ودهم فقالوا انا كنا نتناضل بالالغاز كما يتناضل يوم البراز فما لك ان تثبت من

المنصول فحق هذا الفضل بحط الفضول فلسن القوم وخرّج بائنة اللوح واخذ هو

يتنصل من هفوته ويتندم على فوهته وهم مصغون على مؤاخذته وملحون على منابذته

الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع فعدوا عن اللذع والقذع ثم هلموا الى ان نلغز

ونحكم المبرز فشكر عند ذلك توقدهم وانحلت عقدهم ورضوا بما اشترط عليهم وطمعوا ان

يكونوا اقرانه فامسك ريثما يعقد شسعا او يشد نسعا ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش ولقيتم العيش

وانشد ملغزا في مروحة الخيش شعر

وجارية في سيرها مشمعلة ... ولكن على اثر المسير قفولها

لها سائق من جنسها يستحثها ... على انه في الاحتثاث رسيلها

ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ... ويبدو اذا ولى المصيف محولها

ثم قال وهاكم يا اولي الفضل ومراكز العقل وانشد ملغزا في فاتول النخل شعر

ومنتسب الى ام تنشا ... اصولها بها يعانقه وقد كانت نفته ... ومنها به يتوصل

الجاني ولا يلحى ولا ينهى ثم قال ودونكم الخفية المعالم المعتكرة المظالم وانشد ملغزا في القلم

شعر

ومأموم به عرف الامام ... كما باهت بصحبته الكرام

له اذ يرتوي طيشان صاد ... ويسكن حين تعروه الاوام

ويذري حين يستعدي دموعا ... يرقرق بينها كما يروق الابتسام

ثم قال عليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وانشد ملغزا في الميل شعر

وما ناكح اختين جهرا وخفية ... وليس عليه

في النكاح سبيل متى يغش هذي يغش في الحال هذه ... وان تعل لم تحفل بميل يزيلها عند

المشيب تعمدا وتزداد هذا في العلو فليل ثم قال وهذه يا ذوي الالباب معيار الآداب وانشد

ملغزا في الدولاب شعر

وجار وهو موصول وصول ... لبين الجانبين غريق بارز فاعجب له من ساطف

يسح دموع مهضوم ويهضم هضمة ... ويخشى منه جد ولكن قلبه صاف قال فلما رشق بالخمس التي

نسق قال يا قوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم دابكم وضح الازدياد من الكيل فاستغرى

القوم شهوة الزيادة على ما اشترطوا من البلادة فقالوا زد وقد فزت وزحلك لنفحنا عن امتثال امركم

ذلك فان تممت عشرا فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه وانجح حجه ثم افتتح النطق باسمه

وانشد ملغزا في المروحة

ومسرورة معمورة طول دهرها ... وما هي تدري ما السرور ولا الغم

تقرب احيانا الى الاجل جنينها ... وكم ولد لولاه طلقت الام ... وتبعد احيانا وما ال عهدها ... والعاد من

لم يستحل عهد ظلم اذا قصر الليل استلذ وصالها ... وان طال فالاعراض عن وصلها نعم

لها ملبس اذا انتوى مطن بما يرى ... ولكنها تجدي الحكم ثم كشر عن ناب الصفر وانشد ملغزا في الظفر

وحر هو ابن الشأز لم ... وما يرعى ولا يشرب ... يرى في العشر دون النحر فاسمع وصفه واعجب

ثم تحاذر تحاذر العفريت وانشد ملغزا في طاقة الكبريت

وما محقورة تخشى وتقصى ... ومامنها اذا نكرت بد

لها راسان تشتبها نحدا ... وكل منهما الاخير ضد تغلب ان نهاما

خضا ويلغى اذا عد الخصات ولا تعد ثم تحمحم تحمحم القرم وانشد ملغزا في حلب الكرم

وما شيء اذا افسد تحول غيه رشدا ... وان هو راق وصافا اثار الشر حيث بدا زكي العرق

والدي ولكن بئس ما ولدا ثم اعتضد عصا التسيار وانشد ملغزا في الطيار شعر وذي طيشة شقه

مائل وما عابه بهما عاقل يرى ابدا فوق علية كما يعتلي الملك العادل تساوى لديه الحصى والنضا

وما يستوي الحق والباطل واعجب ما فيه ان نظرت كما ينظر الكيس الفاضل تراضى الخصوم به حاكما

وقد عرفوا انه مائل قال فظلت الافكار بهم في اودية الاوهام وتجول جولان المستهام الى ان طا

ل الامد وحصحص الكمد فلما راهم يتبلدون ولا يسنون ويقدحون ازنادا ما تورى قال يا قوم الام تنظرون

وحتام تنظرون الان لكم استخراج الخبي واستلام الغبي فقالوا له تالله لقد اعوصت ونصبت

الشرك فقنصت فحكم كيف تشاء حز العنز والصيت ففرض عن كل معمى فرضا واستخلصه منهم نقدا

فضا ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال وحاول الاجفال فاعتلق به مقدم القوم وقال له

لا ابتر بعد اليوم فاستبن قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فاطرق حتى قلنا ارتج ثم

انشد والدمع محبب شعر سروج مطلع شمسي وربع لهوي وانسي لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي

واعتضت عنها اغترابا امر يومي وامسي ما لي مقر بارض ولا قرار لعنسي يوما بنجد ويوما بالشام اضحى

وامسي ازجي الزمان بقوت منغص متحس فلا ابيت وعندي فلس ومن لي بفلس ومن يعش مثل عيشي

باع الحيوة ببخس ثم انه اختص خلاصة النقد وبعد صاعدا في الارض فناشدناه ان يعود وسنينا

له الوعود فلا وابيك ما دجع ولا الترغيب فيه نجع

المقامة الثالثة والاربعون وتعرف بالبكرية

اخبر الحارث بن همام قال هفا بي البين المطوح والسير المبرح الى ارض يضل

بها الخريت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحائر الوحيد ورأيت ما كنت منه احيد الا اني

نبهت قلبي المرقود ونصيت نضوي المجهود وسرت سير الضارب بقدحين المستسلم للحين ولم ازل بين

وخد وذميل واجادة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والضيا يحتجب فارتعت لاظلال الظلا

م واقتحام جيش الظلام ولم ادر آكفت الذيل وارتبط ام اعتمد الليل واختبط وبينا انا اقلب العزم

وامخض الحزم تراءى لي شبح جمل مستذر بجبل فرجته فعته مريحا وقصدته قصدا مشيحا فاذا الظن

كهانة والركوبة عيرانة والمريح قد ازدمل ببجاده واكتحل برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه

فلما انعمس سراجاه واحس بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال اخوك ام الذيب فقلت بل خابط ليل

ضل المسلك فاضيء لي قدحك فقال ليسر عنك همك فرب اخ لم تلده امك فانسري عند ذلك

اشفاقي وسرى الوسن الى اماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى ما ارى فقلت

اني لك لاطوع من حذائك واوفق من غذائك فصدع بمدحتي وبجح بصحبتي ثم احتملنا مجدين

وارتحلنا ملجين ولم نزل نعاني السرى ونعاصي الكرى الى ان بلغ الليل غايته ورفع الفجر رايته

فلما اسفر الصبح ولم يتبق الا واضح توسمت رفيق رحلتي وسمير ليلتي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد

ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار

واني لعبير يخبط من الكلال وراحلته ترف في الزال فاعجبني اشتداد اسرها وامتداد صبرها

واخذت استشف جوهرها واسأله من اين تخيرها فقال ان لهذه الناقة خبرا حلو المذاقة مليح

السياقة فان احببت استماعه فانخ وان لم تشا فلا تتعن فانخت لقوله نضوي واهدفت السمع لما

يروي فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت فما زلت اجوب عليها البلدان

واطّس بها الطِّراد إلى أن وجدتها بأعلى سفارٍ وعدّة فرارٍ فلا يلحقها العنا ولا تواهقها الوجنا ولا تدري
ما الهِنا فارصدتُها للخير والشر وأحللتُها محلّ البر والكتر فاتفق أن ندّت منذ مدّة وفاتني سواها عدّة
فاستشعرت الأسف واستشرفت التلف ونُبّيت كل ذي سلف وشكيتُ ثلثًا لا استطيع انبعاثًا
ولا أطعم النوم الا غباثًا ثم أخذت في استقراء المسالك وتفقّد المسارح والمبارك وأنا لا استشفي
بنفسها ريحًا ولا المتغشي بأسارير نجاحًا وكلما ادّكرت مضاءها في السير وابراءها المباراة الطير أعني
الأذكار واستهوتني الأفكار فبينا أنا في حوار بعض الأحياء إذ سمعتُ من شخص متعلٍّ وصوتٍ مجرّد
من ضلّت له مطيّة حضرمية وطيّة جلدها قد وُسم وغرُّها قد حُسم وزمامها قد ضُفر وظهرها
كأن كُسر ثم جُبر تُرتيّن الماشية وتعيّن الناشية وتقطع المسافة النائية وتظل بذلك مدانية لا يعتورها
الوَنا ولا يعترضها الوجا ولا تحوج إلى العصا ولا تعصي فيمن عصا قال أبو زيد فحداني الصوت إلى الصيّا
وبشّرني بلقيا الفايت فلما أفضيت إليه وسلمت عليه قلت له سلّم المطيّة وتسلّم العطيّة فقال
وما مطيّتك غفر الله خطيتك قلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها ملء العلبة
وكنت أعطيت بها عشرين إذ حللت بيبرين فاستزدت الذي أعطي وقد دبّيت منه لخطي قال فأعرض حين
سمع صفتها وقال لست بصاحب لقطتها فأخذت بتلابيبه واصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه
وهو يقول يا هذا ما مطيّتي بطلبتك فاكفف من غربك وعدّ عن سبّك وإلا فقاضني إلى الحكم
هذا الحي البري من الغي فإن أوجبها لك فتسلّم وإن زواها عنك فلا تتكلم فلم أر دواء قصتي ولا
مساغ غصتي الا ان أتى الحكم ولو لكم فانخرطنا إلى الشيخ وكين النصبة أنيق العصبة يونس منه

سکون

سکون

الطائر وإن لبس بالحائر فاندرأت أتظلّم وأتألم وصاحبي جَرِمٌ لا يتزمزم حتى إذا نثلت كنانتي وقضيت
من القصص لُبانتي أبرز نعلًا دنيّة الوزن محذوّة لمسالك الحزن وقال هذه التي عرفت وإيّاها
وصفت فإن كانت هي التي أعطي بها عشرين وها هو من المبصرين فقد كذب في دعواه وكبر ما افتراه
اللهم إلا أن يمعذ له ويبيّن مصداق ما قاله فقال الحكم اللهم غفرا وجعل يقلّب النعل
بطنًا وظهرًا ثم قال أمّا هذه النعل فنعلي وأمّا مطيّتك ففي رحلي فانهض لتسلّم ناقتك وافعل الخير
بحسب طاقتك فقمت وقلت شعر أقسم بالبيت العتيق ذي الحرم والطائفين العاكفين في الحرم
إنك نعم من إليه يحتكم وخير قاضٍ في الأعاريب حكم فاسلم ودم ودُم للنعام والنعم فأجاب
غير رويّة ولا معتقد نيّة وقال شعر جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم إذ لست أستوجب شكرا يلتزم
شرّ الأنام من إذا استقضى ظلم ثم من استرعى فلم يرع الحرم فذاك والكلب سواء في القيم ثم نفذ
بين يديّ من سلّم الناقة إليّ ولم يمتن عليّ فرجعت بجذل الطرب وأقول يا للعجب قال الحارث بن
همام فقلت له تالله لقد أطرفت وهو شبه ما عرفت فأنشدتك الله هل لقيت أسحر منك بلاغة
وأحسن اللفظ صياغة فقال اللهم نعم فاسمع وانعم كنت عزمت حين ابتهت أن أتخذ ظعينة لتكون
لي معينة فحين تعيّن الخطب وكاد الأمر يستتب أفكرت فكر المتحرز من الوهم المتأمل كيف مسقط
السهم وبت ليلتي أناجي قلبي المعنّى وأقلّب العزم المذبذب إلى أن أجمعت على أن أسحر وأشاور
أوّل من أبصر فلما قوّضت الظلمة أطنابها وقلّبت الشهب أذنابها غدوت غدوّ المتعرّف وبكرت
ابتكار المتعيّف فانبرى لي يافع في وجهه شافع فتيمنت بمنظره البهيج واقتدحت زنده في التزويج

فقال وبعينها عوّلتُ أنا الكرّ آتعانى فقلت لخبّرني ما ترى فقد ألقيتُ إليك العُرى فقال إليّ التبيين

وعليك التعيين فاسمع أنا أفديك بعدك من أعاديك أمّا البكر فالدرّة المخزونة والبيضة المكنونة

والثمرة الباكورة والسُّلافة المذخورة والروضة الأُنُف والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنّسها

لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طامث ولها الوجه الحييّ والطرف

الخفيّ واللسان العييّ والقلب النقيّ ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة

والملحة الكاملة والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذي يشبّ ولا يشيب وأمّا الثيّب فالمطيّة المذلّلة

واللهنة المعجّلة والبغية المسهّلة والطبّة المعلّلة والقرينة المتحبّبة والحليلة المتقرّبة والصَّناع

المدبّرة والفطنة المختبرة ثم إنها عُجالة الراكب وأُنشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونُهزة المبارز

عريكتها ليّنة وعُقلتها هيّنة ودخلتها مبيّنة وخدمتها مزيّنة وأقسم لقد صدقتُ في النعتين

وأجليت لك ما بين الفنّين فأيّهما هام قلبك وعلى أيّهما قام ذلك قال أبو زيد فرأيته جذلة تنقّها

المراجم وقد حجبها المحاجم إلا أني قلت له سمعتُ أن البكر أشدّ حبًّا وأقلّ خبًّا فقال العمري قد قيل

ولكن كم من قول ذي ويحك أما هي المهرة الأبيّة العنان والمطيّة البطيئة الإذعان والزندة

المتعسّرة الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم إن مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة

وعِشرتها صلفة ودالّتها مكلّفة ويدها خرقاء وفتنتها صمّاء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء

وفي رياضتها عناء وعلى خبرتها غطاء فطالما أخزت المنازل وفركت المغازل وأحفظت الملاطف

وأعيت الفنيق البازل ثم إنها التي تقول أنا ألبس وأجلس واطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما

ما ترى في الثيّب يا أبا الطيّب قال ويحك أترغب في فضالة المآكل وثمالة المناهل واللباس المستبذل

والوعاء المستعمل والذوّاقة المتطرّفة والخرّاجة المتصرّفة والوقاح المتسلّطة والمحتكرة المتسخّطة

ثم كلمتها كنتُ وصرتُ وطالما بُغي عليّ فانتصرتُ وشتّان ما بين اليوم والأمس وأين القمر من الشمس

وإن كانت حنّانة بروكًا وطمّاحة هلوكًا فهي الغُلّ القَمِل والجرح الذي لا يندمل فقلت له فهل

ترى أن أترهّب وأسلك هذا المذهب فانتهرني انتهار الموقّع عند ذلّة المتأدّب ثم قال ويحك

أتقتدي بالرهبان وقد استنار الحقّ ولهوان رأيك وتبًّا لك ولأوّليك أتراك ما

سمعت بأن لا رهبانية في الإسلام ولا حدّثت بمناكح نبيّك عليه أفضل السلام ثم أما تعلم

أن القرينة الصالحة تربّ بيتك وتلبّي صوتك وتغضّ طرفك وتطيّب عَرفك وبها ترى قرّة

عينك وريحانة أنفك وفرحة قلبك وخلد ذكرك وتعلّة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنن

المرسلين ومتعة المتأهّلين وشرعة المحصنين وجلبة المال والبنين والله لقد ساءني فيك

ما سمعت فيك ثم أعرض إعراض المغضب ونزا نزوان العنظب فقلت له قاتلك الله أتنطق

متخيّرًا أو تدعي متحيّرًا فقال المثل تدعي الحيرة لتجلب عيره وتستغني عن المهرة فقلت له قبّح الله

ظنّك ولا أشقر لك ثم هجرته هجر الخرفان وفررت من مشاورة الصبيان قال الحارث بن

همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك أن الحكم منك وإليك فأغرب في الضحك وطرب طربة المنهمك

ثم قال العسل ولا تسل فأخذت أسهب في مدح الأدب وأفضّل ربّه على ذي النشب وهو ينظر إليّ

نظر المستجهل ويغضي عنّي إغضاء المتمهّل فلما أسرفت في العصبيّة للعصبة الأدبيّة قال لي صه

واسمع مني ابياتا:

يقولون ان جمال الفتى وزينته ادب راسخ وما ان يزين سوى المكثرين
ومن طود سودده شامخ فاما الفقير فخير له من الادب القرص والكامخ واي جمال له ان يقال
اديب معلم او ناسخ ثم قال سيتضح لك صدق لهجتي واستنارة حجتي وسرنا لا نالوا جهدا ولا نستفيق
جهدا حتى اذا اسرى الى قرية عزب عنها الخير فجعلناها للارتياد وكلانا منفض من الزاد فما فقر
ان بلغنا المحط والمناخ المختط اذ لقينا غلاما يسلخ الحبث وعلى عاتقه ضغث فحياه ابو زيد تحية
المسلم وساله وقفة المتفهم فقال وعم تسأل وفقك الله قال ايباع ههنا الرطب بالخطب قال لا
والله ولا البلح بالملح قال ولا الثمر بالسمر قال كلا والله قال ولا العصائد بالقصائد
قال اسكت عافاك الله قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال اين يذهب بك ارشدك الله قال
ولا الثرائد بالفرائد قال عد عن هذا اصلحك الله فاستحلى ابو زيد تراجع السؤال والجواب والتكافي
من هذا الجواب ولمح الغلام انه قد اتنوخ وانتحى شويطين فقال له حسبك يا شيخ فقد عرفت
فنك واستبنت انك تحدث الحواصرة واكتفي حتى اما هذا المكان فلا تشترى الشعر بشعيرة
ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة ولا حكم لقمان بلقمة ولا الملاحم
بلحمة واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يميح اذا صيغ له المديح ولا من يجيز اذا انشد له الاراجيز
ولا من يغيث اذا اطربه الحديث ولا من يمير ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع المحيل
وان لم تحل الربع ديمة لم تكن له قيمة ولا لابياته قيمة وكذا الاديب ان لم يعضده نشب فلفظه
نصب وحرفه حصب ثم انشد بعد وودع وقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب قد بار

وولت انصاره الادبا تغوث لمحض التصبر وملت تحكم التصرف فقال دعنا الان من المصانع
وخذ في حديث المصارع واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع فما التدبير فيما يمسك الرمق ويطفئ
الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك قال ادى ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك
فناولنيه واقم لانقلب اليك بما نلتهم فاحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فما لبث ان
ركب الناقة ورفض الصدق والصداقة فمكثت مليا ارتقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن
ضيع اللبن في الصيف لم الفه ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون تعرف باللغزية

حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم
وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها معموم وغيمها مركوم وانا فيها
اصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم ازل انص عنسي واقول لهوى لك ولنفسي الى ان تبصر الموقد
الى وسمني ادابي فاحتدى بعد والحمى وينشد بحر اشعر حيث من خابط ليل بادهذا
بل اهداه ضوء النار الى رحيب الباع رحب الدار مرحبا بالطارق والمنتاب ترحاب جعد الكف
ربا الدنيا ليس بمزور عن الزوار ولا بمعتام لقرى يجار اذا اقشعرت الاقطار وضنت
الانواء بالامطار فهو على بؤس الزمان الصادي جم الرماد مرهف الشفار لم يحل فصيل ولا اهاب
من يجر وارد فاقبل جوار ثم تلقاني بجبابي وصافحني بلطف التحي واقتادني الى بيت عشائه
تحوز ولعشاته تفور وولائده تمور وموائده تدور وبا اكنافه اضياف قد جلبهم جالب
فوالبه وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويمرحون مرح ذوي الفتاء واختلف طهاتهم في الاصطلاء وقد

بهم وجد الثمل بالطلاء ولما ان سرى الحصر وانسر الحصر اتينا بموائد كانها الاثن دودًا والروضنا ١٥٦

نورًا وقد شحن بالطعمة الولائم وحمين من العائب واللائم فرفضنا ما قيل في البطنة ودأينا

الامعان فيها من الفطنة حتى اذا اكلنا بصاع الحطم واشفقنا على خطر التخم تعاودنا مشوش

الغمر ثم تبوأنا مقاعد السمر واخذ كل منا يتول بلسانا وينشر في صوانه ما عد اشيخا مشتهيا

فوداه مخلولقا برداه فانبرى بنص محرة واوسعنا هجره فخاطنا بحنبه الملتبس موجه العقد

فيه مؤنبه الا انا النائل القول وحيثنا في لسبلة العول وكلما رمنا ان نفض كما فضضنا

او نفيض فيما افضنا اعرض اعراض العلية عن الادنين وقال ان هذا الا اساطير الاولين ثم كان

هاجه والنفس الابية ناجه فدلف فاندلف وخلع الصلف وبدا ان يتلافى ما سلف ثم

يسمع السامر وانتهمر كالسيل الهامر وقال عندي اعاجيب ارويها بلا كذب عن العيان فكونوا ذاما

العجب رايت يا قوم اقوامًا غذاؤهم بول العجوز وما لحي انبة العنب بول العجوز لبن البقرة

والعجوز ايضًا من الحمر ومستين من الاعراق هم ان يشتو واخرقة تغني من السغب الحرقة القطعة

من الجراد وكاتبين وما خطت انامله حرفًا ولا قرؤا ما خط في الكتب الكاتبون الخرازون

كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما وكتب البغلة والناقة اذا جمع بين شفريها فخاطهما وانشد

لا امنن فوادنا خاوته على قلوص واكبتها بامتنا وتابعين عقابا في مسيرهم على تكثبهم في

البيض والليل العقاب الراية وكانت راية النبي تسمى العقاب ومنذ بن ذوي نبل تبدطهم

بنبلة فانثوا منها الى الهرب النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات واروح وعصبة

لم

لم تر البيت العتيق وقد حجت جثيا بلا شك على الركب معنى حجت جثيا اي غلبت بالحجة مجادلين جا ١٥٧

على الركب وجثي جمع جاث وشوه بينا الحرن من حلب صحن كاظمة من غير ما تعب كاظمة في هذا الموضع

كاظمة الغيظ وملحين سروا من ارض كاظمة واصبحوا حين لاح الصبح في حلب اي اصبحوا يحلبون اللبن

وقادرين متى ما شاء صنعهم او قصروا فيه قالوا الذنب للحطب القادر الطابخ والقدير المطبوخ

في القدر وبا قيال بلا اسر قط غانية شاهدتها ولم تسل من العقب الياقع الذي قد ترعرع

وناهز البلوغ والنسل هيهنا العدو ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم

وشايبا غير مخف للمشيب في المكلفه التي لم تشب الشايب هيهنا مازج اللبن والمشيب

اللبن الممزوج وبعقبه مشوب وشايب ومرضعا بلبان لم يفه فمه وانه في شجار بين التشب

الشجار المحفة فالم تكن مظلة فان ظللت فهي الهودج والسبب هيهنا الحبل ومنه قوله تعالى

فليمدد بسبب الى السماء وذا بعاذرة حتى اذا حصلت صادت غبيراء يهواها اخو الطرب الغبيراء

السكر المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم وتسمى ايضًا السكركة ووكضا

وهو مغلول على فرس قد غل ايضًا وما ينفك من جنب المغلول هيهنا العطشان وغل اي عطش

وذا يد طلق يقتاد راحلة مستعجلا وهو ماسور اخو كرب الماسور الذي يجد الاسر وهو احتباس

البول وحاليا ماشيا تهوي مطيته به وما في الذي اوردت من ريب الحالي الاخذ حليا والماشي

الذي كثرت ماشيته وفسر قوله تعالى ان امشوا كانه دعا لهم بالنماء وكثرة الماشية وحاكيا بعضهم

اجذم الكفين ذا خرس فان عجبتم فكم في الخلق من عجب الحائك الذي اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين

١٦٨ دكبتيه وصادعًا بالقنا من غير ان علقت كفاه يومًا برمح لا ولم يثب القنا ارتفاع

الانف مع تحلب وسطه وصلع به اى كشفه وساعيًا فى مسرة الانام بل اوقعهم مأثمًا كالظلم

والكذب اوراحهم اثقالهم بالدين ومنه قوله لا يترك فى الاسلام مفرح اى مثقل بالدين يعجز

الا يقضى عنه من بيت المسلمين والساعى الجابى للزكوة ومغرمًا بما جاءت الرجال له وما له فى

حيث الخلق من ادب الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين وذا اشطاط

كصدر الرمح قامته صادي يمينه يشكو من الحزن الحزن ما ارتفع من الارض وذا دمام وفتًى لعهد

ذمته ولا ذمام له فى مذهب العرب الذمام الاول العهد والثانى جمع ذمة وهى البئر القليلة الما

وعنى بالمذهب المسلك اى ما له بالبذ فانه قليلة الما وذا قوى ما استبانت قط لينه

ولينه مستبين غير محجب اللين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة وماجد اوفى

فحل غير مكترث بما اتى بل يراه افضل القرب الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل وعاذرًا مولما

من ظل يعذبهم مع التلطف المعذور فى صحب العاذر الخاتن والمعذور المختون وبلدة ما بها

ماء المعترف والماء يجرى عليها يجرى منسربًا البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضًا البلجة وقرية

دون افحوص القطا شحنت بديلم عيشهم من حلبة الثلب القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير

وكوكب بسواد عند رؤيته الانسان تحتجب فى افق الحجب الكوكب النكتة البيضا التى تحدث

فى العين والانسان ههنا انسان العين وروضة قومت الا انه خطر ونفس صاحبها بالمال

لو نطب الروثة مقدم الانف وصفحة من نضار خالص شربت بعد الكاس بقيراط من الذ

البضا

النضار ههنا شجر النبع ومنه قول ابرهيم النخعى لا باس بان يشرب فى قدح النضار ومستجيشًا بخشخاشات ١٦٩

ليدفع ما اظله من عاديه فلم يخبر الخشخاش الجماعة عليهم دروع والجبة وظالمًا تركى كلب فى فمه

ثور ولكنه ثور بلا ذنب الثور القطعة من الاقط وكم رأى ناظر فيلًا على جمل وقد توركه

فوق الرحل والقتب الفيل الرجل الفايل الراى وعاينت مقلتى عينين فوقهما يجرى من الغرب

العينان فى حلب العينين المقلتان والغرب مجرى الدمع وكم لقيت بعرض البيد مشتكيًا وما

اشتكى قط فى جد ولا لعب المشتكى المتخذ شكوة وهى القربة الصغيرة وكنت ابصر كرازًا الحية

بالدو ينظر من عينين كالشهب الكراز الكبش يحمل عليه الراعى اداته وكم نزلت بارض لا اخيلة

بها فبعد يوم رأيت البسر فى قلب البسر جمع بسرة وهى الماء الحدث العهد بالمطر والقلب جمع قليب

وكم رأيت باقطار الفلا طبقًا يطير فى الجو منصبًا الى صبب الطبق القطعة من الجراد وكم

مشايخ فى الدنيا رأيتهم مخلدين ومن يخو من العطب المخلد الذى ابطا شيبه وكم بدا لى وحش

يشتكى سغبًا بمنطق ولو امضى من القضب الوحش الرجل الجايع وكم دعا مستنبى فجاوبنى وما

اخل ولا اخللت بالادب المستنبى الجالس على نجوة وهى المكان المرتفع الذى تظن انه يجاوبك

وكم انخت فلو اصحبت جنبة تظل ماشئت من عرب ومن عرب الجنبة القبة والعرب جمع عروب

وهى المتحببة الى زوجها وكم نظرت الى من سر ساعقبه وجمعه مستحل القطر كالسحب سر اى قطع

سرره وسرر وسمى ما يبقى بعد القطع السر وكم رأيت قميصًا ضر صاحبه حتى انثنى واهى الاضلاع

والعصب القميص بداية الكثيرة القماص وكم ازار لوان الدهر اتلفه لجف لبد حيث الشعر

مضطرب الأزار وههنا المرأة ومنه قول الشاعر فذلك من نحى ثقة ازاري وقيل عنى بالازار نفسه ١٧٠
هذا وكم من فائت معجبة عندكم من ملح اللغو ومن نخب فإن فطنتم للحن القول فإن لكم صدق في
ذلكم طلحي على دطبي وإن شذ عنكم فإن العار فيه على من لا يميز بين العود والخشب قال الحارث
بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه وتأويل معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول ليس
بعشك فادرجي الى ان تعسر النتاج واستحكم الارتتاج فألقينا اليه المقادة وخطبنا منه الافادة فتو
بين الطمع واليأس وقال الايناس قبل الابساس فعلمنا انه ممن يرغب في الشكم ويرشى في الحكم وشا
ابا مثوانا ان نعرض للغرم او نخيب بالرغم فاحضر ناقة عيدية وحلة سعيدية وقال لنا خذها حلالا
ولا تؤذن اضيافك بالايفاد فقال اشهد انها شنشنة اخزمية واريحية حاتمية ثم قابلنا بوجه بشره
يشف ونضره يرف وقال يا قوم ان الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد
ولصة الرافد تستريحوا نشاطا وتبعثوا انشاطا فافعلوا ما اقترح وتسهل لكم المتعسر فاستصوبنا كل ما را
وتوسد وسادة كراه فلما وسنت الاجفان واغتمض الضيفان وثب الى الناقة فرحلها ثم اقتعدها
وحثها وقال مخاطبا لها سرحي يا ناق فسيري وجدي وادلجي وادي واستقلي حتى تطأ
حزاها النجدي فتغمي خيشة وتسعل وتأمني ان تهيجي وتخلي ايه فدتك النوق هلم وجدي
وافري اديم فدفد ففدفد واقتنعي بالنشح عند المورد ولا تحطي دون ذلك المقصد فقد
حلفت حلفة المجتهد بحرمة البيت الرفيع العمد انك اذا احللتني في بلد حللت مني محل الولد
قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع انباع واذا ملأ الصاع انصاع ولما انبلج صباح اليوم وهب

النوم

١٧١ النوام من النوم علمهم ان الشيخ حين لغشاهم السبات طلقهم البتات وركب الناقة وفات فاخذهم
ما قدم وحدث ونسوا ما طاب منه بما خبث ثم انشعبنا في كل مشعب ونهبنا تحت كل كوكب قال ابو
الشيخ الامام الاوحد ابو محمد رحمه الله قد فسرت سر كل لغز بحجته ولم ابعد على من يقراه كشفه وقد بقيت
الفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع لديه فاحببت ايضاحها
له ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسألة وبالله تعالى الاستعانة والقوة
قوله عشوت الى نار يعني تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا اي ومن يعرض وقوله وكنت اصرد من عين الحرباء والعنز
الجرباء هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لان الحرباء تدور مع الشمس ابدا وتستقبلها
بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله ما بالها قد حسنت ورقيبها ابدا قبيح
الرقباء ما ذاك الا انها شمس الضحى ابدا يكون رقيبها الحرباء والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة
شعرها وذكر بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف المثل الاول وقوله مخرواد يعني الجمل المكتنز شحما
الكثير لحما وقوله عشار محور ولعشار تقول العشار النوق الحوامل واحدتها عشراء وهي التي
قد اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع والاعشار البرمة
العظيمة كانها شعبت لعظمها بقدر عشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرد اخلاق وحبل
اذمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد وقوله فاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول
بعض المحدثين النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل الفواكه شاتيا فليصطل ان الفواكه في الشتاء

شهية والنار للمقرور افضل مأكل وقوله موايل كالهالات يعني دارات القمر وواحدها هالة وداة الشمس تسمى الطفادة مأخوذ من طفى اذا علا ومنه سمك طاف وقوله مشوش الغمر يعني المنديل يوم شربه مسحها بالمنديل اي مسحها ومنه قول امرء القيس نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب وقوله مشتهبا فوداه اي صار من الشيب في لون الاشهب ومنه قول امرء القيس ايضا قالت الحسناء لما جئتها شاب بعدي فود هذا واشتهب وقوله ربض حجرة يعني ناحية وبه في المثل لمن يشارك في الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة وقوله فاستر عي سمع السامر يعني السمار لان السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا اكلمه القمر والسمر وقوله ليس بعشك فادرجي هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له واصل العش ما يكون في شجرة فان كان في حائط او كهف جبل فهو وكر وقوله الايناس قبل الابساس هذا مثل ومعناه انه ينبغي ان يونس الانسان ثم يكلف واصله ان حالب الناقة يونسها حين يريد حلبها ثم يبس بها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن وتدر واذا كانت الناقة تدر على الابساس سميت البسوس وقوله يرغب في اشكم الشكم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اعطيت مبتدئا فهو الشكد ومنه قول الراجز شكمي عتيد وكذاك شكدي للخير والشر معا عندي كالارض مهما استودعت تؤدي وقوله سا ابا مثواه يعني المضيف لانه اوى اليه وثوى لديه وقوله قد تم

عيدية

عيدية قيل هي منسوبة الى فحل منجب اسمه عيد وقيل بل هي منسوبة الى فحلين من مهرة يقال لهم بنو عيد ابن الامري على وزن العامري وكانت مهرة وعيد يتخذان نجائب الابل فنسبتا اليهما وقوله حلة سعيدية هي منسوبة الى سعد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه وقوله لا ترزء اصبعا في بالاداي لا ترزاهم شيئا ولو قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها وقوله شنشنة اخزمية اشار به الى المثل الذي ضرب به جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم الطائي نشا حاتم وتقيل اخلاق جده اخزم في الجود فقال شنشنة اعرفها من اخزم وقيل عقيل بن علفة بن حين قال ان بني ضرجوني بالدم من يلق اساد الرجال يكلم شنشنة اعرفها من اخزم ومن بكر اذا ويدي يقوم ومن ادعى ان هذا المثل له فقد وهم وسهى فيه وقوله هيذاي في الدهناء ومثله اخروط وقوله وثب الى الناقة فرحلها يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لانها فاعلة بمعنى مفعول كقوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية وكقوله سبحانه من ماء دافق اي مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية وعلامة وقوله ارتحلها اي ركبها وفي الحديث ان النبي سجد فركبه الحسن فابطا في سجوده فلما قضى صلاته ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله وقوله وحملها اي ازعجها واشخصها واخذ بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن تحل الناس الى المحشر تقيل معهم حيث قالوا وتبيت حيث باتوا وقوله وادلج والدلجة والادلاج ان يسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان يسير من اخره والاسم منه الدلجة بضم الدال وقيل ان الدلجة بفتح الدال وضمها بمعنى والتاويب

النهار وحده والأسئاد أن يسير ليلا ونهارا والتشرف أن تشرب دون الري وقوله فاخذهم ما قدم
منه وما حدث يعني ذلك لمن يستولي عليه الهم والدال من حدث يضم في هذا الموضع وحده لتوافق لفظها
لفظ قدم فإن أفرد وجب فتح الدال منها ومثله قولهم هنأ ومرى بحذف الألف من مرى إذا
ذكر مع هنأ فإن أفرد وجب أن تقول أمرأني الشيء وكذلك يقولون رجس نجس فيكسرون النون من
نجس ويسكنون الجيم منه ليزاوج لفظة رجس فإن أفرد قلت نجس بفتح النون والجيم كما قال تعالى
إنما المشركون نجس وقوله ذهبنا تحت كل كوكب هذا المثل يضرب لمن يختلف في السفر طرقهم وتتباين

سبلهم

المقامة الخامسة والأربعون وتعرف بالرملية

حكى الحارث بن همام
قال كنت أخذت عن أولي التجارب أن السفر مرآة الأعاجيب فلم أزل أجوب كل تنوفة وأقتحم كل مخوفة
حتى اجتليت كل أطروفة فمن أحسن ما لمحته وأغرب ما استملحته أني حضرت قاضي الرملة وكان من أولي
الدولة والصولة وقد ترافع إليه بال في بال وذات جمال في أسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان
المرام فسفعته الفتاة من الإفصاح وهمست عن النباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح وأنشدت
بلسان السلاطة والوقاح يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمرة والجمرة إليك أشكو جور بعلي
الذي لم يحج البيت سوى مرة وليته لما قضى نسكه وخف ظهرا إذ رمى الجمرة كان على رأي أبي
يوسف في وصلة الحجة بالعمرة هذا على أني مذ زففت إليه لم تعص له أمرة أما الفقر خلوة
ترضى وأما فقرة مرة من قبل أن أخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ إذ مرة فقال له القاضي قد
سمعت ما عزته إليك وتوعدتك عليه فجانب ما عرك وحاذر أن تعرك وتعرك فجثى الشيخ على

ثفنانه

ثفنانه وفجر ينبوع نفثاته وقال
اسمع عداك الذم قول امرئ يوضح فيما ادعاه عذره والله ما
أعرضت عنها قلى ولا هوى قلبي قضى نذره وإنما الدهر عدا صرفه فابتزنا اللبدة والبدرة فمنزلي
قفر كما جيدها عطل من الجزعة والشذرة وكنت من قبل أرى في الطوى وبينه دأبي علذة فمذ
نبا بي الدهر هجرت الدمى هجران عف خاف حذره وملت عن حرثي لا رغبة عنه ولكن أتقي بذره
فلا تلم من هذه حاله واعطف عليه واحتمل هذره قال فالتظت المرأة من مقاله وانتضت الحجة لجداله
وقالت له ويلك يا مرقعان يا من هو طعام ولا طعان أتضيق بالولد ذرعا ولكل أكولة مرعى
لقد ضل فهمك وأخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك فقال لها القاضي أما إنك
لو جادلت الخنساء لانثنت عنك خرساء وأما هو فإن كان صدق في زعمه ودعوى عدمه
فله في هم عقبه ما يشغل عن ذربه فأطرقت تنظر ازورارا ولا ترجع حوارا حتى قلنا قد لجمها
الخفر وحاق بها الظفر فقال لها الشيخ تعسا للبنان زخرفت وكتمت ما عرفت فقالت ويحك
وهل بعد المنافرة كتم أو بقي لنا على سر ختم وما فينا إلا من صدق وهل صوّا نطق فليتنا
لاقينا البكم ولم نلق الحكم ثم إنها تلفعت بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من
خطبهما ويعجب في ملوم لهما الدهر ويؤنب ثم أحضر من الورق ألفين وقال ارضيا بهما الأحوفين
وغاضيا النزاع بين الألفين فشكراه على حسن السراح وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضي
بعد سراحهما وتناسي شجحهما يثني على أدبيهما ويقول هل من عارف بهما فقال له عين أعوانه
فخالصته خلصة الشيخ فالسروجي المشهود بفضله وأما المرأة فقعيدة رحله وأما انتحاؤهما

فكيف ترى من فضله وحوله من حبائل ختله فاحفظ القاضي ما سمع وتلهب كيف خلع ثم قال للواشي

بهما قم فردهما ثم اقصدهما وصِلهما فنهض ينفض مذرويه ثم عاد يضرب أصدريه فقال له القاضي

أظهر ما على ما ثبت ولا تخف ما استخبث فقال ما زلت أستقري الطرق وأستفتح الغلق إلى

أن أدركتهما مصحرين وقد فاتا مطي البين فرغبتهما في العلل وكفلت لهما بنيل الأمل فأشرب قلب

الشيخ أن ييأس وقال الفتى بغرب أكيس وقالت هي بل العود أحمد والفرقة نكد فلما تبين الشيخ

سفه رأيهما وعز اجترائهما أسلمني لأذاهما ثم أنشأ يقول لها   دونك نصحي فاقتفي سبله ولغي

عن التفصيل بالجملة صرحي بتعرب عن نحلة   وطلقيها بتة بتلة وعادي العواذل بها ولو سلها

ناطورها الأبله فخير ما للص الأريب بقعة فيها الدغلة ثم قال لي لقد عنيت فيهما ولست فاجع

من حيث جئت وقل لمرملك إن شئت   دونك لا تعقب حملك الأذى فضحي وشمل البات

والحبل منصدع ولا تغضب من تزيد ما أمل فما هو في صوغ اللسان ممتنع وإن تك قد سا

منك خديعة فمثلك شيخ الأشعريين قد خدع فقال القاضي قاتل الله فما أحسن تنحو وأملح فنو

ثم إنه أصحب داعيه بردين وصرة من العين وقال سر بسير من لا يرى إلا انبتاتا إلى أن ترى الشيخ و

الفتاة فبل يديهما بهذا الحباء وبين لهما الخداعي للأدباء قال الراوي فلم أر في الأعراب كهذا العجا

ولا سمعت بمثله ممن جال فيها

المقامة السادسة والأربعون وتعرف بالحلبية

حدث الحارث بن همام قال نزع بي إلى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف

الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت نحوها خفوق الطير ولما أن حللت ربعها

وادرعت بسبعها آفات الأيام فيما يشفي الغرام ويروي الأوام إلى أن قصر القلب عن ولوعه و

استطار عزم البين بعد وقوعه فاعتراني البال الخلو والمرح الحلو بأن أقصد حمص لأصطاف

ببقعتها وأستبرد فاعترا أهل رقعتها فأسرعت إليها إسراع النجم إذا انقض للرجم فحين خيمت

برسومها ووجدت روح نسيمها لمح طرفي شيخا قد أقبل هرمه وأدبر عرمه وعنده عشرة صبيان

صنوان وغير صنوان فطاوعني قصد الحرص لأخبر بدائه أحمص فنشي حين وافيته وحيا

بأحسن مما حييته فجلست إليه لأبلو جنى نطقه وأكتنه كنه حمقه فأشار بعصاته

إلى أكبر أصيبيته فقال له أنشد الأبيات العواطل وإياك أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد

من غير ريث   أعدد لحسادك حد السلاح   وأورد الآمل ورد السماح   وصارم اللهو ووصل

المها   وأعمل الكوم وسمر الرماح   واسع لإدراك محل سما   عماده لا لادراع المراح   والله ما السؤدد

حسو الطلا   ولا مراد الحمد رود رداح   واها لحر صدره واسع   وهمه ما سر أهل الصلاح مورد

حلو لسؤاله   وماله ما ساءلوه مطاح   ما أسمع الآمل ردا ولا   ماطله والمطل لؤم صراح

ولا أطاع اللهو لما دعا   ولا كسا راحا له كأس راح   سوده إصلاحه سره   وردعه أهواءه وهو

الطماح   وحصل المدح له علمه   ما هم والعود مهود الصحاح   فقال له أحسنت يا بدر يا رأس الدويرة

ثم قال للملوح المشتبه بصنوه ادن يا نوير يا قمر الدويرة فدنا ولم يتباطأ حتى حل منه مقعد المناجي

فقال له أجل الأبيات العرائس وإن لم يكن نفائس فتناول القلم وقط ثم اتجر اللوح وخط   فتنتني

فجننتني تجني   بتجن يفتن غب تجني   شغفتني بجفن ظبي غضيض   غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزينتين فشفتني بزي يشف بزين شني فظننت تجنيني فجزيتني بنفث يشفي فخيبت ظني

ثبتت في غش خبير بين جنيت بغي تشقي ضغني ضرت في تجنيني فشبتني بنشيج يشجي بغني

ففن فلما نظر الشيخ الى ما حبره وتصفح ما دبره قال له بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا

ثم هتف اقرب يا قطرب فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية او تمثال دمية فقال له ادرج الابيات

الاخياف وتجنب الخلاف فاخذ القلم ورقم اسمح فبث السماح زين ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال فنن امرٍ في السؤال خفف ولا تظن الدهر يبقي مال الضنين ولو

تقشف واحلم فخفض الكرام تغضي وصدهم في العطا تعفف ولا تخن عهد ذي وداد

يثبت ولا تبغ ما تزيف فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا غشمشم يا عطر

منشم فلباه غلام كدرة غواص وجوذر قناص فقال له اكتب الابيات المتائيم ولا تكن من

المشائيم فتناول القلم المثقف من غير ان يتوقف وكتب ولم يتوقف زينت زينب بقد

يقد وتلاه ويلاه نهد يهد جندها جيدها وظرف وطرف ناعس ناعش يخلب بجد وقدها

قدنها وتاهت فاهت ولعبدت ولغت تجل نجد فارقتني فارقتني وشطت سطت

ثم لم تجد وجد فتنت فذبت وحنت وجنت معضنا مغضبا بودي بود فطفق الشيخ

يتأمل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح ضبطه قال له لا شلت عشرك ولا

استحسنت بشرك ثم هاب بفتى فتان يسفر عن زهر بستان فقال له انشد البيتين المطرفين

المشتبهي الطرفين اللذين سكنا فانقوا وامنا ان يعززا بثالث فقال له اسمع لا وقر

سمعك

179 سمعك ولا هرم جمعك وانشد من غير تلبث ولا تريث بسم سمة تحسن آثارها واشكر لمن

اعطى ولو سمسمة والمكر مهما اسطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمة فقال له احسنت يا

غلول يا ابا الغلول ثم نادى اوضح يا ياسين يا اشكل من ذوات السين فنهض ولم يتأن وانشد

بصوت اغن نقش الدرهم ونسخ الكف منتسبة سيباهما ان اخطا وان درسا فهكذا الشيز

في قسب يا سقة والسخ والنحس واقسر واقتبس قبسا في تقنست الليل الكلام وفي مسيطر

وشموس والتخلجسا وفي قربس فيرد قادس فخذ الصواب مني وكن للعلم مقتبسا فقال له

هذا احسنت يا نغش يا صاحب الجيش ثم قال ثب يا عنبسة فبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل

بقرب الرمشاد ثم انشد من غير عشاد بالصاد تكتب قد قصت دواهما يا آملي واصخ لتسمع الخبر وبصقت

ابصق والصماخ وصيخة والقص فهو الصدر واقتص الاثر وتحصصت مقلته وهذه فرصته

وقد أرعلمنا الفريصة للجزور وقصرت هندا اي حبست وقد دنا فصح النصارى وهو عيد

منتظر وقرصته والحمر قارصة اذا حذيت اللسان وكل هذا مستطر فقال له رعيا لك فانك

لقد اقررت عيني ثم استنهض ذا حجة كالبيذق ونخشه كالسوذق وامره ان يقف بالمرصاد

وتميز ما اجري على السين والصاد فنهض ليجيب رديه ثم انشد مشيرا بيديه ان شئت بالسين

فاكتب ما ابنيه وان تشأ فهو بالصاد يكتب مغص وفقس ومسطار وملس وسالغ و

سراط الحق والسقب المغص الوجع المعترض في الجوف وهو مسكن الغين والفقس فقس البيضة

والمسطار الخمرة المزة ويقال لها المسطارة ايضا والملس الذي يسقط من يدك ولا تشعر به

الى اسنان ذوات الظلف والسقب القرب والشامغان وصقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا
تفصح الكتب الشامغان جانب الفم والمسلاق الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد
فقال له الصنت يا حيقة يا عين بقه ثم نادى يا دغفل يا ابا دغفل فلباه فتى احسن من بيضة في
روضة فقال له ما عقد هجا الافعال التي اخرها حرف اعتلال فقال له اسمع لا صم صداك ولا
سمعت عداك ثم انشد معا استرشد اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه فالحق به تاء الخطاب ولا
تقف فان كان قبل التاء تاء فكتبه بياء والا فهو يكتب بالالف ولا تحسب الفعل الثلاثي
والذي تعداه والمهموز في ذلك يختلف فطرب الشيخ لما اداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقاع يا
بافعة البقاع فاقبل فتى احسن من نار القرى في عين ابن السرى فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد
لتصدع اكباد الاضداد فاهتز لقوله واهتش ثم انشد بصوت اجش ايها السائل عن الضاد
والظا لكيلا تضله الالفاظ ان حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي الظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبي واللحاظ والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل
واللظى والشواظ والظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ والحظى والنظر
والظئر والجاحظ والناظرون والايقاظ والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا
والشظاظ والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ والحظيرات والمظنة والظنة
والكاظمون والمغتاظ والوظيف والمواظب والكظة والانتظار والالظاظ والوظائف
الوقظ ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والاغلاظ الوظيف ما فوق الرسغ ونظيف

والظرف

والظرف والظلف والظاهر ثم الفظيع والوعاظ وعكاظ والظعن والملظ والحنظل والقارظان
والاوشاظ الملظ دفان البر والقارظ جاني القرظ وهو نبات يدبغ به وسوق عكاظ معروف
والاوشاظ الجماعات والاخلاط وظراب الظران والشظف الباهظ والجعظري والجواظ
الظراب الربى الصغار واحدها ظرب والظران الحجارة المحددة واحدها ظرر والشظف البؤس
وسوء العيش والجعظري المنتفخ بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الاكول المختال والظرابين
والحناظب والعنظب ثم الظيان والارعاظ الظرابين جمع ظربان وهي دابة لا يطاق فسوها ويجمع
ايضا على ظرابي بحذف النون وعلى ظربى وهو جمع شاذ والحناظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر الجراد
والظيان ياسمين البر والارعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم والشناظي والدلظ
والظاب والظبظاب والعنظوان والجعظاظ الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظاب الصخب
وقد تبدل الباء منه ميما وقيل ان الظاب والظام اسما لسلف الرجل والعنظوان نبت والظبظاب
الداء وما به ظبظاب كما يقال ما به قلبة والجعظاظ الاحمق وقيل انه المتسخط عند الطعام والشناظير
والتعاظل والعظلم والبظر بعد الانعاظ الشناظير جمع شنظير وهو السيء الخلق والتعاظل تلازم
الجراد والكلاب عند السفاد والعظلم الخطمي هي هذي سوى النوادر فاحفظها لتقفو اثار الحفاظ
واقض فيما صرفت منها كما تقضيه في اصله كقيظ وقاظوا فقال له الشيخ احسنت لا فض فوك
ولا بر من يجفوك فوالله انك مع الصبي الغض لاحفظ من الاروى واجمع من يوم العرض ولقد اورثك
ودفعتك دلائي وثقفتكم تثقيف العوالي فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفروني وقال الحارث

همّام فعجبتُ لما ابدى من براعة مصحوبة برقاعة، وأظهر من حذاقة مع فرط حماقة، ولم يزل بصري
يصعد فيه ويصوّب، وينقر عنه وينقّب، وهو كمن ينظر في ظلماء أو يسري في عمياء، فلما استربتُ بتشبيهه
واستبان تدلّهي حملق اليّ وتبسّم وقال لم يبق من يتوسّم، فحقّقتُ كلامه فوجدتُ ابا زيد عندما
ابتسامه، وجعلتُ ألومه على تديّر بقعة النوكى وتحرّفه بحرفة الحمقى، فكأن وجهه اسفّ رمادًا أو اشتفّ
سوادًا، الّا انّه انشد:
تحرّفتُ حمصًا وهذي الصناعة لا رزق حظوة اهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال الا بقاعه
ولا الحظّ للّبّ من دهره سوى حظّ عير
ربط ببقاعه، ثم قال اما انّ التعليم اشرف صناعة، وانفع بضاعة، وانجح شفاعة، وافضل براعة،
وربّه ذو امرة مطاعة، وهيبة مشاعة، ورعيّة مطواعة، يتسيطر تسيطر الامير، ويتحكّم تحكّم
الوزير، ويتحكّم تحكّم قدير، ويتشبّه بذي ملك كبير، لولا انّه يخرف في مدّة يسيرة ويتّسم بحمق شهير، ويتقلّب
بعقل صغير، ولا ينبّئك مثل خبير، فقلت له تالله انّك لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب
بالافهام المذلّل سبيل الكلام، ثم لم ازل معتكفًا بناديه ومغترفًا من سيل واديه الى ان غاضت

الايام الغرّ فغادرته ولعيني العبر

المقامة السابعة والاربعون تعرف بالحجريّة

حكى الحارث بن همّام قال احتجتُ الى الحجامة وانا بحجر اليمامة، فأُرشدتُ الى
شيخ يحجم بلطافة، ويسفر عن نظافة، فبعثتُ غلامي لاحضاره، وارتصدتُ نفسي لانتظاره، فابطأ بعد ما
انطلق حتى خلته قد ابق، او ركب طبقًا عن طبق، ثم عاد عود المخفق، ساعيًا بالكلّ على مولاه، فقلتُ
لم ويلك ابطأت فلعلّ صلودًا زندك، فزعم انّ الشيخ اشغل من ذات النحيين، وفي حرب كحرب حنين

فخففتُ المشي الى الحجّام وهو بين اقدام واحجام، ثم رأيتُ ان لا تحيف على من لي الى الكنيف فلمّا
شهدتُ موسمه وشاهدتُ ميسمه، رأيتُ شيخًا هيئته نظيفة وحركته خفيفة، وعليه من النظّار
اطواق ومن الزحام طاق، وبين يديه فتى كالصمصام ومتهدّف للحجامة، والشيخ يقول له ارى
قد ابرزت راسك قبل ان تبرز قرطاسك، ولستُ ممّن يبيع بدين ولا يطلب اثرًا بعد عين، فان كنت
ممّن يبذل، فاني بالعين حجمتُ في الاخدعين، وان كنت
ترى الشحّ اولى وخزن الفلس في النفس احلى، فاقرأ عبس وتولّى، واعزب عني والّا فقال الفتى
والّذي حرّم صوغ المين كما حرّم صيد الحرمين، انّي لافلس من ابن يومين فثق بسيل تلعتي وانظر
الى سعتي، فقال الشيخ ويحك انّ مثل الوعود كغرس العود هو بين ان يدركه العطب او
يدرك منه الرطب، فما يدريني انّي احصل من عودك على جنى، ام احصل منه على ضنى، ثم ما الثقة بانك
حين تتعلّ تستفي بما تعد، وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل، فارحني بالله من
التعذيب وارحل الى حيث يعوي الذئب، فاستوى الغلام اليه وقد التوى الخجل عليه، وقال
والله ما يخيس بالعهد غير الخسيس الوغد، ولا يرد عذب الغدر الّا الوضيع النكد، ولو عرفت
من انا لما اسمعتني الخنا، لكنّك جهلت فقلت، وحيث حبّ ان تستجد فبلت، فما اقبح الغربة
والاقلال، واحسن قول من قال:
انّ الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ماله قوت
لكنّه ما تشين الحرّ متربة فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما اصلي الياقوت جمر غضى ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت
فقال الشيخ يا ويلة ابيك وعولة اهليك

183 انت في موقف فخر نظمه وحسب تبرم موقف جلد كشط وقفا يشترط وهبك كما ادعيت وقلت ان الت

البيت أيحصل بذلك لك حجر فذلك لا والله ولو ان اباك اناف على عبد مناة او لخالك دان عبد المدان

فلا تطلب بالسلم بولجه ولا تضرب في حديد بارد وما اذا باهيت بوجودك لا بجدك وبم

بمحصولك لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وباعلاقك لا باعراقك ولا تطع الطمع فيذلك

ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه حيث يقول بنيّ استقم فالعود تنمى عروقه قويما

ويغشاه اذا ما التوى التوى ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى وعاص

الهوى المردي فكم من محلق الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى على

الحر اللباب انضو ضوى وحافظ على من لا يخون اذا نأى زمان ومن يرعى اذا ما التوى نوى ولن

تقتد واصفح فلا خير في امرئ اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى واياك والشكوى فلم ير ذا هوى

شكى بل الحو الجهل الذي ما ارعوى غوى فقال الغلام للنظارة يا للعجب والطرفة الغريبة انف في

السماء واست في الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط وغيظ مستشيط

وقال اف لك من صواغ بالمال رواغ عن الاحسان يأمر بالبر ويتعوق عقوق الطير فان يك سبب

تعتاد بنفاق وصنعتك فرماها الله بالكساد وافساد الحساد حتى ترى افرغ من حجام ساباط وا

ذرق من ستم خياط فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بتر الفم وتبيغ الدم حتى تلجأ الى حجام عظيم

الاستشطاط ثقيل الاشتراط كليل المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما تبين الفتى انه لشكو

الى غير مصمت عن اول استفتاح باصمت اضرب عن حج الكلام واحتفز للقيام وعلم الشيخ انه

185 قد الام بما اسمع الغلام فجنح الى سلمه وبذل ان يذعن لحكمه والا يبغي اجرا على حجمه وابى الغلام الا التمنع

بدائه والهرب من لقائه وما زال في حجاج وسباب ولزاز وجذاب الى ان ضج الفتى من الشقاق وبلد

سورة الانشقاق فاعول حينئذ لوفات حبره وانعطاط عرضه وحطمه واخذ الشيخ يعتذر من فرطاته

ويغيض من عبراته وهو لا يصغي الى اعتذاره ولا يقصر عن استعباره الى ان قال له فداك عمك و

عداك ما يغمك ما تسام الا عول اما تعرف الاحتمال اما تسمع بمن قال واخذ بقول من قال احمل لحلمك

ما يدك به ذو سفه من نار غيظك واصفح ان جنى جان فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به والاخذ بالعفو

احلى ما جنى جان فقال له الغلام اما انك لو طبعت على عشير المكبر لعلمت في دمعي المنهمر ولكنها

نبذ على الاملس ملاقي الدبر ثم كانه نزع الى الاستحيا فاقلع عن البكا وقال الا دعوا قال للشيخ قد صرت

الى ما اشتهيت فارقع ما اوهيت فقال هيهات شغلت شعاجلي واقسم بارق ثوى ثم انه نهض يقصد عن

يستقري الصفوف ويستحل الوقوف ويبتل تحت ضمن ما يطوي اقسم بالبيت الحرام الذي تهوي اليه

الزمر المحرمة لو ان عندي قوت يوم لما مست يدي المشراط والمحجمة ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو

الى المجد بهذه السمة ولا اشتكى هذا الفتى غلطة مني ولا شاكسة منجمه لكن صرف الدهر عادني

كخابط في الليلة المظلمة واضطرني الفقر الى موقف من دونه خوض اللظى المضرمة فهل فتى مذ

رق علي او تعطفه رحمه قال الحارث بن همام فكنت اول من اوى لبلواه ووق لشكواه فنفحته

بدرهمين وقلت لا كانا ولو كان ذا مين فابتهج بباكورة جناه وتفال بهما الغناه ولم تزل الدراهم

تنهال عليه وتنثال لديه حتى اذا غشيه خضر لو حقيبة بحر لو فاذدهاه الفرح عند ذلك و

وهنّأ نفسه هنالك وقال للغلام هذا أبيّ نبت بذين وحلب الدهر أشطره فهلمّ لنقتسم ولا نحتشم

فتقاسماه بينهما شقّ الأبلمة ونهضا متفقي الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح وهمّ الشيخ بالرواح

قلت له قد تبوّغ دمي ونقلت إليك قدمي فهل لك في أن تحجمني وتكفكف ما دهمني فصوّب طرفه فيّ

وصعّده ثم ندلف إليّ وأنشد
كيف رأيت خدعتي وختلي ... وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت
فائزا بالحصل ... أدعى وماض الخصب بعد المحل
بالله ما تحجّ قلبي قل لي ... هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل ... ويسبي بالسحر كل عقل
ويعجز الجلة أهل الهزل ... إن يكن الإسكندري قبلي
فالطلّ قد يبدو أمام الوبل ... والفضل للوابل لا للطلّ

قال فنبّهتني أدوات تعليله وآيات أنّه شيخنا المشار إليه فقرّعته على الابتذال والالتحاق بالأرذال فأعرض عما سمع ولم يبال بما وقع

وقال كلّ الحذاء يحتذي الحافي الوقع ثم فاصى مفاصاة المهان وانطلقا كفرسي رهان قال

الشيخ الإمام الأوحد أبو محمد القاسم بن علي قد أودعت هذه المقامة بضعة

عشر مثلا من أمثال العرب ها أنا أفسّرها لئلا يلتبس على من يقتبس أما قوله نطاف فهو مولى

عائشة بنت سعد بن أبي وقاص وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر وأقام بها سنة

ثم جاءها بعد سنة وهو يشتدّ ومعه جمر فتبدّد منه فقال تعست العجلة وأما ذات النحيين فهي

امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلاها خوات بن جبير الأنصاري

ليبتاعهما منها ففتح أحدهما فذاقه ودفعه إليها فأمسكته بإحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه

إليها فأمسكته بيدها الأخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحّها

على

على السمن فلما قام عنها قالت لا هنئت فضرب بها المثل فيمن شغل وهي في هذا المثل مفعولة لأنها

شغلت وأكثر الأمثال التي على أفعل تأتي من فعل الفاعل وأما قوله أنف في السماء واست في الماء

فهذا المثل يضرب لمن يتكبر مقالا ويصغر فعالا وأما قوله أوفى من حجّام ساباط فذكر أنه كان

حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجند بدانق نسيئة وربما جرت عليه برهة لا يقربه فيها أحد

فكان يبرز أمّه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها نوبة بعد نوبة حتى

أنزف دمها فماتت وأما قوله تشكو إلى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشأن صاحبه

ولا يعبأ باستمرار شكايته لأنه إذا لوّاه الصمت أمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب

جملا له
إنك لا تشكو إلى مصمت ... فاصبر على الحمل الثقيل أو مت
ونحو هذا المثل هان على الأملس

ما لاقى الدبر وأما قوله شغلت شعابي جدواي فالمراد به أنه ليس يفضل عني ما أصرفه إلى غيري

والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه أن المجهود يقنع بما يبلغ

والوقع أن تصيب الحجارة القدم فتوهنها وأما البعير الموقّع فهو الذي يكثر آثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والأربعون تعرف بالبصرية

حكى الحارث بن همام عن أبي زيد

السروجي أنه قال ما زلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي أحنّ إلى عيان البصرة حنين

المظلوم إلى النصرة لما أجمع عليه أرباب الدراية وأصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها

ومآثر مشاهدها وشهدائها وأسأل الله تعالى أن يوطئنيها لأفوز بمرآها وأن يمطيني

قراها لأقتري قراها فلما أحلّنيها الحظ وسرّح لي فيها اللحظ رأيت بها ما يملأ العين قرة

وسلبني عن الأوطان كل غريب فغلّست في بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو المنذر ١٨٨
بالنوام لأخطو في خططها واقضي الوطر من توسطها فادّاني الاختراق في مسالكها والانصلات في سككها
الى محلة موسومة بالاحترام منسوبة الى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة
ومغان انيقة وخصائص اثيرة ومزايا كثيرة بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثالث ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع على تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقار اضرا بالجفون وبالجفان وكم من معلم للعلم فيها ونادٍ للندى حلو المجاني
ومغنى ما تزال تغن فيه اغاريد الغواني والأغاني فصل ان شئت فيها من يصلي واما شئت فادن
من الدنان ودونك صحبة الأكياس فيها او الكاسات منطلق العنان فظلت فيها انا انفض طرقها
واستشف رونقها اذ لمحت عند دلوك براح واظلال الرواح مسجدا مشتهر الطرائف مزدهر اللطائف
وقد اجرى اهله ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجت نحوهم لاستمطر نوءهم لا لأقتبس نحوهم
فلم يك الا كلبثة العجلان حتى ارتفعت الأصوات بالأذان ثم ردف التأذين بروز الامام فأغمد
ظبي الكلام وحلت الحبا للقيام وشغلنا بالقنوت عن لمتماد العقوق وبالسجود عن استثارة
الحجج ولما قضينا صلاة الفرض وكاد الجمع ينفض وجل الانتشار في الأرض انبرى من الجماعة كهل
حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة الحسن وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم على الغضا
شجرتي وجعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي واعددتهم لمحضري وغيبتي اما تعلمون ان
لبوس الصدق ابهى الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة والدين محض

النصيحة والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة وان المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن ١٨٩
وان اخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدّقك فقال له
الحاضرون ايها الخل الودود والخدن المودود ما سر كلامك الملغز وما شرح خطابك الموجز
وما الذي تبغيه منا لننجز ولو نحجز فوالله ما نألوك نصحا
ولا ندخر عنك نضحا فقال جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا فانكم من لا يشقى بهم جليس ولا يصل عنهم
تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثكم ما حل في صدري واستفتيكم
فيما عيل له صبري اعلموا اني كنت عند صلود الزند وقصور اليد اخلصت مع الله نية العقد
واعطيته صفقة العهد على ان لا امتاح مداما ولا اعاقر ندامى ولا احتسي قهوة ولا اكتسي
نشوة فسولت لي النفس المضلة والشهوة المزلة ان نادمت الأبطال وعاطيت الأبطال وا
اضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة كالميت ثم لم
اقنع بما تحكم المرة في طاعة ابي مرة حتى عكفت على الخندريس في يوم الخميس وبت صريع الصهباء
في الليلة الغراء وها انا بادي الكآبة لرفض الانابة نامي الندامة لوصل المدامة متدرع الاشفاق
من نقض الميثاق معترف بالاسراف في اغتباق السلاف فيا قوم هل لكفارة تعرفونها تباعد من ذنبي
وتدني الى ربي فقال ابو زيد فلما حل انشوطة نفثه وقضى الوطر من اشتكاء بثه ناجتني نفسي يا
ابا زيد هذه نهزة صيد فشمر عن يد وايد فنهضت من مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط
السهم وقلت ايها الأروع الذي فاق مجدا وسوددا والذي يبتغي الرشاد ليحوز غدا ان عندي

علاج ما بت منه مسهدا فاستمع بالعجيبة غادتني مبلدا أنا من ساكني سروج ذوي الدين والهدى
كنت ذا ثروة بها ومطاعا مسودا ربعي مألف الضيوف وما لي لمن جدا أشتري الحمد باللهى واقي
العرض بالجدا لا أبالي بمنفس طاح في البذل والندى أوقد النار باليفاع إذا النكس أخمدا ومراجي
المؤملون ملاذا ومقصدا لم تشم بارقي صدي فاشتكى الصدى لا ولا رام قابس قدح زندي
فأصلدا طالما ساعد الزمان وأصبحت مسعدا فقضى الله أن يغير ما كان عودا بوأ الروم أرضنا و
بعد ضغن تولدا فاستباحوا حريم من صاد فيه موحدا وحووا كلما استسر بها لي وما بدا فطو
حت في البلاد طريدا مشردا أجتدي الناس بعدما كنت من قبل مجتدى وتراني خصاصة أمتطي الوكر
والبلاء الذي به شمل أنسي تبددا امتبا ابنتي التي أسرتها العدا فاستبن محنتي ومد إلى نصرتي
يدا ولجودي من الزمان فقد جار واعتدى ولعمري على فكاك ابنتي من يد العدا فبذا تمحى المآثم عمـ
ـدا وبه تقبل الإنابة ممن تزهدا وهو كفارة لمن زاغ من بعدما اهتدى ولئن قمت منشدا
فلقد فهت مرشدا فاقبل النصح والهداية واشكر لمن هدى واسمح الآن بالذي تستبي الحمد قال
أبو زيد فلما أتممت هينمتي وأوهمت المسؤول صدق كلمتي أغراه الغرم إلى الكرم بمواساة غير
الكلف محل الكلف في مقاساتي فرضخ لي على الحافرة ونضح لي بالعدة الوافرة فانقلبت إلى
وكري فرحا بنجح مكري قد حصلت مضوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حوك القصيد
إلى أكل العصيدة قال الحارث بن همام فقلت له سبحان من أبدعك فما أعظم خدعك فاستغرب
في الضحك ثم أنشد غير محتشم: عش بالخداع فأنت في دهر بنوه كأسد بيشه وأدر قناة

المكر حتى تستدير رحى المعيشة وصد النسور فإن تعذر صيدها فاقنع بريشه واجن الثمار
فإن تفتك فارض نفسك بالحشيشة وأرح فؤادك إن نبا دهر من الفكر المطيشه فتغاير
الأحداث يؤذن باستحالة كل عيشه

المقامة التاسعة والأربعون الساسانية

حكى الحارث بن همام قال بلغني أن أبا زيد حين ناهز القبضة وابتزه قيد الهرم النهضة أحضر
ابنه بعدما استحاش ذهنه وقال له يا بني إنه قد دنا ارتحالي من الفناء واكتحالي بمرود الفناء وأنت
بحمد الله ولي عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق
الحصى ولكن قد ندب إلى الأذكار وجعل صيقلا للأفكار وإني أوصيك بما لم يوص به شيث
الأنباط ولا يعقوب الأسباط فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحتذ مثالي وافقه مثاني فإنك
إذا استرشدت بنصحي واستصبحت بصبحي طاب معاشك وطال انتعاشك واخضر خوانك
واتقد دخانك وإن تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قل رمادك وأنافيك وزهد أهلك
وهطك فيك يا بني إني جربت حقائق الأمور وبلوت تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه
لا بنسبه والفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت سمعت أن المعايش إمارة وتجارة وزراعة وصناعة
فمارست هذه الأربع لأنظر أيها أوفق وأنفع فما أحمدتها معيشة ولا استرغدت فيها عيشة
أما فرص الولايات وخلس الإمارات فكأضغاث الأحلام والفيء المستنسخ بالظلام فناهيك غصة
بمرارة الفطام وأما بضائع التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما أشبهها بالطيور الطيارة
وأما اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع فمنهكة للأعراض وقيود عائقة عن الارتكاض وقلما

خلا بهما من اذلال ورزق ورحب بال واما الحرف اولى الصناعات فغير فاضلة عن الاوقات ولا نافقة في
جميع الاوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة ولا ادري ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافي المكسب صافي
المشرب الا الحرفة التي وضع ساسان اساسها ونوع اجناسها واضرم في الخافقين نارها واوضح لبني
غبراء منارها فشهدت وقايعها معلما ولقيت بها ميسما اذ كانت المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي لا
يغور والمصباح الذي يعشو اليه الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكان اهلها اعز قبيل واسعد جيل
لا يرهقهم حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا
يرهبون من برق ورعد ولا يحتفلون بمن قام وقعد انديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة
واوقاتهم محجلة اينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون اوطانا ولا يتقون سلطانا
ولا يمتازون عمن تغدو خماصا وتروح بطانا فقال له ابنه يا ابت لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت
وما فتقت فبين كيف اقتطف ومن اين تؤكل الكتف فقال يا بني ان الاضطراب جوالها والنشاط حلبها
والفطنة مصباحها والقحة سلاحها فكن اجول من قطرب واسرى من جندب وانشط من ظبي مقمر واسلط
من ذئب متنمر واقدح زند جدك بجدك واقرع باب رزقك بسعيك وجب كل فج ولج كل لج وانتجع كل
روض وادل دلوك الى كل حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل الداب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان
من طلب جلب ومن جال نال واياك والكسل فانه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة
ولقاح المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار العسل من اختار الكسل
ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة وعليك بالاقدام ولو على الضرغام فان جرأة الجنان تطلق العنان

وتنطق

وتنطق اللسان وبها تدرك الحظوة وتملك الثروة كما ان الجبن صنو الكسل وسبب الفشل ومثبطة
للعمل ومخيبة للامل ولهذا قيل في المثل من جسر ايسر ومن هاب خاب ثم ابرز يا بني في بكور ابي زاجر و[illegible]
ابي الحرث وختل ابي جعدة وحرص ابي عقبة ونشاط ابي وثاب ومكر ابي الحصين وصبر ابي ايوب ولطف
ابي غزوان وتحيل ابي قرة وتلون ابي براقش واخلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل
الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل النجع وعمث لجنبك قبل المضطجع واستجد بصيرتك
للعيافة وانعم نظرك في القيافة فان من صدق توسمه طال تبسمه ومن اخطأت فراسته ابطأت فريسته
وكن يا بني خفيف الكل قليل الدل ولتغض عن العل فانما الوبل بالطل وعظم وقع الحبة واشكر على
القليل ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
واذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة فمل الى النقد وفضل اليوم على الغد فان للتأخير آفات
وللعزائم بدوات وللعدات معقبات وبينها وبين النجاز عقبات وعليك بصبر اولي العزم و[illegible]
الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق بخلق السبط وقيد الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل
يدك الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نبا بك بلد او نابك فيه كمد فبت منه املك واسرح عنه
حملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقل الرحلة ولا تكرهن النقلة فان اعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا
اجمعوا على ان الحركة بركة والطراوة سفتجة وزروا على من زعم ان الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا
هي علة من قنع بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت الاغتراب فاعدد له العصا والجراب وتخير
الرفيق المسعد من قبل ان تصعد فان الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق خذها اليك وصية

لم يوصها قبلي احد غير خطاوية خلاصات المعاني والزبد فهجتها تقنع من محض النصيحة واجتهد فاعمل
بما مثلته عمل اللبيب اخي الرشد حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد ثم قال له يا بني قد اوصيت
واستقصيت فان اقتديت فخارها لك وان اعتديت فها انا منك والله خليفتي عليك وارجوان لا
تخلف ظني فيك فقال له ابنه يا ابت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سدادا وعلمت رشادا
ما لم يحل لولد والدا ولان اهملت بعدك ولا ذقت فقدك فلانا ادين باداب الصالحة ولا اقتدي بآثارك
الواضحة حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز ابو زيد لجوابه وتبسم وقال
اشبه اباه فما ظلم قال الحارث بن همام فاخبرت ان بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا آثروها
على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ ام القرآن وانهم ليرونها الى الآن اولى ما لقنوه الصبيان وانفع
لهم من نحلة العقيان

المقامة الخمسون وتعرف بالبصرية

ايضا حكى الحارث بن همام قال

اشعرت في بعض الايام هما برح بي استعاره ولاح علي شعاره وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر
يسرو غواشي الفكر فلم ار لاطفاء ما بي من الجمرة الا قصد الجامع بالبصرة وكان اذ ذاك ماهول المساند
مشفوه الموارد يجتنى من رياضه ازاهير الكلام ويسمع في ارجائه صرير الاقلام فانطلقت اليه غير وان
ولا لاو على شان فلما وطئت حصاه واستشرفت اقصاه رايت ذا اطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت
به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم فانتبذت تقصده وتوددت ورده ورجوت ان اجد شفائي
عنده ولم ازل انتقل في المراكز واتغضى للواكز الى ان جلست تجاهه وحيث امنت اشتباهه
فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه فسرى بمراه همي وارفضت كتيبة غمي وحين اذن وقصر

بمكا

195

بمكا قال يا اهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما اضوع رياكم وافضل مزاياكم بلدكم
اوفى البلاد طهرة وازكاها فطرة وافسحها رقعة وامرعها نجعة واقومها قبلة واوسعها دجلة
واكثرها انهارا ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز البلد الحرام وقبالة الباب والمقام واحد جناحي
الدنيا والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس ببيوت النيران ولا طيف فيه بالاوثان ولا سجد على اديمه
لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والآثار
المحمودة والخطط المحدودة به يلتقي الفلك والركاب والحيتان والضباب والحادي والملاح والقانص
والفلاح والناشب والرامح والسارح والسابح وله آية المد الفائض والجزر الغائض واما انتم فمن الخليقة
في خصائصكم اثنان ولا ينكرها ذو شنآن دهماؤكم اطوع رعية لسلطان واشكرهم لاحسان
وزاهدكم اورع الخليقة واحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم علامة كل زمان والحجة في كل اوان
ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر الا ولكم فيه اليد
الطولى وان شئتم فانتم احق به واولى ثم انكم اكثر اهل الارض مؤذنين واحسنهم في النسك قوانين وبكم
اقتدي في التعريف وعرف التسبيح في الشهر الشريف ولكم اذا قرت المضاجع وهجع الهاجع تذكار يوقظ
النائم ويونس القائم وما ابتسم ثغر فجر ولا نبغ نوه في بر ولا بحر الا ولتاذينكم بالاسحار دوي
كدوي الريح في البحار وبهذا عنكم صح النقل واخبر النبي من قبل وبين ان دويكم بالاسحار كدوي
النحل فشرفا لكم ببشارة المصطفى وواها لمصركم وان كان قد عفا ولم يبق منه الا شفا ثم انه خزن لسانه
وحطم بيانه حتى خلج بالابصار وقرف بالاقصار فتنفس تنفس من قيد للقود او نشبت به براثن اسد

ثم قال اما انتم يا اهل البصرة فما منكم الا العلم المعروف ومن له المعرفة والمعروف واما انا فمن عرفني فانا ذا

وشرّ المعارف من ذاك ومن لم يثبت عرفتي فساصدقه صفتي انا الذي انجد واتهم وايمن واشأم واصحر

وابحر وادلج واسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت

المعارك والنت العرائك واقتدت الشوامس وارغمت المعاطس واذبت الجوامد وامعت الجلامد فسلوا

عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل والجحافل والقبائل والقنابل واستوضحوا من نقلة

الاخبار ورواة الاسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة

اقتحمت وملحمة الحمت وكم الباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست واساد افترست وكم حلق

غادرته لقى وكامن استخرجته بالرقى وحجر سحرته حتى انصدع واستنبطت لالئه بالخدع ولكن فرط ما

فرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد الشباب قشيب فاما الآن وقد استشن الاديم وتأود القويم

واستنار الليل البهيم فليس الا الندم ان نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع وكنت رويت في الآثار المسندة

والاخبار المعتمدة ان لله تعالى في كل يوم نظرة وان صلاح الناس كلهم الحلّ ولا احكم الادعية

والتوحيد فقصدتكم انضي الرواحل واطوي المراحل حتى قمت هذا المقام فيكم ولا من لي عليكم اذ سعيت

الا في حاجتي ولا تعبت الا لراحتي ولست ابغي عطيتكم بل استدعي ادعيتكم ولا اسئلكم اموالكم بل اسئلكم

اقوالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والاعداد للمآب فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل

التوبة عن السيئات ثم انشد

استغفر الله من ذنوب ... افرطت فيهن واعتديت

كم خضت بحر الضلال جهلا ... ونهت في الغي واغتديت

وكم اطعت الهوى لغرًّا ... واختلت في غفلتي وافتريت

وكم خلعت العذار ركضا ... الى المعاصي وما ونيت

وكم تناهيت في التخطي ... الى الخطايا وما انتهيت

١٩٧

فليتني كنت قبل هذا ... نسيا ولم اجن ما جنيت

فالموت للمجرمين خير ... من المساعي التي سعيت

يا رب عفوا فانت اهل ... للعفو عني وان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو يقلب وجهه في السماء الى ان دمعت آماقها

وبدا تحدر اجفانه فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم يا اهل البصرة

جزاء من هدى من الحيرة فلم يبق في القوم الا من سر بسروره وضح له بميسوره فقبل عفو برهم واقبل

يبرع في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم شاطئ البصرة واعتقبته الى حيث خلا لنا وامنا التجسس

علينا فقلت له لقد اغربت في هذه النوبة فما رأيك في التوبة فقال اقسم بعلام الخفيات

وغفار الخطيئات ان شأني لعجاب وان دعاءكم لمجاب فقلت زدني ايضاحا زادك الله صلاحا فقال

وابيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت منقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم

اليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعني وانطلق واودعني القلق فلم ازل اعاني الفكر والشوق

الى خبره فاذكره وكلما استنشيت خبره من الركبان وجوابة البلدان كنت كمن حاول عجاجا او ناجى صخرة صما

الى ان لقيت بعد انحسار الامد وفي الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا

عندنا الخبر اغرب من العنقاء واعجب من نظرة الزرقاء فسألتهم ان يصدقوا ما قالوا وان يكيلوا لي كما اكتالوا

فحكوا انهم الموا بسروج بعدما فارقها العلوج فرأوا ابا زيد بها المعروف وقد لبس الصوف وام الصفوف

وصار بها الزاهد الموصوف فقلت اتعنون صاحب المقامات قالوا انه الآن ذو الكرامات فحفزني اليه النزاع

ورأيتها فرصة لا تضاع فارتحلت رحلة المعد وسرت نحوه سير المجد حتى حللت مسجده وقرارة تعبده

فاذا به قد لبس صحبة اصطفاها وانتصب في محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة فهبته هيبة من
ولج على الاسود والفيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر السجود ولما فرغ من سبحته حياني بمسبحته من غير ان
نبس بكلمة ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم اقبل على اوراده وتركني اعجب من اجتهاده واغبط من يهدي الله
عباده ولم يزل في قنوت وخشوع وسجود وركوع واخبات وخضوع الى ان اكمل اقامة الخمس وصار
اليوم امس فحينئذ انكفأ الى بيته واسهمني في قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلى بمناجاة مولاه
حتى اذا التمع الفجر وحق للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل يرجع بصوت
فصيح خل ادكار الاربع والمعهد المرتبع والظاعن المودع وعد عنه ودع واندب زمانا سلفا
سودت فيه الصحفا ولم تزل معتكفا على القبيح الشنع كم ليلة اودعتها مآثما ابدعتها لشهوة اطعتها
في مرقد ومضجع وكم خطى حثثتها في خزية احدثتها وتوبة نكثتها لملعب ومرتع وكم تجرأت على رب
السموات العلى ولم تراقبه ولا صدقت فيما تدعي وكم غمطت بره وكم امنت مكره وكم نبذت امره
نبذ الحذا المرقع وكم ركضت في اللعب وفهت عمدا بالكذب ولم تراع ما يجب من عهده المتبع
فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم قبل زوال القدم وقبل سوء المصرع واخضع خضوع
المعترف ولذ ملاذ المقترف واعص هواك وانحرف عنه انحراف المقلع الام تسهو وتني
ومعظم العمر فني فيما يضر المقتني ولست بالمرتدع اما ترى الشيب وخط وخط في الراس خطط
ومن يلح وخط الشمط بفوده فقد نعي ويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص وطاوعي واخلصي
واستمعي النصح وعي واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى واخشي مفاجاة القضا وحاذري ان تخدعي

وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى وان مثواك غدا في قعر لحد بلقع آها له بيت البلى و
المنزل القفر الخلا ومورد السفر الاولى واللاحق المتبع بيت يرى من اودعه قد ضمه واستودعه
بعد الفضاء والسعة قيد ثلاث اذرع لا فرق ان يحله داهية او ابله او معسر او من له ملك كملك
تبع وبعده العرض الذي يحوي الحيي والبذي والمبتدي والمحتذي ومن رعى ومن رعي فيا مفاز المتقي
وربح عبد قد وقي سوء الحساب الموبق وهول يوم الفزع ويا خسار من بغى ومن تعدى وطغى وشب
نيران الوغى لمطعم او مطمع يا من عليه المتكل قد زاد ما بي من وجل لما اجترحت من زلل في عمري
المضيع فاغفر لعبد مجترم وارحم بكاه المنسجم فانت اولى من رحم وخير مدعو دعي قال فلم يزل
يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل ابكي عليه ثم برز
الى المسجد بوضوء تهجده فانطلقت معه وصليت مع من صلى خلفه فلما انفض من حضر وتفرق النفر
اخذ يهينم بذكره ويسك يومه بامسه ويضمن ذلك رنة الرقوب ويبكي ولا بكاء
يعقوب حتى استبنت انه قد التحق بالافراد واشرب قلبه هوى الانفراد فاخطرت بقلبي عزم
الارتحال وتخليته وتلك الحال فكانه تفرس ما نويت او كوشف بما اخفيت فزفر زفرة
الاواه ثم قرع فاذا عزمت فتوكل على الله فاستجليت عند ذلك صدق المحدثين وايقنت انه من
الائمة المحدثين فامسكت عن نجوه حتى فرغ من ورده وضحاه ثم دنوت اليه كما يدنو المصافح فقلت
اوصني ايها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بيني وبينك فودعته
وعبراتي يتحدرن من المآقي وزفراتي يتصعدن من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي قال الشيخ

قال الشيخ الامام الاوحد ابو محمد القاسم بن علي الحريري هذا اخر المقامات التي انشأتها
بالاعتراف واملیتها بلسان الاضطرار وقد الجئت الى ان اصدتها للاستغراض وناديت
عليها في سوق الاعراض هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع ومما يستوجب ان يباع
ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي نظر الشفيق لسترت عوارى الذي
لم يزل مستورا ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها
من اباطيل اللغو واضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم من السهو ويحظى بالعفو
انه اهل التقوى واهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والاخرة والحمد لله تعالى
بحمد يضاهي فضله ويشاكل نعمه والصلوة على نبيه المصطفى محمد واله اجمعين
يا محسن الضعفا قد وقع الفراغ من كتابة ذلك الكتاب متنا وهامشا للعبد الجاني

المقيد بقيود الامال والاماني حاجي اقا بن عبد الله التبريزي
والتماسه من الناظرين والقارين ان يطلبوا له ولوالديه
المغفرة لانه صرف في كتابته غاية الوسع
والمقدرة والصلوة على محمد
واهل بيته الخيرة البررة
في سنة ١٢٧٣
والحمد لله اولا واخرا

تمت كتاب المقامات
الحريري بعون الجناب الباري جل
الخواتين عاليجناب قدسي القاب
ملا علي صحاف

وانا قد
استدعيت كاملها
ادنى الناس اقا جان ولد معفور
مینا مشهدی باقر خوش
تبریزی فی ١٢..

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısım | Hacı Mahmud Ef.
Yeni Kayıt No | 5040
Eski Kayıt No |